مدخل إلى
دراسة القرآن الكريم

دكتور
منيع عبد الحليم محمود
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
وعميد كلية أصول الدين -- القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي المصطفى الحبيب العالى القدر العظيم الشأن . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، وناصر الحق بالحق ، والهادى إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم .

اللهم إنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ، ونور بصرى ، وجلاء حزنى ، وذهاب همى وغمى .

اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبداً ما أبقيتنى ، وارحمنى بترك مالا يعنينى ، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى، وألزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى، ونور به بصرى، واشرح به صدرى، واجعلنى أتلوه كما يرضيك عنى، وافتح به قلبى ، وأطلق به لسانى .

اللهم إنا نعوذ بك من الشقاء فى حمله ، والجور عن حقه ، والغلو فى قصده، والتقصير دون واجبه، اللهم إنك جعلته نجاة فنجنا به من كل هلكة، وجعلته عصمة فاعصمنا به من كل بدعة وشبهة، اللهم ألزم به قلوبنا السكينة والوقار والفكرة والاعتبار والتوبة والاستغفار ، حتى لانشترى به ثمناً ولا نبتغى به بدلا ، ولا نؤثر عليه عرضاً من أعراض الدنيا أبداً ، إنك سميع الدعاء .

(وبعد) :

فلقد تضافرت الهمم وعظمت العناية بدراسة علوم القرآن الكريم ، وتنوعت المؤلفات فيه فى كل جيل وعصر منذ أوائل القرن الثانى الهجرى إلى اليوم ، تشهد بذلك مكتبات العالم الإسلامى وغير الإسلامى . وتلك معجزة من معجزات القرآن الكريم ؛ إذ أنه لايزال كعهد النبى ﷺ به ، رغم ما اعترى الحكومات الإسلامية من وهن عبر التاريخ الماضى والحاضر. وصدق الله العظيم :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾

وهذه فصول من عناية الأمة الإسلامية بالقرآن وعلومه ، جمعت بين إثبات سلامته من التحريف والتبديل والزيادة والنقص ، وبين دفع شبه المستشرقين وأمثالهم من هذه الناحية .

المؤلف

منيع عبد الحليم محمود

مقدمة

روى الإمام مسلم بسنده عن تميم الدارى رضى الله عنه قال : إن النبى ﷺ قال : « الدين النصيحة . قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (١) .

« قال العلماء رحمهم الله : النصيحة لكتاب الله تعالى هى الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله ، لا يشبهه شىء من كلام الخلق ، ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم ، ثم تعظيمه وتلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه فى التلاوة ، والزب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين ، والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله ، والاعتبار بمواعظه ، والتفكر فى عجائبه ، والعمل بمحكمه ، والتسليم بمتشابهه ، والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ، ونشر علومه والدعاء إليه ، وإلى ما ذكرناه من نصيحته » (٢) .

وروى الترمذى بسنده عن الحارث الأعور عن على قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قيل فما النجاة منها يارسول الله ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، هو الذى

---

(١) صحيح مسلم (٢ — ٣٧) .
(٢) التبيان فى آداب حملة القرآن (٨٥) .

لا تزيغ به الأهواء، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، من علم علمه سبق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن اعتصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم» (١).

خص الله جل شأنه هذه الأمة المحمدية بهذا الكتاب الكريم، ولم يكل حفظه إلينا، بل إنه سبحانه تكفل بحفظه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٢)) وذلك رفع لأعظم معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأن الله تحدى بسورة منه العرب، فلم يقدروا على أن يأتوا بمقدار آية منه، ثم لم يزل هذا التحدى إلى يومنا هذا، والقرآن يتلى ليل نهار، مع وفرة الملحدين والطاعنين ولم يستطع أحد معارضة شيء منه، وأى دلالة على صدقه ﷺ أعظم من هذا؟

ولما تكفل سبحانه بحفظه خص به من شاء من عباده الذين هم أهل الله وأصفياؤه (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا (٣))، وكان الاعتماد فى نقله على الصدور لا على نقله من الكتب والمصاحف، وهذه خصوصية من الله لهذه الأمة المحمدية، بخلاف أهل الكتاب الذين لا يقرءون كتبهم إلا نظراً.

ولقد خص الله من اصطفاهم بحفظه بالأمانة فى الأداء إلى من بعدهم، حسب ما تلقوه من النبى ﷺ: لم يهملوا منه حركة ولا سكونا ولا إثباتا ولا حذفا، حتى أنه لما كتبت المصاحف فى عهد عثمان - رضى الله عنه - جردت من النقط والشكل، لتحتمل ما صح نقله عن النبى ﷺ؛ إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط والرسم.

---

(١) مقدمتان فى علوم القرآن (٢٥٥) والإتقان (٢ — ١٥١).

(٢) سورة الحجر (٣) سورة فاطر

ولما أرسلت المصاحف إلى الأمصار قرأ أهل كل مصر بما فى مصحفهم حسب ما أقرأهم الصحابة الذين تلقوه عن النبى ﷺ . ثم إن القراء بعد ذلك تفرقوا وخلف من بعدهم خلف تصـــدوا للإقراء ، حتى خاف أئمة المسلمين أن يلتبس الباطل بالحق ، فجمعوا الحروف والقراءات وميزوا بين الصحيح وغيره ، وقالوا :

كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه . ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا(١) ، وصح سندها : فهى القراءة الصحيحة .

* * *

أولا : اعلم أنه من المعلوم أن الله خاطب خلقه بما يفهمونه ؛ ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه ، وأنزل كتابه على لغتهم ، وقد نزل القرآن بلسان عربى مبين فى زمن أفصح العرب ، وكانوا يعلمون ظاهره وأحكامه ، لكن القرآن يعلو على غـــيره من الكلام العربى بألفاظه الجزلة ومعانيه الدقيقة . ومن هنا كان بعضه يحتاج من الصحابة إلى النظر والبحث مع سؤالهم النبى ﷺ عما استغلق عليهم فهمه(٢) .

وقد جاء فى القرآن بعض آيات فسرها القرآن نفسه فمن تفسير القرآن بالقرآن « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » البقرة . تفسيرها فى الأعراف « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من

---

(١) قد توافق بعض القرآت الرسم تحقيقاً ويوافقه بعضها تقديراً نحو «ملك يوم الدين» فإنه كتب بغير ألف فى جميع المصاحف، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً ، وقراءة الألف تحتمله تقـــديراً ، فتكون الألف حذفت اختصاراً . [النشر ١ — ١١] .

(٢) الإتقان (٢ — ١٧٤) .

الخاسرين ،، « هدى للمتقين » تفسيرها ما بعدها فى نفس سورة البقرة « الذين يؤمنون بالغيب . . » الآيات .

والناظر فى كتب السنة يجد الأمثلة الكثيرة لإجابة النبى ﷺ أصحابه أمام أسئلتهم :

(١) روى الإمام أحمد والشيخان وغيرهم عن عائشة رضى الله عنها قالت « قال رسول الله ﷺ : ليس أحد يحاسب إلا هلك ، قالت قلت يارسول الله : جعلنى الله فداءك ، أليس يقول الله عز وجل : (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا)(١) قال: ذاك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك ، اللفظ للبخارى (٢) .

(٢) وروى البخارى وغيره عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : « قلت يارسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود ؟ أهما الخيطان؟ قال : إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين ، ثم قال لا بل هو سواد الليل وبياض النهار » (٣) .

ولقد تصدى الصحابة والتابعون إلى تفسير كتاب الله تعالى : وهم لا يجتمعون على ضلالة ـ من ذلك :

(١) ما رواه البخارى عن ابن عباس قال : « كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد فى نفسه ، فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رئيت أنه

---

(١) سورة الانشقاق .
(٢) صحيح البخارى (١ - ٣٧ ، ٦ - ٢٠٨) .
(٣) نفس المرجع (٦ - ٣١) .

دعانى يومئذ إلا ليريهم ، قال : ما تقولون فى قول الله تعالى : (إذا جاء نصر الله والفتح)(١) فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا . فقال لى : أكذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول ﷺ أعلمه له ، قال : (إذا جاء نصر الله والفتح) وذلك علامة أجلك (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول » (٢)

(٢) وعند البخارى عن مجاهد قال (يدع) (٣) يدفع عن حقه ، يقال : هو من دععت يدعون يدفعون (ساهون) لاهون (والماعون) المعروف كله ، وقال بعض العرب الماعون الماء . وقال عكرمة : أعلاها الزكاة المفروضة وأدناها عارية المتاع (٤) .

ولقد روت كتب التفسير كثيراً من أقوال التابعين فى تفسير القرآن باجتهادهم ، معتمدين على ما عرفوه من لغات العرب وفنونهم فى القول ، واضعين نصب أعينهم حديث الرسول ﷺ : « من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » (٥) .

ثم بعد عصر التابعين جاء من جمع أقوال الصحابة والتابعين ، كتفسير ابن عيينة ووكيع وعبد الرازق وعبد بن حميد وغيرهم ، ثم من بعدهم تفسير

---

(١) سورة النصر .
(٢) نفس المرجع (٦ - ٢٢١) .
(٣) سورة الماعون .
(٤) نفس المرجع (٦ - ٢١٩) .
(٥) رواه أبو داود والبيهقى من طرق من حديث ابن عباس . الإتقان - ١٧٩) والبرهان فى علوم القرآن (٢ - ١٦١) .

ابن جرير الطبري ، وهو من أجـل التفاسير ، ثم جاء خلائق اختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال غير معزوة لأصحابها ، فالتبس الصحيح بالعليل . ثم نقل عنهم ذلك من جاء بعدهم غير ملتفت إلى تحرير ما نقل عن السلف الصالح . ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم ، فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي غلب عليه ، فترى أبا حيان في البحر والنهر يهتم بقواعد النحو ، والقرطبي يهتم بالفقه في الجامع لأحكام القرآن ، والفخر الرازي يهتم بالعلوم العقلية في مفاتيح الغيب ، وغيرهم كثير .

ثم ظهر في عصرنا الحاضر من تكلم في القرآن برأيه ، غير معتمد على الأدوات التي يحتاج إليها المفسر ، وهذا وضع خطير للتفسير لا يرضاه غيور على الدين . ولقد أوجب العلماء على المفسر بجانب وجوب معرفته اللغة والنحو والتصريف والبلاغة العربية والقراءات وأصول الدين والفقه وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وتاريخ الأمة العربية وأهل الكتاب ، والوقوف على السنة المبينة للقرآن : بجانب هذا أوجبوا أن يكون من أهل الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، يقول سفيان الثوري : « لا يجتمع فهم القرآن والاشتغال بالحطام في قلب مؤمن أبداً » ، وروى عن الكلبي قال : « رأيت الحسن بمكة فسألته فلم يجبني ، فقلت : نسألكم معاشر الفقهاء فلا تجيبوننا ؟ فقال : ويحك وهل رأيت بعينيك فقيها قط ؟ وهل تدري من الفقيه ؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة الدائب في العبادة البصير بدينه »(١) .

واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا تظهر له أسراره ، وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو وهو مصر على ذنب أو معتمد على قول

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن (١٧٦) .

مفسر ليس عنده علم ، ويجب أن يضع نصب عينيه حديث « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » حتى يزيل الله عنه الحجب(١) .

يجب أن نعلم أن شرف الإنسان بما يعرف ويعقل ، ولما كان القرآن أعظم كتاب منزل كان سيدنا محمد ﷺ أفضل رسول بعث ، وكانت أمته من العرب والعجم أفضل أمة أخرجت للناس، وكان حملته وقراؤه ومقرئوه أفضل هذه الأمة ، وكان أعظم ما يتقرب به إلى الله تلاوة القرآن : يقول الإمام أحمد بن حنبل : « رأيت رب العزة فى النوم . فقلت ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك ؟ قال بكلامى يا أحمد ، فقلت يارب بفهم أو بغير فهم ؟ قال بفهم وبغير فهم »(٢) .

وإذا كان شرف العلم من شرف موضوعه فإن أشرف العلوم على الإطلاق تفسير القرآن الكريم ومدارسته ، قال تعالى : ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ﴾(٣) .

أخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق ابن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ يؤتى الحكمة ﴾ قال : « المعرفة بالقرآن: ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله، وأخرج ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً « يؤتى الحكمة : قال القرآن ، قال ابن عباس يعنى تفسيره ، فإنه قد قرأه البر والفاجر »(٤) .

---

(١) الإتقان (٢ — ١٨١) والحديث رواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس رضى الله عنه .

(٢) النشر (١ — ٤) .

(٣) سورة البقرة الآية (٢٦٩) .

(٤) الإتقان (٢ — ١٧٥) .

ثانيـــاً :

١ — إن الرسـول ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، تضافرت جهود الصحابة عـــلى جمع القرآن الكريم حفظاً و كتابة ، وعلى نشره فى الناس بطريق البعثات والكتب ، ووصلت الصحف إلى جميع الأقطار بدون تحريف فيه ، نقلوا ذلك عن النبى ﷺ ، وأوصلوه إلى من بعدهم ، ومن بعدهم إلى من بعدهم ، وهكذا حتى وصل إلينا ، وسيصل إلى من بعدنا كذلك صحيحاً ، ولو حصل فيه شىء مما يدعى المغرضون فى أى عصر من العصور لعورض ولثارت الأمة على مبلغيه وكاتبيه ، ولما لم ينقل شىء من هذا نقلا صحيحاً دل على أن شيئاً من ذلك لم يقع .

يقول ابن حزم فى صفة وجوه النقل الذى عنـــد المسلمين لكتابهم ودينهم : « إن نقل المسلمين — لكل ماذكرنا — ينقسم أقساماً ستة :

(أولها) شىء ينقلـه أهل المشرق والمغرب عن أمثالهم جيلاً جيلا لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر منصف غير معاند للمشاهدة ، وهو القرآن المكتوب فى المصاحف فى شرق الأرض وغربها ، لا يشكون ولا يختلفون فى أن محمد بن عبد الله بن عبـــد المطلب أتى به وأخبر أن الله عز وجل أوحى به إليه ، وأن من اتبعه أخذه عنه كذلك ، ثم أخذ عن أولئك حتى بلغ إلينا . . . » .

ثم يقول « .. فإنه نقل كل ذلك اليمانى والمصرى والربيعى والقضاعى ، وكلهم أعداء متباينون متحاربون ، يقتل بعضهم بعضاً ليس هناك شىء يدعوهم إلى المسامحة فى نقلهم له ، ثم نقـــله عن هؤلاء من بين المشرق والمغرب ، وكانت العرب بلا خلاف قوماً لقاحاً لا يملكهم أحد . . . أو ملوكا فى بلادهم يتوارثون الملك كابراً عن كابر . . . فانقادوا كلهم لظهور الحـق وبهـوره ، وآمنوا به ﷺ طوعا ، وهم آلاف آلاف ،

وصاروا إخوة كبنى أب وأم ، وانحل كل من أمكنه الانحلال عن ملكه منهم إلى رسله طوعاً بلا خوف غزو ولا إعطاء مال ولا يطمع فى عز ، بل كلهم أقوى جيشاً من جيشه ، وأكثر مالا وسلاحاً منه ، وأوسع بلداً من بلده . . لما ثبت عندهم من آياته وبهرهم من معجزاته .. »(١) .

٢ — ثم إن القرآن جعله الله معجزة لنبيه ﷺ على مدى العصور ، ولو حصل فيه خلل لبطلت معجزته ، وبالتالى تبطل نبوة سيدنا محمد ﷺ ، بل نبوة الأنبياء الذين ذكروا فى القرآن ، وأيضاً تبطل الشرائع السماوية ، ولكن الله الذى ضمن حفظه قد وكل به الأمة ، وهى لا تجمع على ضلالة ولا تتواطأ على الإخبار عن باطل ولا على كتمان ماشاهدوه ؛ لكثرتهم وخروجهم عن حد الحصر ، وبمثل هـــذا عرفنا النبوات والشرائع .

ثم إن إخبار الله تعالى أنه تولى حفظه وحراسته ، يعطينا أنه لا يجوز أن يقع خبره سبحانه بخلاف مخبره ؛ وقد قيض الله من الحفظة والنقلة من قاموا بأدائه خير قيام ، حتى نقلوا إلينا الهمزة الثقيلة والخفيفة ، وميزوا بين إطالة المشبعة واللطيفة ، واستقصوا فى حفظ الإشمام على المعلمين ، ففرقوا بين الإشمام وروم الحركة ، وهو صفة لبعض الحركات على الحروف ، وغير ذلك من الدقائق »(٢) .

٣ — ولو لم يكن للصحابة توقيف منه ﷺ فى أصل القرآن وأجزائه وأوضاعه وترتيبه ، لما كانوا يرضون تأليفه ويثنون على أمير المؤمنين

---

(١) الفصـــل فى الملل والأهواء والنحل (٢ — ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥) ، بتصرف .

(٢) مقدمتان فى علوم القرآن (٤٠) .

عمله ، وهؤلاء هم القراء العشرة ، وأسانيدهم متصلة بعثمان وعلى وعبد الله وأبى وابن عباس وزيد رضى الله عنهم ، على حاله الذى بين أيدينا ، ولو كان اختلاف بينهم فى شىء من هذا النقل إلينا ، خاصة وأن الصدر الأول كان مخاطاً بالأعداء الذين يكيدون للإسلام وأهله ، ولو عثروا على شىء فى القرآن لا تخذوه ذريعة لفتنة الأمة ، ولكان ذلك داعياً لتمزيق وحدتهم ، وفى ترك النقل بخلاف ما ثبت عنهم دليل قوى على صحة ماذكرناه .

٤ — وقد قام الإجماع على أن ما بين الدفتين هو الذى تركه ﷺ ، وهو الذى جمعه عثمان رضى الله عنه ، فمن أنكر حرفا منه أو زاد فيه أو غير منه حرفا بحرف أو زعم أنه ليس بحجة للنبى ﷺ ، عامداً لكل هذا فهو كافر بالإجماع ؛ للنص عليه وإجماع الأمة على نقله متواتراً .

قال القاضى عياض « واعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشىء منه ، أو سبهما أو جحده أو حرفا منه أو آية ، أو كذب به أو بشىء منه ، أو كذب بشىء مما صرح به فيه من حكم أو خبر ، أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته ، على علم منه بذلك ، أو شك فى شىء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع ؛ قال الله تعالى : ﴿ وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ ... ولهذا رأى مالك قتل من سب عائشة رضى الله عنها بالفرية ؛ لأنه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل »[1] .

وقال القرطبى « والقرآن الذى جمعه عثمان بموافقة الصحابة له لو أنكر بعضه منكر كان كافراً ، حكمه حكم المرتد ، يستتاب فإن تاب

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢ — ٢٨٧ : ٢٨٩) .

وإلا ضربت عنقه » . . . قال أبو بكر : وفى قوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ دلالة على كفر هذا الإنسان،لأن الله عز وجل قد حفظ القرآن من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان ، فإذا قرأ قارىء « تبت يدا أبى لهب وقد تب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب ومريته حمالة الحطب فى جيدها حبل من ليف» فقد كذب على الله جل وعلا وقوله مالم يقل وبدل كتابه وحرفه، وحاول ماقد حفظه منه ومنع من اختلاطه به ، وفى هذا الذى أتاه توطئة الطريق لأهل الإلحاد ؛ ليدخلوا فى القرآن ما يحلون به عرا الإسلام ، وينسبونه إلى قوم كهؤلاء القوم الذين أحالوا هذا بالأباطيل عليهم ، وفيه إبطال الإجماع الذى به يحرس الإسلام وبثباته تقـــام الصلوات وتؤدى الزكوات وتتحرى المتعبدات »(١) . . إلخ .

٥ — وبمثل هذا تشهد العقول الصحيحة والأذهان الصريحة،وإلا فأى عقل كان يوجب تأخير سورة « اقرأ » إلى أخريات الكتاب وهى أول مانزل؟ وتقديم سورة البقرة وهى مدنية وفيها آخر آية نزلت؟ أو يوجب تأخير المنسوخ فى آية العـــدة ؟ أو يوجب تقديم المسبب على السبب فى قوله ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ . . . ﴿ وإذ قتلتم نفساً ﴾؟ إذن فهذا أمر لا يهتدى إليه بعقل بل لابد فيه من السماع (٢) .

قال الباقلانى : « وحكاية قول من قال ذلك يغنى عن الرد عليه ؛ لأن العدد الذين أخذوا القرآن فى الأمصار وفى البوادى وفى الأسفار والحضر، وضبطوه حفظا من بين صغير وكبير، وعرفوه حتى صار لايشتبه على أحد منهم حرف : لايجوز عليهم السهو والنسيان ولا التخليط فيه والكتمان ،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١ — ٨٤) .

(٢) مقدمتان فى علوم القرآن (٦١ ، ٦٢) بتصرف .

ولو زادوا أو غيروا لظهر ... ولو جاز أن يكون بعضه مكتوما لجاز على كله ، ولو جاز أن يكون بعضه موضوعاً لجاز ذلك فى كله »(١) .

أما بعـــد . . .

فإن القرآن المتلو فى جميع أقطار الأرض ، والمكتوب فى المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس ، هو كلام الله ووحيه المعجز المنزل على نبيه سيدنا محمد ﷺ ، وهو الموجود بين أيدينا وإلى أن تقوم الساعة بدون تحريف ولا تغيير بزيادة أو نقص أو تقـــديم أو تأخير أو إبدال ، وجميع مافيه حق ، نقله الخلف عن السلف حسب ما لقنه جبريل عليه السلام للنبى ﷺ .

---

(١) إعجاز القرآن (١٨ : ٢٠) :

الفصل الأول

جمع القرآن الكريم

الجمع فى اللغة معناه الاستقصاء والإحاطة بالشىء، تقول جمعت علم كذا، إذا أحطت بمسائله واستوعبته، وجمع القرآن معناه استيعابه والإحاطة به — وإذا أطلق العلماء لفظ الجمع على القرآن، فإنما يريدون منه الحفظ فى الصدور، أو يريدون كتابته مفرقاً أو مجموع الآيات فى سورها كل سورة على حدة، أو مجموع الآيات فى سورها مع وضع كل سورة عقب أختها، والمراد بالجمع هنا جمع مخصوص: وهو جمع متفرقه فى صحف، ثم جمع تلك الصحف فى مصحف واحد مرتب السور.

وقد توافر للقرآن الجمع بطريق الحفظ والكتابة معاً منذ أول عهده إلى الآن، وسيبقى كذلك، تحقيقاً لوعد الله تعالى بحفظه حيث قال «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون».

أولا: جمع القرآن فى عهد النبى ﷺ

١ — جمع القرآن بمعنى حفظه فى الصدور:

كان ﷺ شديد الحرص على حفظ القرآن واستظهاره، فور سماع الألفاظ من جبريل عليه السلام، يدلنا على ذلك ما كان يعانيه من شدة فى التلقى وحرصه على تحريك لسانه بالوحى قبل أن ينتهى منه جبريل؛ خوف تفلته واستعجالا لحفظه؛ فقد روى البخارى بسنده عن ابن عباس

رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك به شفتيه . . . . « فأنزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال : جمعه لك فى صدرك وتقرؤه (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) قال : فاستمع له وأنصت (ثم إنا علينا بيانه) ثم إن علينا أن تقرأه ، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل قرأه النبى ﷺ كما قرأه(١) » وهـذا تحقيق وعد الله « سنقرئك فلا تنسى » .

وكان ﷺ يبلغه الصحابة وكانوا يتسابقون فى أخذه عنه ، واشتهر منهم الكثير، وكيف لا يكون هذا وقد علموا أن فى القرآن عزهم فى الدنيا وسعادتهم فى الآخرة ؟ ومما ساعدهم على سرعة حفظه بدون مشقة : ظروف العرب أنفسهم الطبيعية وما فيها من صفاء وسعة ، تدعو إلى نشاط الذهن وصفاء القريحة .

وفى الأحاديث الكثير الذى يدعو ويحث على حفظ القرآن وتعلمه : روى البخارى رضى الله عنه عن عثمان رضى الله عنه « عن النبى ﷺ قال : خيركم من تعلم القرآن وعلمه »(٢) .

وفى الحديث المتفق عليه عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال « قال رسول الله ﷺ : مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب

---

(١) انظر الحديث بطوله فى البخارى (١ — ٤) ، (٦ — ٢٠٣)

(٢) صحيح البخارى (٦ — ٢٣٦)

وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر(١) » .

وكانوا يقرأونه عن ظهر قلب ، ومنه حديث سهل فى المرأة التى وهبت نفسها للنبى ﷺ ، ولما أعرض عنها ، قام رجل من أصحابه فتزوجها . وفى الحديث « فلما جاء قال ماذا معك من القرآن ؟ قال معى سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا عددها ، قال أتقرؤهن عن ظهر قلبك ؟ قال : نعم . قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن(٢) » .

وكانوا يعلمونه صبيانهم « قال ابن عباس : توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم(٣) » .

وأما عن الأجر فى الآخرة فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح(٤) .

وعن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح(٥) .

تلك هى بعض الأحاديث التى تبين لنا السبب فى إقبالهم على القرآن تلاوة وحفظا ، ومدى عنايتهم به . وكانوا يتقربون به إلى الله ويتلونه فى

---

(١) رياض الصالحين (٣٦١) وصحيح البخارى (٦ — ٢٣٥)
(٢) صحيح البخارى (٦ — ٢٣٧ ، ٢٣٨)
(٣) نفس المصدر
(٤ ، ٥) رياض الصالحين (٣٦٢ ، ٣٦٣)

صلواتهم وتهجدهم وتعلمهم وتعليمهم ، وقد عين الرسول ﷺ جماعة لتعليم الصحابة - فقد روى الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن عمرو قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول خذوا القرآن من أربعة : من ابن أم عبد - فبدأ به - ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وسالم مولى أبى حذيفة ، وفى رواية عنه « استقرئوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة وأبى ابن كعب ومعاذ بن جبل(١) » .

وبمثل هذا الاهتمام التام بالقرآن كتاب الله إلى أهل الأرض ، أتقنه الألوف من الصحابة واهتموا به وحفظوه على مدى السنين الأولى من صدر الإسلام .

ويتلخص من هذا أن عوامل الحفظ عند الصحابة هى :

١ — أن القــــرآن مصدر التشريع الأول ولم تكن لديهم وسيلة لتسجيله . فكان مرجعهم فيه الرسول ﷺ .

٢ — القرآن سبب عزهم فى الدنيا إذ به يسوسون الناس ، وسبب عزهم فى الآخرة حيث يشفع لهم ويرفع مراتبهم .

٣ — فى القرآن من الخصائص البلاغية والمزايا البيانية ما جاوز مقدرة العرب ، وبلغ بهم حد الإعجاز ، فكان فى قراءتهم له متعة نفسية وروحية ، وهذا ما حببهم فى الإكثار من قراءته وتكراره ، وإذا أضفنا إلى هذا العامل أنهم كانوا قانعين بضروريات الحياة والإنسان إذا كان بعيدا عن الشواغل كان أقدر على الحفظ وكان ما يحفظه أقرب للثبات :

علمنا أنهم قد أفرغوا أنفسهم لحفظ كتاب الله وملأوا وقتهم لتكراره وترداده .

---

(١) شرح النووى على مسلم (١٦-١٧ : ١٩)

القراء من أصحاب النبي ﷺ

ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام فى أول كتابه (القراءات) القراء من أصحاب النبي ﷺ . فعد من(١) المهاجرين الخلفاء الأربعـــة وطلحة وسعدا وابن مسعود وحذيفة وسالما وأباهريرة وعبد الله بن السائب وابن الزبير والعبادلة وعمرو بن العاص ومعاوية . ومن أمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة .

وعد من الأنصار أبي بن كعب وأبا الدرداء وزيد بن ثابت وأنس بن مالك وعبادة بن الصامت ومعاذا الذى يكنى أباحليمة ومجمّع بن جارية وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد وغيرهم .

وصرح بأن بعضهم كمله بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى .

وذكر الحافظ الذهبي فى مقدمة كتابه (طبقات القراء)(٢) أن العدد الذى عرض القرآن على النبي ﷺ هو هذا : عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب وأبى بن كعب وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعرى وأبو الدرداء .قال ومن جمعه من الصحابة كثير كمعاذ وأبى زيد وسالم وعبد الله بن عمر وعقبة (ولكن لم تتصل قراءتهم عن طريقه ، وإن كانت قد وصلتنا عن غيره) .

قال : وقرأ على أبى جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس

---

(١) انظر فى القراء : البرهان (١ — ٢٤٢) والنشر (١ — ٦) والإتقان (١ — ٧٢) وفتح البارى (١٠ — ٤٢٧)

(٢) مصور بدار الكتب المصرية رقم (١٥٣٧) تاريخ .

وعبد الله بن السائب . وأخذ ابن عباس عن زيد أيضاً . وأخذ عنهم خلق كثير من التابعين(١) .

وقال العيني : إن القراء من أصحاب النبي ﷺ كثير عددهم - وممن ذكرهم عبادة بن الصامت وأبو أيوب خالد بن زيد وقيس بن أبي صعصعة البدري وقيس بن السكن وأم ورقة بنت نوفل وقيل بنت عبد الله بن الحارث - قال عنها ابن سعد : إن الرسول ﷺ كان يزورها ويسميها الشهيدة ، وأمرها أن تؤم أهل دارها وكان لها مؤذن وقد جمعت القرآن(٢) .

ثم قال بعد أن عدد بعضهم «وقد ظهر من هذا أن الذين جمعوا القرآن على عهده ﷺ لا يحصيهم أحد ولا يضبطهم عدد»(٣) .

هذا عدا روايات الصحيحين الدالة على أخذ الصحابة القرآن من في رسول الله ﷺ ، وهم الذين تصدوا لتعليم القرآن واشتهروا بحفظه(٤) . والروايات التاريخية التي تثبت أن الصحابة قد استشهد منهم في بئر معونة سبعون رجلا كان يقال لهم القراء ، وفي يوم اليمامة قريب من خمسمائة(٥)

وهذه الروايات وغيرها وإن عينت بعض الذين عرضوا القرآن على النبي ﷺ أو قرأوه عليه أو تصدوا لتعليمه ونشره بين الأمة ، فليس يعني

---

(١) البرهان (١-٢٤٢ ، ٢٤٣) الإتقان (١-٧٢) .
(٢) الطبقات الكبرى (٨-٣٣٥)
(٣) عمدة القاريء (٢٠-٢٧)
(٤) انظر فتح الباري (١٠-٤٢٢ ، ٤٢٧) وشرح مسلم (١٦-١٩)
(٥) فضائل القرآن لابن كثير ص ٩ .

هذا أن غيرهم لم يفعل مثل فعلهم ، بل إن عدة الجامعين من الكثرة بحيث لا يحصيهم إلا الله تعالى .

طعن الرافضة فى تواتر القرآن

روى البخارى فى باب القراء من أصحاب النبى ﷺ عن قتادة قال « سألت أنس بن مالك رضى الله عنه : من جمع القرآن على عهد النبى ﷺ ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار : أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ، وفى رواية أخرى عنه أيضاً قال « مات النبى ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد . قال ونحن ورثناه ، زاد مسلم « قال قتادة : قلت لأنس من أبو زيد ؟ قال أحد عمومتى(١) » .

طعن الرافضة فى تواتر القرآن مستدلين بهذين الحديثين ، ولكن لاحجة لهم فيهما . والحديثان بينهما مخالفة فى التصريح بصيغة الحصر وعدمها وفى ذكر أبى بن كعب مرة وأبى الدرداء مرة أخرى .

(أ) فأما عن ذكر أبى الدرداء أو أبى : فقد قال الإسماعيلى « لا يجوزان فى الصحيح مع تباينهما ، بل الصحيح أحدهما ، وقال الداودى « لا أرى ذكر أبى الدرداء محفوظا ، قال ابن حجر « وقد أشار البخارى إلى عدم الترجيح باستواء الطرفين »(٢) فذكر الرواية التى فيها أبو الدرداء

---

(١) صحيح البخارى (٦ — ٢٣٠) ومسلم بشرح النووى (١٦ — ١٩ ، ٢٠)

(٢) فتح البارى (١٠ — ٤٢٨) .

من طريقين، والتي فيها أبي بجعلها خاتمة أحاديث الباب وهي « عن ابن عباس قال قال عمر : أبي أقرؤنا وإنا لندع من لحن أبي . . . الحديث »(١) ولعل البخاري أشار بإخراجه إلى ذلك لتصريح عمر بترجيحه في القراءة على غيره. ويحتمل أن يكون أنس حدث بهذا الحديث في وقتين ، فذكر مرة أبي بن كعب ومرة بدله أبا الدرداء » . « وقال الكرماني : لعل السامع كان يعتقد أن هؤلاء الأربعة لم يجمعوا ، وكان أبو الدرداء ممن جمع ، فقال أنس ذلك رداً عليه . وأتى بصيغة الحصر ادعاء ومبالغة ، ولا يلزم منه النفي عن غيرهم بطريق الحقيقة »(٢) .

والحق أن البخاري باستدلاله بالروايتين وتقويته كلا منهما وعدم ترجيح واحدة منهما على الأخرى ، يشير إلى أنه قد أخذ بمفهومهما على الحقيقة ، وكأنه يقول : الكل ثابت ، وكل رواية صح منها عدد يثبت به التواتر . والله أعلم .

(ب) وقد يجاب عن الحصر بأجوبة أخرى : منها ماذكره الباقلاني وغيره أن الأحاديث مضطربة وإن خرجت في الصحيحين . وعلى تقرير سلامتها فالمراد أنه لم يجمعه على جميع الأوجه التي نزل بها إلا أولئك ، أو لم يجمعه أخذاً من فيه ﷺ غيرهم، أو أنهم أكثر ضبطا له وأتقن لأدائه، وهم الذين تصدوا لأدائه بعده ﷺ(٣) .

ويحتمل أن يكون مراد أنس من الحصر فيهم تعلق غرضه بهم . أو أن

---

(١) صحيح البخاري (٦ — ٢٣٠) .

(٢) فتح الباري (١٠ — ٤٢٨ ، ٤٢٩) .

(٣) انظر فتح الباري (١٠ — ٤٢٦ ، ٤٢٧) والبرهان (١ — ٢٤٢) والإتقان (١ — ٧٠ : ٧٢) .

ذلك بالنظر إلى علمه لا بالنظر إلى الواقع ، وقد أخطأ فى اعتقاده هذا ، وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع تفرق الصحابة فى البلاد .

وقد استبعد ابن حجر غالب هذه الاحتمالات ، وقال : إن فيها تكلفاً ظاهراً .

هذا. وإن الذين قالوا إن الحصر غير حقيق محجوجون برواية الطبرى من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة « افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقال الأوس منا أربعة : من اهتز له العرش سعد بن معاذ . ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت . ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبى عامر . ومن حمته الدبر عاصم بن ثابت . فقال الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم » .. فذكره(١) فهى صريحة فى الحصر وتؤيد كون رواية أنس على الحقيقة ، وقد جاء التصريح بالحصر فى إحدى روايتى البخارى وقد سبق ذكرهما .

والجواب الذى نرتضيه فى الرد على هؤلاء الملاحدة الذين تخيلوا أنهم وجدوا مطعنا فى تواتر القرآن :

أن كلام أنس على ظاهره ، وأنه لا يشترط فى تواتر القرآن أن يحفظه من أوله إلى آخره عدد التواتر ، بل يكفى أن يكون كل جزء منه محفوظا عند العدد الذى يتحقق به التواتر .

قال ابن حجر « من أين لهم أن الواقع فى نفس الأمر كذلك ؟

---

(١) فتح البارى (١٠ — ٤٢٦) — والدبر جماعة النحل والزنابير — وانظر قصة هؤلاء الصحابة فى الإصابة .

— يقصد أن غيرهم جمعه — سلمناه ، لكن لا يلزم من كون كل واحد من الجم الغفير لم يحفظه كله ألا يكون حفظ بمجموعه الجم الغفير ، وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه ، بل إذا حفظ الكل الكل ولو على التوزيع كفى »(١) .

وهذا كلام جيـــد ، ويؤازره كلام النووى فى التوفيق أيضاً حيث قال :

« روى غير مسلم حفظ جماعات من الصحابة فى عهد النبى ﷺ ، وذكر المـازرى خمسة عشر صحابيا ، وثبت فى الصحيح أنه قتل يوم اليمامة سبعون ممن جمع القرآن ، وكانت اليمامة قريبا من وفاة النبى ﷺ فهؤلاء الذين قتلوا من جامعيه يومئذ ، فكيف الظن بمن لم يقتل ممن حضرها ومن لم يحضرها وبقى بالمدينة أو بمكة أو غيرهما ؟ ولم يذكر فى هؤلاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ونحوهم من كبار الصحابة الذين يبعد كل البعد أنهم لم يجمعوه مع كثرة رغبتهم فى الخير وحرصهم على مادون ذلك من الطاعات ، وكيف نظن هذا بهم ونحن نرى أهل عصرنا حفظه منهم فى كل بلدة ألوف ، مع بعد رغبتهم فى الخير عن درجة الصحابة ؟

مع أن الصحابة لم يكن لهم أحكام مقررة يعتمدونها فى سفرهم وحضرهم إلا القرآن وماسمعوه من النبى ﷺ ، فكيف نظن بهم إهماله ؟

فكل هذا وشبهه يدل على أنه لا يصح أن يكون معنى الحديث أنه لم يكن فى نفس الأمر أحد يجمع القرآن إلا الأربعة المذكورين . والجواب الثانى أنه لو ثبت أنه لم يجمعه إلا الأربعة ، لم يقدح فى تواتره ، فإن أجزاءه

---

(١) فتح البارى (١٠ — ٤٢٨) .

حفظ كل جزء منها خلائق لا يحصون يحصل التواتر ببعضهم ، وليس من شرط التواتر أن ينقل جميعهم جميعه ، بل إذا نقل كل جزء عدد التواتر صارت الجملة متواترة بلا شك . ولم يخالف فى هذا مسلم ولا ملحد . وبالله التوفيق »(١) .

والخلاصة أن الصحابة رضى الله عنهم قد عنوا بحفظ القرآن وتبليغه وإقرائه والكثير منهم فعلوا ذلك فى حياته ﷺ ، وبعد وفاته حفظه من لا يحصى ، وتلقاه التابعون عن الصحابة ، وعنهم من بعدهم عصراً بعد عصر ، إلى أن وصل إلينا كعهد النبى ﷺ به ، وذلك تحقيقاً لوعد الله بحفظه « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

٢ — جمع القرآن بمعنى كتابته فى السطور :

نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ شيئا فشيئا : الآية وجزءها والآيتين والأكثر والسورة والأكثر ، وكان كلما نزل شىء بادر ﷺ بتبليغه لأصحابه ، وكان مع هـــذا يملى على أصحابه الكتبة ما ينزل عليه من القرآن ، ولقد كتب كله فى حضرته بأمر منه وبرعايته عليه الصلاة والسلام .

ومن الأحاديث الدالة على أن القرآن كان يكتب فى حضرته عليه الصلاة والسلام — مارواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى « أن رسول الله ﷺ قال : لا تكتبوا عنى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه »(٢) .

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (١٦ — ١٩ ، ٢٠) .
(٢) مسلم بشرح النووى (١٨ — ١٢٩) .

وروى الإمام أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وصححه ابن حبان والحاكم عن ابن عباس عن عثمان قال : كان رسول الله ﷺ مما يأتى عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول : ضعوا هـــذا فى السورة التى يذكر فيها كذا[١] » .

وأخرج الإمام أحمد والترمذى — وقال عنه حسن غريب — والحاكم — وقال عنه : صحيح على شرط الشيخين وصححه الذهبى — عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال رسول الله ﷺ طوبى للشام ، فقلنا لأى شيء ذلك ؟ قال لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم »[٢] . قال البيهقى : يشبه أن يكون المراد به تأليف مانزل من الآيات المفرقة فى سورها وجمعها بإشارة من النبى ﷺ .

وقال البغوى : يقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة ، التى بين فيها مانسخ ومابقى وكتبها لرسول الله ﷺ وقرأها عليه ، وكان يقرىء الناس بها حتى مات[٣] .

فهذه الأحاديث تدل على أن القرآن قد كتب بين يدى النبى ﷺ وبأمره ومانزل شيء من القرآن — آيه وسوره — إلا وضع موضعه بتوقيفه وإعلام الصحابة بذلك .

---

(١) فتح البارى (٩ - ١٨) .

(٢) الفتح الربانى على المسند (١٨ - ٣٠) والمستدرك (٢ - ٢٢٩ ، ٦١١)

(٣) الإتقان (٢ - ٥٧)

قال المحاسبى فى (فهم السنن) « كتابة القرآن ليست محدثة فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقا فى الرقاع و الأكتاف والعسب(١) وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشر فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شىء »(٢)

كتاب الوحى

أول من كتب له فى مكة من قريش عبد الله بن سعد بن أبى سرح(٣) وأول من كتب له بالمدينة أبى بن كعب ، و كتب له قبل زيد بن ثابت . و كتب له فى الجملة الخلفاء الأربعة . والزبير بن العوام . وسعيد بن العاص وابناه خالد وأبان وحنظلة بن الربيع الأسدى. وعبد الله بن الأرقم الزهرى ومعيقب بن أبى فاطمة الدوسى . وشرحبيل بن حسنة . وعبدالله بن رواحة

---

(١) الرقاع تكون من الجلد وغيره ، والأكتاف العظم المعروف من البعير أو الشاة ، والعسب الأطراف العريضة من جريد النخل . وأما اللخاف فهى الحجارة الرقاق . والأقتاب الخشب الذى يوضع على ظهر البعير .

(٢) البرهان (١ - ٢٣٨) :

(٣) أخو عثمان من الرضاعة ، ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح ، شهد فتح مصر وكان صاحب الميمنة ، وغزا إفريقية وذات الصوارى والأساود ، وكان واليا على الصعيد زمن عمر ثم ضم إليه عثمان مصر كلها . ولما وقعت الفتنة سكن عسقلان ولم يبايع لأحد بعد عثمان ، وقيل شهد صفين وعاش إلى سنة ٥٧ هـ . وجهاده فى الإسلام أعظم من أن نقبل فيه قول المستشرقين ذوى الأغراض الدنيئة [الإصابة لابن حجر جـ ٢ ص ٣١٦ : ٣١٨ والطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٧ ص ١٩٠ ، ١٩١] .

وثابت بن قيس . وأبو سفيان وابناه معاوية ويزيد . وطلحة بن عبيد الله. وسعد بن أبى وقاص . وعامر بن فهيرة . والعلاء بن الحضرمى . وخالد ابن الوليد. وعمرو بن العاص. والمغيرة بن شعبة . وحذيفة بن اليمان . وحويطب بن عبد العزى . وقد أحصى بعضهم كتاب الوحى بين يديه ﷺ بثلاثة وأربعين كاتبا كان ألزمهم للنبى ﷺ وأكثرهم كتابة له زيد ابن ثابت . وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين(١) وكان القرآن يكتب فى الرقاع والأكتـــاف والعسب واللخاف والأقتاب والألواح والصحف، ثم يحفظ فى بيت النبى ﷺ وقد انقضى العصر النبوى المبارك والقرآن مكتوب فى صحف مفرقة ، وكان ترتيبه محفوظا عند الجميع بتعريف النبى ﷺ لهم ، وإعلامهم وإقرائهم وقراءته وهم يسمعون ، وكان - ﷺ - يبادر إلى ذلك ليقرأ الصحابة القرآن على الترتيب الذى ارتضاه الله عز وجل وأوحى به إليه ، وليس من المعقول أن يبلغوا عنه القرآن على خلاف الترتيب الذى جاء به الوحى . وكانوا يكتبونه حسب ما ينزل ، حتى إذا تمت آيات السورة وضعوها على الترتيب الذى وقفهم عليه الرسول ﷺ ، وإذا تمت عدة سور وضعوها على الترتيب الذى علموه من النبى كذلك ، وقد تم القرآن كله على هذا الترتيب الذى هو عليه الآن . وهذا لا يمنع أن يكون البعض كتب لنفسه خاصة، ولكن الكثرة كانت تعتمد على الحفظ على عادتهم فى حفظ الأشعار والأنساب والأيام لانتشار الأمية فيهم .

---

(١) فتح البارى (٩-١٨) وعمدة القارىء (٢٠-١٩) وتاريخ القرآن للزنجانى (٢٠-٢١)

الباعث على الكتابة فى هذا العهد النبوى

القرآن الكريم معجز بلفظه ، ولا يمكن أن تقوم عبارة أخرى مقام عبارته . أو يحل نظام آخر محل هـــذا النظام المعجز ، لذلك كان جديرا بأبلغ ما يمكن من الاحتياط فى ضبط ألفاظه وصيانته من التغيير أو التحريف .

وهذه الدقة الملازمة للقرآن وهذا الاحتياط الفائق لا يتحققان إلا بالحفظ والكتابة معا ، فإن الكتابة تعاضد الحفظ وتظاهره ، فيكون اجتماعهما معاً أعظم لحفظه وصيانته . ومن هنا كانت عناية الرسول ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم ، التى لم تقف عند حد الحفظ ، بل وجد بجوانبه التسجيل فى تلك الوثائق الرسمية التى كانت منها النسخة البكرية ثم العثمانية .

إذن فالباعث على كتابة القرآن هو زيادة التوثق له . فالمحافظة عليه من طريقين : طريق حفظه فى الصدور وطريق كتابته فى السطور .

ثم إنه بعد وفاة النبى ﷺ ظهرت له فائدة جليلة : هى أنه لما جمع القرآن فى عهد خليفة الرسول ، كان لدى الصحابة مصدران ، اعتمدوا عليهما فى الجمع ، هما الحفظ والكتابة . وفيهما من التثبت وزيادة التحرى ما لم يكن يوجد لو كان الاعتماد على مصدر واحد .

لماذا لم يجمع الرسول القرآن فى مكان واحد ؟

لم يلحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى إلا وقد دون القرآن كله ، ولكنه لم يجمعه بين دفتين ، للأسباب الآتية :

١ — أن القرآن كان ينزل حسب الدواعى ، وكان بعضه ينسخ فى أوقات مختلفة . فلو كتب ما ينزل أولا بأول فى صحيفة واحدة على التدريج ثم احتيج إلى تغيير المنسوخ ، لزم الحرج ؛ لعدم توافر أدوات الكتابة ؛ إذ الذى ينسخ لابد أن يمحى ويحل محله ما نسخه ؛ لأنه لو لم يرفع من الصحيفة لأدى إلى الالتباس والاختلاط وعدم معرفة الناسخ من المنسوخ ، وتغيير الكتابة من آن لآخر فيه عناء ومشقة .

قال الزركشى « وإنما لم يكتب فى عهد النبى ﷺ مصحف ؛ لئلا يفضى إلى تغييره كل وقت ؛ فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته ﷺ فكتب أبو بكر والصحابة بعده . ثم نسخ عثمان المصاحف التى بعث بها إلى الأمصار(١) » ويقول « وإنما ترك جمعه فى مصحف واحد ؛ لأن النسخ كان يرد على بعض ، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين ، فحفظه الله فى القلوب إلى انقضاء زمان النسخ ، ثم وفق الله لجمعه الخلفاء الراشدين(٢) » .

٢ — ثم إن القرآن نزل مفرقا على أكثر من عشرين سنة ، ولا يتأتى جمعه فى صحيفة واحدة وهو لا يزال ينزل ؛ إذ لو نزلت آية والحالة كذلك لاتجد لها موضعا ، فكان لابد من ترك الباب مفتوحا لما يجد من الآيات .

٣ — وأيضاً فإن الحاجة إلى الجمع فى مكان واحد لم تكن إلا فى عهد الصديق رضى الله عنه . حين خيف ذهاب القرآن بموت حفظته . وأما فى حياته عليه الصلاة والسلام فلا خوف ؛ إذ الوحى مازال يتنزل والرسول يعلمهم القرآن ويذكرهم به ، والصحابة يحفظونه ويتدارسونه ، فالفتنة مأمونة . فلما

---

(١) البرهان (١ — ٢٦٢) .

(٢) نفس المرجع (١ — ٢٣٥) .

انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى ألهم الله الخلفاء الراشدين جمعه وفاء لوعده بضمان حفظه على هـذه الأمة المحمدية . وكان كما أنزله الله عز وجل على رسوله ﷺ ، من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير .

ثانيا : جمع القرآن فى عهد أبى بكر

اشتهر أن عثمان بن عفان رضى الله عنه هو أول من جمع المصاحف، والحق أن أبا بكر رضى الله عنه هو أول من جمع القرآن فى مصحف واحد، وأما عثمان فقد نسخه فى مصاحف عدة أرسلها إلى الأمصار حين خاف اختلاف الأمة فى القراءة . وكل ذلك كان بمشورة الصحابة رضى الله عنهم وبرضاهم .

وقد حمد على بن أبى طالب أثر أبى بكر فيه: روى عبد خير عن على قال «أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر، فإنه أول من جمع بين اللوحين» وقال «سمعت عليا يقول أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر رحمة الله على أبى بكر هو أول من جمع بين اللوحين»(١) .

وحدثت فى أيام أبى بكر حروب طاحنة، كان من أشهرها موقعة اليمامة بين المسلمين وبين مسيلمة الكذاب، وقد استشهد فيها كثير من حفظة القرآن فخشى عمر رضى الله عنه أن يتكرر مثل هذا فى المستقبل ، وقد يكون عند من يستشهد منهم أشياء من القرآن يحفظها ولا يحفظها غيرهم، ولا يبعد مع هذا أن يفقد شىء من القطع المتنوعة التى كتبت بين يدى الرسول ﷺ وقد يكون ما كتب فى هذه القطع لا يحفظه إلا القراء الذين استشهدوا، وبذلك يضيع شىء من القرآن .

---

(١) المصاحف لابن أبى داود ص ٥

فذهب إلى خليفة المسلمين يطالبه أن يجمع القرآن فى صحف متماثلة فى المقدار ثم يجعلها بين دفتين ، حتى يمكن صيانتها من الضياع أو تمزق بعض أجزائها . وكان بينهما ما رواه البخارى عن زيد بن ثابت قال « أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده . قال أبو بكر رضى الله عنه إن عمر أتانى فقال إن القتل قد استحر(١) يوم اليمامة بقراء القرآن وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر ، قال زيد : قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم» ، حتى خاتمة براءة . فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنه »(١) .

ولقد استمرت الصحف عند حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها لأنها كانت وصية عمر من أولاده على أوقافه وتركته ، ثم أرسل إليها عثمان ،

---

(١) استحر القتل : اشتد [القاموس ٢ — ٨]

(٢) صحيح البخارى (٦ — ٢٢٥ ، ٢٢٦)

فأبت أن تدفعها إليه ، حتى عاهدها ليردنها إليها ، فبعثت بها إليه ، فنسخها عثمان في هذه المصاحف ، ثم ردها إليها ، فلم تزل عندها حياتها ، حتى أرسل مروان بن الحكم وطلبها من أخيها عبد الله وأحرقها ، وكان مروان حينذاك واليا على المدينة المنورة .

روى الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح «عن سالم أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها عن المصحف الذي نسخ منه القرآن ، فتأبى حفصة أن تعطيه إياه فلما دفنا حفصة أرسل مروان إلى ابن عمر : أرسل إلى بذلك المصحف . فأرسله إليه»(١) .

هـــذا . . .

وقد ذكر سيدنا أبو بكر أربع صفات مقتضية تخصيص زيد للقيام بهذه المهمة هي :

١ — كونه شابا : فيكون أنشط لما يطلب منه من العمل المضني المحتاج إلى الصبر والجلد .

٢ — كونه عاقلا : فيكون أوعى لعمله ، فلا يقع فيه خلل أو نقص .

٣ — كونه غير متهم : فتركن النفس إلى عمله ، ولا يلتبس بأدنى ريبة .

٤ — كونه كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، والخبرة والممارسة أدعى لإخراج عمل متقن .

وهذه الصفات توجد في غير زيد ولكنها غير مجتمعة ، وقد كان — كما رأى الصديق — خير من يعهد إليه بهذا العمل العظيم الشأن الجليل الخطر .

والحديث الشريف : يذكر الباعث على جمع القرآن وأنه لخوف ضياع

---

(١) مجمع الزوائد (٧—١٥٦)

شيء منه بموت حفاظه إذا اشتد القتل في المواقع المقبلة والتي لا بد منها » وكان فعل أبي بكر رضى الله عنه من باب النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وإذا تأمل المنصف ما فعله من خير عم الأمة كلها ، أيقن أنه من مناقبه العظيمة مدى الدهر .

وقد كتب زيد ما أجمع عليه الجميع وتواترت روايته واقتصر على ما لم تنسخ تلاوته ووجد مكتوبا بين يدى النبى ﷺ : قال أبو شامة «وكان غرضهم ألا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدى رسول الله ﷺ لا من مجرد الحفظ . ولذلك قال في آخر سورة التوبة لم أجدها مع غيره : أى لم أجدها مكتوبة مع غيره، لأنه كان لا يكتفى بالحفظ دون الكتابة»(١).

فقد كان زيد يطلب التثبت ممن كتبها أو شاهد كتابتها عن النبى ﷺ . وليس المراد لم أجدها محفوظة ، لأنها كانت مع جمع يحصل بهم التواتر . ولقد اتبع أدق طريقة في التحقيق العلمى المألوفة في العصر الحديث ، حيث أخذ المروى عن النبى ﷺ محفوظا ومكتوبا .

ومما يدل على دقته واحتياطه في الجمع : أثر عمر في آية الرجم ، فقد أخرج ابن أشتة في كتاب (المصاحف) عن الليث بن سعد قال « أول من جمع القرآن أبو بكر و كتبه زيد . وكان الناس يأتون زيد بن ثابت . وكان لا يكتب آية إلا بشاهدى عدل . وإنه لم يجد آخر سورة براءة إلا مع أبي خزيمة ، قال اكتبوها فإن رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين ، فكتبت وأتى عمر بآية الرجم فلم يكتبها ؛ لأنه كان وحده »(٢).

فإنهم إذا لم يكتبوها مع شهادة عمر بها ، وروؤيتهم الرسول وهو جريء،

---

(١) الإتقان (١ — ٥٨)

(٢) نفس المرجع

ومعرفتهم بأنه من فرائض الله . فكيف نظن بهم أنهم يكتبون آية فى المصحف لم تبلغ مبلغ التواتر ؟ أولا ترى أنها لو لم تكن معروفة لديهم لم يفتقدوها ؟ وكيف يفتقدون ما لا يعرفون ؟ ولكن الحافظ قد يحتاط فيطلب مصحفا آخر فيكتب منه ، أو يستوثق من حافظ آخر ثم يثبته على ما عنده(١) . ثم إن الحافظ ابن حجر قال : إن أبا خزيمة لم ينفرد بها ، بل كان معه عمر وزيد بن ثابت وعثمان وأبى بن كعب ـ وذكر فى هذا المقام ثلاث روايات عن ابن أبى داود ورواية عن ابن التين عن الداودى ـ قال «وحكى ابن التين عن الداودى قال : لم ينفرد بها أبو خزيمة بل شاركه زيد بن ثابت ، فعلى هذا تثبت برجلين » وقال : «إن خزيمة بن ثابت قال تلقيت هاتين من رسول الله ﷺ ، فقال عثمان وأنا أشهد ، وقال « إن أبى بن كعب قال أقرأنيها رسول الله ﷺ » وقال «إن كلا من الحارث بن خزيمة وعمر قال : سمعت هاتين الآيتين من رسول الله ﷺ »(٢) .

وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على كتابتهما فى المصحف ، ولا يمكن أن يكون مستندهم فيه رواية واحد فقط، فإن الدواعى توافرت على نقله لاختصاصه بمزايا تحمل على ذلك ، هى إعجازه والتعبد بتلاوته وكونه أصل الشريعة الإسلامية .

فإذا لا بد أن يكون تبليغ النبى ﷺ هاتين الآيتين قد وقع لجماعة كبيرة وإثباتهم لها فى المصحف لا بد أن يكون قد استند إلى رواية جماعة كبيرة كذلك .

ويلاحظ أنه لم يتفق الرواة على اسم الذى وجد معه زيد آخر براءة ، أخرج البخارى فى كتاب (التفسير) الرواية باسم خزيمة الأنصارى .

---

(١) مقدمة كتاب المبانى (ص٣٧ ، ٣٨) بتصرف

(٢) انظر هذه الروايات فى فتح البارى (٩ — ١١ ، ١٢)

وفى (فضائل القرآن) باسم أبى خزيمة الأنصارى . وفى (الأحكام) شك وقال خزيمة أو أبو خزيمة — وذكر أحمد والترمذى والطبرانى الرواية باسم خزيمة بن ثابت (الأنصارى) — قال ابن حجر : والأرجح أن الذى وجد معه آخر سورة التوبة أبو خزيمة بالكنية ، والذى وجد معه الآية من الأحزاب خزيمة(١) ».

فوائد جمع أبى بكر :

١ — البحث عن القطع التى كتب فيها القرآن من قبل ، وجمعها قبل ضياع شىء منها أو تآكلها ، وتجديد كتابتهـــا فى صحف مجتمعة صالحة للاحتفاظ بها دائما .

٢ — اتصال السند الكتابى بالأخذ عما كتب بين يدى النبى ﷺ كاتصال السند المتواتر فى الرواية والتلقى عن الشيوخ ، فتكون كتابة أبى بكر بمثابة الطبقة الثانية وكتابة عثمان بمثابة الطبقة الثالثة وهكذا .

ثالثا : جمع القرآن فى عهد عثمان

علمنا أن القرآن كان مؤلفا فى زمن رسول الله ﷺ ، مكتوبا فى صحف متفرقة ، وكانت طائفة عظيمة من الصحابة تحفظه ، وطائفة تحفظ بعضه ، وفى زمن أبى بكر رضى الله عنه جمعه بمشورتهم فى مكان واحد .

وأما فى زمان عثمان رضى الله عنه فقد تغير الزمان واختلف الداعى لجمع القرآن ، حيث خيف الاختلاف المؤدى إلى تفكيك وحدة الأمة والشك فى نص القرآن وترك شىء منه أو الزيادة فيه .

---

(١) فتح البارى (٨ — ٢٣٩ ، ٩ — ١١) .

وقد كثرت الفتوحات الإسلامية ودخل الإسلام كثير من الأقطار العربية وتولى عثمان والفتوح الإسلامية على أشدها ، وزادت الرقعة التى تقرأ القرآن ، واختلط الناس بعضهم ببعض ، وفيهم من النشء الجديد كثير ممن يخفى عليهم كثير من الحقائق الدينية — لاسيما الذين نشأوا فى بلاد العجم — وكان كثير من الصحابة قد تفرقوا فيما فتحوا من البلاد وصار أهل كل مصر يقرأون بقراءة من نزل بينهم من صحابة رسول الله ﷺ ، ولا يعرف أكثرهم أن القرآن أنزل على سبعة أحرف فصار أهل كل مصر يخطىء قراءة المصر الآخر .

فدعت الحال إلى نشر مصحف يكون مرجعا فى كل الأقطار الإسلامية . وكان ذلك بمحضر جمهور الصحابة ورضاهم وموافقتهم . فطلب الخليفة الصحف البكرية من السيدة حفصة رضى الله عنها . وأحضر : زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وكتبوا خمسة مصاحف من غير تبديل ولا تغيير لما كانت عليه الصحف البكرية .

قال القاضى أبو بكر فى الانتصار « لم يقصد عثمان قصد أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين ، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل ، ولا منسوخا تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه ؛ خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتى بعده »(١) .

ثم بعث عثمان من يقرىء الناس : فممن كان بالمدينه من هؤلاء المقرئين زيد بن ثابت وابن المسيب وعروة . وممن كان بمكة عبد الله بن السائب

---

(١) البرهان (١-٢٣٥) والإتقان (١ — ٦٠) .

وعبيد بن عمير . وممن كان بالشام المغيرة بن شعبة . وممن كان بالكوفة أبو عبد الرحمن السلمى . وممن كان بالبصرة عامر بن قيس ... وغير هؤلاء كثير .

وقرأ أهل كل مصر بما كان فى مصحفهم على هؤلاء الصحابة(١) .

ويحسن بنا أن نذكر بعض الروايات التى تصور مدى تضارب المسلمين واختلافهم فى القراءة ، إلى حد تكفير بعضهم بعضا ، الأمر الذى أفزع الصحابة وجعلهم يسرعون إلى نسخ إمام يرجع إليه الجميع ؛ مخافة الفتنة سواء فى النص القرآنى أو فى وحدة الأمة الإسلامية .

روى البخارى عن أنس بن مالك ، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية أذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى : فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك . فأرسلت بها حفصة إلى عثمان . فأمر زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها فى المصاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا . حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان المصحف إلى حفصة . وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . قال ابن شهاب : وأخبرنى خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة

---

(١) النشر (١ — ٨) .

ابن ثابت الأنصاري « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فألحقناها في سورتها في المصحف »(١) .

وعند ابن أبي داود « عن أبي قلابة قال : لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين . قال أيوب لا أعلمه إلا قال : حتى كفر بعضهم بقراءة بعض ، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيبا ، فقال : أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون ، فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافا وأشد لحنا ، اجتمعوا يا أصحاب محمد واكتبوا للناس إماما . . . فلما فرغ من المصحف كتب إلى أهل الأمصار : إني قد صنعت كذا محوت ما عندي فامحوا ما عندكم »(٢) .

وعند ابن أشتة « فقال : عندي تكذبون به وتلحنون فيه ، فمن نأى عني كان أشد تكذيباً وأكثر لحنا »(٣) .

وفي رواية لابن أبي داود من طريق يزيد بن معاوية النخعي قال « إني لفي المسجد زمن الوليد بن عقبة في حلقة فيها حذيفة ، فسمع رجلا يقول قراءة عبد الله بن مسعود ، وسمع آخر يقول قراءة أبي موسى الأشعري ، فغضب ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : هكذا كان من قبلكم اختلفوا ، والله لأركبن إلى أمير المؤمنين ... » وفي رواية أن اختلافهم كان في آية « وأتموا الحج والعمرة لله » وقرأ بعضهم « وأتموا الحج والعمرة للبيت » .

قال ابن حجر : إن هذه القصة فيما يظهر له متقدمة على الأولى، وكأنه

---

(١) صحيح البخاري (٦ — ٢٢٦) .

(٢) المصاحف (٢١) .

(٣) الإتقان (١ — ٥٩) .

لما رأى الخلاف بين أهل الكوفة والبصرة ، ثم أهل العراق والشام ، اشتد خوفه فركب إلى عثمان : « وصادف أن عثمان أيضا كان وقع له نحو ذلك ، ثم قال عن رواية أبي قلابة : « فكأنه — والله أعلم — لما جاءه حذيفة وأعلمه باختلاف أهل الأمصار تحقق عنده ماظنه من ذلك »(١) .

ومن حديث البخارى نأخذ أن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن المنزل على النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقص ولا تقديم شيء على شيء ولا تأخيره عنه ، على ما علموه من النبي ﷺ ، وأن سعيهم كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه . وكان زيد قد شهد العرضة الأخيرة وكان يقرىء الناس بها حتى مات ؛ ولذا فقد اعتمده أبو بكر وعثمان .

ولا يخفى أن تكفير بعضهم بعضا — كما في رواية ابن أبي داود وابن أشتة يقتضى أن كل واحد كان ينكر مايقرأ الآخر ولا يعتقده قرآنا يجب الإيمان به ، وذلك إنما يتأتى في غير المتواتر وما نسخت تلاوته ، ولم يعلم القارىء بالناسخ وقد علمه المنكر عليه ، وهذا ماتؤيده القراءة في آية « وأتموا الحج والعمرة لله » ، « وأتمــوا الحج والعمرة للبيت » وهى في الشواذ(١) .

وأما ما كان متواتراً غير منسوخ التلاوة فهو معلوم للجميع ومجمع على ثبوته عن رسول الله ﷺ فلا يتأتى لأحد منهم إنكاره وتكفير قارئه .

وقد قيض الله تعالى الخليفة الثالث بإجماع أصحاب النبي ﷺ للقضاء على الفتنة وجمع الناس على مصحف واحد . وكان ذلك في سنة ٢٥ هـ

---

(١) فتح البارى (١٠—٣٩٢) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢—٣٦٩) .

فى السنة الثانية أو الثالثة من خلافته(١) ، وقام بنفسه للإشراف على هذا الأمر الجلل . يدلنا على ذلك اختلافهم فى لفظ (التابوت) وتحاكمهم إليه وأمره أن يكتبوه بلغة قريش ، وأخرج ابن أبى داود عن هشام بن محمد حديثا طويلا وفيه « فجمع اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار فيهم أبى ابن كعب وزيد بن ثابت وأرسل إلى الربعة التى فى بيت عمر فيها القرآن ، فكان يتعاهدهم . قال محمد فحدثنى كثير بن أفلح أنه كان يكتب لهم ... »(٢) إلخ .

وروى الدانى عن حذيفة قال « فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت وإلى عبد الله بن عمرو بن العاص وإلى عبد الله بن الزبير وإلى ابن عباس وإلى عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فقال انسخوا هذه الصحف فى مصحف واحد »(٣) .

وعند ابن أبى داود عن كثير بن أفلح قال « لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار ، فبعثوا إلى الربعة التى فى بيت عمر فجىء بها وكان عثمان يتعاهدهم ، فكانوا إذا اندرءوا فى شىء أخروه — قال محمد فظننت أنما كانوا يؤخرونه لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة فيكتبونه على قوله »(٤) قال ابن كثير : إسناده صحيح .

قال ابن حجر : وكان هذا الأمر أسند لزيد ومن معه أولا ،

---

(١) فتح البارى (١٠ — ٣٩١) .
(٢) المصاحف ص ٢٥
(٣) المقنع ص ٥
(٤) الإتقان (١ — ٥٩) .

فلما احتاجوا إلى من يساعد فى الكتابة بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف التى أرسلت إلى الآفاق أضافوا إليهم من يعاونهم . اه بتصرف(١) .

وقد اقتصر فيه على وجه واحد على اختيار وقع بينه وبين الصحابة وبمشورتهم ، أخرج ابن أبى داود بإسناد صحيح عن سويد بن غفلة قال « قال على لا تقولوا فى عثمان إلا خيرا ، فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملإ منا ، قال ما تقولون فى هذه القراءة ؟ فقد بلغنى أن بعضهم يقول إن قراءتى خير من قراءتك وهذا يكاد أن يكون كفرا ، قلنا فما ترى ؟ قال أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف ، قلنا فنعم ما رأيت »(٢) .

فالقرآن نزل أولا بلغة قريش ثم لما كثر العرب الذين دخلوا الإسلام دعا الرسول ﷺ ربه أن يسهل القرآن للجميع وأن يرفع المشقة عنهم — روى مسلم « عن أبى كعب أن النبى ﷺ كان عند أضاة بنى غفار ، قال فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك : أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك » .. وفيه « إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا » . وفى رواية عنده أيضا عن أبى « فرددت إليه أن هون على أمتى » الحديث(٣) .

ثم لما زالت الصعوبة واستقر الأمر وحدثت الخلافات بين القراء جرد عثمان لغة قريش التى عليها نزل القرآن أولا ، من تلك القراءات ؛ روى

---

(١) فتح البارى (١٠—٣٩٣ ، ٣٩٤)
(٢) نفس المرجع ، والبرهان (١—٢٣٩)
(٣) صحيح مسلم (٦ — ١٠٢ : ١٠٤)

البخارى عن عمر بن الخطاب مرفوعا « إن هـــذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه » ويقول ابن حجر « ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال أنزل القرآن أولا بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أبيح للعرب أن يقرأوه بلغاتهم التى جرت عاداتهم باستعمالها على اختلافهم فى الألفاظ والإعراب ، ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغة إلى لغة أخرى للمشقة ولما كان فيهم من الحمية ولطلب تسهيل فهم المراد » ثم يقول « قلت : وتتمة ذلك أن يقال إن الإباحـــة المذكورة لم تقع بالتشهى ، أى أن كل أحد يغير الكلمة بمرادفها فى لغته ، بل المراعى فى ذلك السماع من النبى ﷺ ، ويشير إلى ذلك قول كل من عمر وهشام فى حديث الباب : أقرأنى النبى ﷺ »(١) .

فالقول الفصل فى غرض عثمان رضى الله عنه : هو حمل الناس على لغة واحدة هى لغة قريش التى نزل عليها القرآن أولا ، وهذا الاقتصار يصدق كما هو ظاهر على مواطن الاختلاف فقط ، بجانب هـــذا استبعد عثمان ما عدا القراءة المجمع عليها مما نسخت تلاوته .

عدد المصاحف التى كتبها عثمان

المصاحف جمع مصحف . وهو بزنة اسم المفعول من أصحفه : جمع فيه الصحف . والصحيفة قطعة من جلد أو غيره يكتب فيها . وقد صار لفظ المصحف علما على ما يجمع فيه القرآن كله .

وقد اختلف العلماء فى عدد المصاحف التى كتبها عثمان : فعند أبى حاتم السجستانى سبعة وذكر ابن الجزرى أنها ثمانية . فزاد مصحف عثمان

---

(١) انظر فتح البارى [٩ — ٢١:٢٧]

نفسه الذى يقال له الإمام على مصحف : مكة والشام واليمن والبحرين والكوفة والمدينة .

وقال أبو عمرو الدانى « أكثر العلماء على أن عثمان بن عفان رضى الله عنه لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ ، وبعث إلى كل ناحية من النواحى بواحدة منهن ، فوجه إلى الكوفة إحداهن وإلى البصرة أخرى وإلى الشام الثالثة وأمسك عند نفسه واحدة . وقد قيل إنه جعله على سبع نسخ ووجـــه من ذلك أيضاً نسخة إلى مكة ونسخة إلى اليمن ونسخة إلى البحرين . والأول أصح وعليه الأئمة» (١) .

وأياما كان الأمر فإن عثمان قد أرسل بنسخة من المصحف إلى كل قطر فتحه المسلمون آنذاك ، يدل على ذلك العقل والنقل : أما العقل فإن الغرض من إرسال المصاحف إلى الأمصار هو القضاء على الفتنة التى كانت قائمة حينئذ بسبب اختلاف المسلمين فى القراءة ، والمنع من حدوث مثلها مرة أخرى فى أقطار المسلمين ، وهـــذا الغرض لا يتحقق إلا بإرسال المصاحف إلى جميع الأمصار . وأما النقل فهو حديث أنس الذى فيـــه « وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا » ، وكلمة أفق تدل بعمومها على أنه أرسل المصاحف إلى جميع الأمصار لا إلى بعضها دون بعض .

وقال ابن حجر نقلا عن ابن أبى هشام « وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل . قال : فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعا عن الصحابة ، بشرط موافقة الخط ، وتركوا ما يخالف الخط امتثالا لأمر عثمان الذى وافقه عليه الصحابة لمـــا رأوه فى ذلك من الاحتياط للقرآن »(٢) .

---

(١) المقنع ص (١٠)
(٢) أنظر فتح البارى (٩ — ٢١) وما بعدها .

فالطريقة التي اتبعوها في ذلك هي أنه إذا كانت صورة اللفظ خطا تحتمل القراءتين أو القراءات المتعددة كتبوه في جميع المصاحف بصورة واحدة . مثل لفظ « ننشرها » فتقرأ في وجه « ننشرها » وآخر «ننشزها» ومثل « فتبينوا » فتقرأ « فتبينوا » أو « فتثبتوا » وغير ذلك . وقد كانت المصاحف مجردة من النقط والشكل .

أما إذا كانت القراءتان لا يحتملهما رسم المصحف ، فإنهم يكتبون إحدى القراءتين في بعض المصاحف والأخرى في البعض الآخر ، وكان أهل كل مصر يقرأون بما في مصحفهم الذي وصل إليهم ، مع تلقي مافيه عن الصحابة المقيمين بينهم الذين تلقوه عن الرسول ﷺ .

مثال هذا : قول الله تعالى في سورة التوبة « تجري تحتها الأنهار » بحذف « من » في قراءة من حذفها وإثباتها في بعض المصاحف عند من قرأ بإثباتها .

هل المصاحف العثمانية تشتمل على الأحرف السبعة ؟

قال الجعبري : (إن مصحف عثمان مشتمل على الأحرف السبعة التي اشتمل عليها مصحف أبي بكر ولو احتمالا) اهـ . وقوله (ولو احتمالا) يعني ماوافقه ولو تقديراً مثل (مالك وملك) وعليه فتكون المصاحف مشتملة على ما في الصحف ، بمعنى أن مجموع المصاحف مشتمل عليها ، لا أن كل واحد مشتمل عليها ، ولا أنهم كتبوا كل الكلمات التي في صحف أبي بكر في مصاحف عثمان على صور تحتمل القراءات باللغات .

وقال ابن الجزري « ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط ، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على

جبرائيل عليه السلام . متضمنة لها لم تترك حرفا واحداً . قلت : وهذا القول هو الذى يظهر صوابه ، لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له . . الخ(١) .

وكلامهما فى المصاحف العثمانية مسلم،أما الصحف البكرية فقد اختلف فيها : هل تشمل الأحرف أو كانت بحرف قريش ؟ إن الترخيص فى أول الإسلام كان لوجود المشقة ، ولما تذللت ألسنتهم بالقراءة،وكان الاتفاق على حرف واحد سهلا عليهم ، اجتمعوا على حرف واحد وهو حرف قريش ، وهو الذى كان فى العرضة الأخيرة والتى كانت بحضر زيد ابن ثابت .

فالحق أن الصحف البكرية كانت بحرف قريش ، وأنها كانت مشتملة على ما يحتمله الرسم من الأحرف،وقد جردوها من النقط والشكل لتحتمل ما صح عن النبى ﷺ من أوجه .

وما كانوا ليسقطوا شيئاً من القرآن الثابت عنه ﷺ ، ولا يمنعوا القراءة به . ولكننا مع هذا نقول إن القراءة كانت بالحروف بدليل ماوقع من خلاف بين المسلمين فى عهده ﷺ وعهد عثمان رضى الله عنه .

وأما الكتابة فقد كان بعضهم يكتب لنفسه حسب اختياره بلغة قريش أو غيرها . ولكن الرسول ﷺ كان يكتب بلغة واحدة هى القرشية ، ولما وقع الخلاف فى عهد عثمان جمعهم على هذا الحرف وحده بمجمع من الصحابة .

يقول ابن حجر : إن القراءة على جميع الأحرف لم تكن واجبة على

---

(١) النشر (١ — ٣١) .

الأمة ، وإنما كان جائزا لهم ومرخصا لهم ، بدليل حديث الشيخين عن عمر «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ماتيسر منه» وحديث مسلم عن أبي « فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا » .

ولما رأى الصحابة اختلاف الأمة إذا لم يجمعوا على حرف واحد جمعوه على حرف قريش ، وهم معصومون من الضلالة ، ولم يكن في ذلك ترك واجب ولا فعل حرام ، وقد جمعوا ما تحققوا أنه قرآن واستقر في العرضة الأخيرة(١) .

إذن فحرف قريش الذي جمع عثمان الناس عليه هو ما كان يمليه النبي ﷺ على الكتاب ، وما جمعهم عليه عثمان إلا بعد ما خف على الألسنة وحسن نطقهم به . وأي مسلم يعلم أن لسان قريش هو الذي نزل به القرآن ثم لا يعود نفسه على الأخذ به ؟ وهذا هو ما يؤخذ من قول عثمان « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ... » إلخ .

بقي أن يقال : إن المصاحف التي أرسلت إلى الأمصار كان يراعى فيها مع صورة اللفظ إحدى القراءات المتواترة عنه ﷺ ، ويكتب على صورة توافق الجميع . وإن كان هناك اختلاف فهو في مواضع محصورة لا يترتب عليها اختلاف في المعنى ، كقوله تعالى « تجري من تحتها الأنهار » من سورة التوبة فالمكي يثبت حرف الجر وغيره يحذفه .

اذن فلابد من الذهاب الى وجود التخالف في بعض المصاحف ، وأن أهل كل مصر قرأ بما هو في مصحفه . مع ملاحظة أنه في دائرة المتلقى عن النبي ﷺ(٢)

(١) عن فتح الباري (٩—٢٤ ، ٢٥) بتصرف .
(٢) نفس المرجع السابق

وقال مكى بن أبى طالب « هذه القراءات التى يقرأ بها اليوم وصحت روايتها عن الأئمة جزء من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن »(١) .

وعلى ذلك فقول أنس « وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق » يحمل على ما يخالف مجموعها ولا يوافق واحداً منها . والله أعلم .

العرضة الأخيرة

إذا نسخ من القرآن شىء فلا بد أن يبادر الرسول ﷺ إلى إعلام الناس بنسخه ، إذ النسخ يقتضى التكليف بحكم واحد وهو ترك المنسوخ إن كان النسخ لا إلى بدل ، أو بحكمين وهما ترك المنسوخ والعمل بالناسخ إن كان النسخ إلى بدل .

وفى كلا الحالين يجب محوه للبس ، إلا أن يأمر الله ببقاء تلاوته مع نسخ حكمه لحكم ذكرها العلماء فى بابها . وغير ممكن أن ينسخ شىء من القرآن ثم يتركه الرسول ﷺ أو أحد من المسلمين مكتوبا فى صحيفة دون أن يعنى بمحوه أو إعدام الصحيفة ؛ إن بقاءه مع نسخه يوقع فى اللبس على من يراه إذا كان غير عالم بنسخه .

إذن فالصحف التى كانت فى بيت النبى ﷺ لا يمكن بمقتضى هذا الدليل العقلى أن يكون فيها شىء منسوخ .

وقال البغوى فى شرح السنة « يقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقى ، وكتبها للرسول ﷺ وقرأها عليه ، وكان يقرىء

(١) نفس المرجع ج ٧ ص ٧٢

الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وولاه عثمان كتب المصاحف»(١)

والعرضة الأخيرة هي ثاني العرضتين اللتين وقعتا في رمضان في العام الأخير من حياته ﷺ، وقد ثبت في الروايات الصحيحة أن جبريل كان يعارضه بالقرآن في رمضان من كل عام مرة واحدة، وأنه عارضه في العام الأخير مرتين.

روى الإمام البخاري في فضائل القرآن «عن عائشة عن فاطمة عليها السلام: أسر إلى النبي ﷺ أن جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي» وفي رواية عنده أيضاً عن أبي هريرة «قال: كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض، وكان يعتكف كل عام عشراً فاعتكف عشرين في العام الذي قبض»(٢).

ومن هذين الحديثين نأخذ أن كلا من النبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام كان يعرض على صاحبه القرآن ويدارسه إياه. وذكر ابن كثير أن المراد من معارضته له كل سنة أن يقابل عليه ما أوحاه الله إليه ليبقى ما بقي ويذهب ما نسخ، لتوكيد حفظ النبي ﷺ وتقريره وتثبيته عليه، ولذا عرضه عليه مرتين في السنة الأخيرة وعارضه به جبريل كذلك(٣).

---

(١) الإتقان (١ — ٥٠)

(٢) صحيح البخاري (٦ — ٢٢٩) والحديث الثاني رواه أيضاً الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه، والضمير في يعرض يرجع لجبريل عليه السلام

(٣) فضائل القرآن ص (٩٢)

فإن النسخ وإن كان فى سائر أيام السنة لكن المعارضة فى رمضان تقرره وتثبته . فهو فى الوقت الذى يؤكد ما سبق إبقاء لما لم ينسخ زيادة فى الاستيثاق .

ويجب أن نعلم أن المعارضة لم يكن الغرض منها نسخ شىء من القرآن ، فإن النسخ مرتبط بالمصلحة التى تدعو إليه وهى فى جميع أوقات السنة ، ولا تختص برمضان وحده ، بل الغرض منها تثبيت ما بقى من القرآن وهو زيادة احتياط .

روى الإمام أحمد والطبرى وابن أبى داود من طريق عبيدة بن عمر السلمانى أن الذى جمع عليه عثمان الناس يوافق العرضة الأخيرة — ومن طريق محمد ابن سيرين قال (كان جبريل يعارض النبى ﷺ بالقرآن) وفيه (. . . فيرون أن قراءتنا أحدث القراءات عهدا بالعرضة الأخيرة) — وعند الحاكم من حديث سمرة وصححه (عرض القرآن على رسول الله ﷺ عرضات ، ويقولون إن قراءتنا هذه هى العرضة الأخيرة) وإسناده حسن(١) .

ولكن يعكر علينا ما رواه الحاكم أيضا من طريق مجاهد «عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أى القراءتين ترون كان آخر القراءة ؟ قالوا قراءة زيد قال لا ، إن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن كل سنة على جبريل عليه السلام فلما كانت السنة التى قبض فيها عرضه عليه عرضتين ، فكانت قراءة ابن مسعود آخرهن ، قال الحاكم « صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة . وفائدة الحديث ذكر عبد الله بن مسعود» وصححه الذهبى(٢) .

وأخرج نحوه أحمد والترمذى والنسائى ، وفى رواية أحمد « فشهد

---

(١) فتح البارى (١٠ - ٤٢٠)
(٢) المستدرك (٢ - ٢٣٠)

عبد الله فعم ما نسخ منه وما بدل» ورجاله رجال الصحيح(١) .

وصحح ابن حجر رواية النسائى وقال « يمكن الجمع بين القولين بأن تكون العرضتان الأخيرتان وقعتا بالحرفين المذكورين ، فيصح إطلاق الآخرية على كل منهما »(٢) .

وهذا الجمع منه غير مسلم ؛ إذ لو أن حرف ابن مسعود كان آخر العرضات لعلم الصحابة ذلك ولما خالفوه ، ولكننا علمنا أنه لم يتابعه أحد منهم ، إذن فقول ابن عباس هذا على حسب ظنه ، وقد أجمع الصحابة على مصحف عثمان المخالف لقراءة ابن مسعود — على حد قولهم — وفيهم ابن عباس نفسه .

بل إن القرطبى حكى عن القاضى أبى بكر قوله « وما بدا من عبد الله ابن مسعود من نكير ذلك فشىء أنتجه الغضب ولا يعمل به ولا يؤخذ به ، ولا يشك فى أنه رضى الله عنه قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ ، وبقى على موافقتهم وترك الخلاف لهم »(٣) ، وقال غيره « وقد روى أن عبد الله رجع إلى قول عثمان وإلى رأى الجماعة وندم على ما قال واستحى منه ..... »(٤) .

وقال الشيخ عبد الوهاب غزلان : والذى يدل على عدم صحة هذا عن ابن عباس أن الصحابة أجمعوا على مصحف عثمان المخالف لقراءة عبد الله ابن مسعود ومنهم ابن عباس نفسه ، فلو كان يعتقد أنه على خلاف العرضة الأخيرة لما وافق عليه وطالب الناس بقراءة ابن مسعود ، وإذ لم تصح هذه الروايات عن ابن عباس فإنه لا يصح الاحتجاج بها على أن قراءة

---

(١) الفتح الربانى (١٨-٥٦) (٢) فتح البارى (١٠-٤٢٠)
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١ - ٥٣)
(٤) مقدمة كتاب المبانى (٩٥)

ابن مسعود هى ماثبت فى العرضة الأخيرة، ولو فرض جدلا أن ابن عباس كان يعتقد أن قراءة ابن مسعود هى ذلك ، فإن اجتماع الصحابة على خلافه دليل خطئه فى اعتقاده. ومما لاشك فيه أن ماروى عن ابن عباس فى ذلك لايصلح دليلا على وقوع النسخ ، ولو فرض أن شيئاً من النسخ وقع فى عرضة من العرضات فإن النبى ﷺ كان يبادر بتبليغ ذلك لأصحابه ، وإلا كان مقصراً فى التبليغ ، وحاشاه ذلك — لافرق فى ذلك بين أن يكون فى العرضة الأخيرة أو غيرها(١) .

ولنا أن نقول أيضاً : على فرض صحة حضور عبد الله بن مسعود للعرضة الأخيرة، فيمكن تخريجه على أنه كان للبعض الذى وافق فيه مصحف عثمان بن عفان ، وهذا لايعارض حضور زيد بن ثابت للعرضة الأخيرة بتمامها . وهو الثابت فى كتب الصحيح .

وإننا لو نظرنا فى كتب الرواية لوجدنا أن قراءة ابن عباس عن زيد ابن ثابت عن الرسول ﷺ رويت من طريق نافع . وابن كثير . وأبى عمرو من طرق أربعة(٢) . ومن هذا نأخذ أن قراءة ابن عباس لم تخرج عن قراءة زيد بن ثابت الذى اشترك فى الجمعين — وبالتالى نأخذ أن ما أثر عنه من أن قراءة ابن مسعود هى الأخيرة ليس بصحيح ؛ لأنه مبنى على اختلاف الحرفين بين زيد وابن مسعود — والحق توافقهما وعنهما أخذ السبعة .

فلقد تلقى ابن مسعود القراءة عن رسول الله ﷺ ، ورويت من

---

(١) عن البيان فى مباحث من علوم القرآن ص (١٩٢ ، ١٩٣) بتصرف .

(٢) انظر النشر لابن الجزرى (ج ١ ص ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٤٠) والتيسير للدانى ص ٨ .

طريق حمزة وعاصم والكسائي ، ولم ينقل الكوفي عنه ما يخالف قراءة العامة(١) — فهذا يدل على أن الرواية عنه لم تخرج عن المتواتر الذي أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

قال أبو حيان في تفسيره آية «فأزلهما الشيطان عنها»: وأكثر قراءات عبد الله إنما تنسب للشيعة — وقد قال بعض علمائنا : إنه صح عندنا بالتواتر قراءة عبد الله على غير ما ينقل عنه مما وافق السواد ، فتلك إنما هي آحاد ، وذلك على تقدير صحتها فلا تعارض ما ثبت بالتواتر »(٢) .

والخلاصة أن أبا بكر رضي الله عنه جمع القرآن على ما ثبت في العرضة الأخيرة . ولا شك أن النبي ﷺ بلغ أصحابه كل ما تم في تلك العرضة ، وجاء جمع عثمان رضي الله عنه على نفس الطريق ، وكانت قراءتهم على الأحرف السبعة ولكن الكتابة كانت بحرف قريش فقط . ولما وقع الخلاف في عهد عثمان رأى أن يجمع الناس على مصحف واحد لدفع الفتنة ، ووافقه الصحابة على ذلك ؛ لأن ترك بقية الأحرف مع تأدية الباقي للمراد ، خاصة بعد أن تدربت الألسنة على حرف قريش ، لا يترتب عليه ضياع شيء من القرآن ؛ إذ أن الأحرف كلها تؤدي معنى واحداً ، والاختلاف بينها إنما هو في الألفاظ في مواضع محصورة فالاقتصار على بعضها لا ضرر فيه . وقد كان ابن مسعود يقرأ على حرف منها ثم رجع إلى الجماعة لما رأى من أن المصلحة تقتضي ذلك ، ومن هنا كان دفعه مصحفه ليحرق مع بقية المصاحف .

وهذا هو الذي يتوافق مع ما نقل عنه من رواية الأئمة : عاصم وحمزة والكسائي

---

(١) انظر النشر (١ — ١٥٥ ، ١٦٥ ، ١٧٢) والتيسير (٩ ، ١٠) .
(٢) البحر المحيط (١ — ١٦١) .

بعض الشبه الواردة فى هذا المقام والرد عليها

ذكر الإمام الدانى والسيوطى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه : أن المصاحف لما نسخت عرضت عليه ، فوجد فيها حروفا من اللحن ، فقال اتركوها فإن العرب ستقيمها أو ستعربها بلسانها . وفيه : لو كان الكاتب من ثقيف والمملى من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف .

والرواية عند الدانى عن عكرمة وعن يحى بن يعمر عن عثمان — وعند السيوطى عن عكرمة عن عثمان .

وذكرا عن هشام بن عروة عن أبيه قال : سألت عائشة رضى الله عنها عن لحن القرآن ، عن قوله تعالى « إن هـذان لساحران » وعن قوله تعالى «والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » وعن قوله تعالى« إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون » فقالت يابن أختى هذا عمل الكتاب أخطأوا فى الكتاب . وقال السيوطى عن الثانى إسناده صحيح على شرط الشيخين(١) .

وقد تلقف جولد تسيهر هذا الكلام واتخذه سبيلا للطعن فى نص القرآن قال :

« والقراءات المختلفة للنص القرآنى تظهر أحيانا مقترنة بتوجيه لا مواربة فيه ، يذكر أن النص المتلقى بالقبول يعتمد على إهمال الناسخ ، وأن القراءة المخالفة المقترحة تقصد إلى إقامة النص الأصلى الذى أفسده سهو النساخ ، وفى المواضع التى تبدو فيها مفارقات نحوية اجترأ بعضهم على دعوى أن ما بقى من ذلك فى نص الكتاب المنزل المعترف به يجب النظر إليه على أنه خطأ كتابى وقع فيه ناسخ غير يقظ .

(١) الإتقان (١ — ١٨٢ ، ١٨٣) والمقنع (١٢٤ : ١٢٦)

وفى وقت متأخر فقط اجتهد الذكاء وحدة الذهن فى قواعد العربية بكل وسائل الفطنة لتسويغ صحة المواضع المشار إليها من جهة العربية، ولا يتخلف النحاة البصريون والكوفيون فى حدة الذهن والبصر بعلاج المشاكل عن بنى وطنهم من الفقهاء. أما المدرسة القديمة فلم تحاول ذلك، بل آثرت فى صدق وأمانة أن تبقى على نص الوحى على ما يعتوره من مآخذ(١)، ... إلخ وبالنظر فى كلام المستشرق نرى أنه حاول أن يتصيد من كلام السابقين ما يشكك المسلمين فى أقدس مقدساتهم. وتأمل قوله «إهمال الناسخ ... سهو الناسخ ... خطأ كتابى ... فى وقت متأخر فقط اجتهد الذكاء وحدة الذهن ... أما المدرسة القديمة ... » الخ فقد جعل لفظ القرآن تبعا لهوى الكتاب، وحتى يلاقى كلامه القبول أحال على تفسير الطبرى [الجزء السادس ص١٦، والجزء الثامن عشر ص٧٧].

والسبب فى خطئه هو أو غيره من بقية المستشرقين، هو ما قاله أحدهم ويدعى آرثر جفرى عن المستشرقين عموما «إنهم يعتبرون المتن دون الإسناد ويختارون من آراء القدماء ما يطابق ظروف الأحوال من أسانيد متواترة كانت أم ضعيفة»(٢) ... إلخ وأما الأثر الأول فقد قال عنه الدانى (لا يقوم بمثله حجة ولا يصح به دليل من جهتين : إحداهما : أنه مع تخليط إسناده واضطراب فى ألفاظه مرسل؛ لأن ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئا ولا رأياه. وأيضا : فإن ظاهر ألفاظه ينفى وروده عن عثمان رضى الله عنه؛ لما فيه من الطعن عليه مع محله من الدين ومكانه من الإسلام وشدة اجتهاده فى بذل النصيحة واهتمامه بما فيه الصلاح للأمة، فغير متمكن أن يتولى لهم جمع المصحف مع سائر الصحابة الأخيار الأتقياء الأبرار نظرا لهم ليرتفع الاختلاف فى القرآن بينهم، ثم يترك

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامى ص ٤٦

(٢) مقدمة كتاب المصاحف ص ٤

لهم فيه مع ذلك لحنا وخطأ يتولى تغييره من يأتى بعـــده ممن لا شك أنه لا يدرك مداه ولا يبلغ غايته ولا غاية من شاهده ... الخ(١) .

ثم قال : ولو سلمنا بصحة الخبر فإن عثمان أراد باللحن المذكور فيه التلاوة دون الرسم ؛ إذ الكثير من القرآن لو تلى على رسمه لا نقلب المعنى ، ألا ترى قوله (لأ اذبحنـــه . لأاوضعوا . من نباىء المرسلين . سأوريكم . الربوا) وشبهه : لو تلاه تال لا معرفة له بالرسم لصير الإيجاب نفيا ولزاد فى اللفظ ماليس من أصله، فأخبر عثمان أن من لم يعرف ذلك ممن سيأتى سيأخذه عن العرب ؛ إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم فيعرّفونه بالتلاوة ويدلونه على صواب رسمه .

وقال (لو كان الكاتب من ثقيف والمملى من هذيل) لأن قريشا ومن ولى النسخ استعملوا تلك الطريقة فى الكتابة ، ولم تكن هذيل وثقيف يستعملان ذلك ، ولو أنهما وليتا أمر المصاحف لرسمتا حروفها حسب النطق(٢) .

وأما أثر السيدة عائشة رضى الله عنها فإن عروة لم يسأل عن حروف الرسم التى تزاد لمعنى وتنقص لآخر تأكيداً للبيان وطلبا للخفة ، وإنما سألها عن حروف من القراءة المختلفة الألفاظ ، المحتملة الوجوه على اختلاف اللغات التى أذن الله لنبيه ﷺ أن يقرىء أمته بها ، وإنما سمى عروة ذلك لحنا وأطلقت عائشة على مرسومه كذلك الخطأ ، على جهة الاتساع فى الأخبار وطريق المجاز فى العبارة ؛ إذ كان ذلك مخالفا لمذهبهما وخارجا عن اختيارهما ، وكان الأوجه والأولى عندهما والأكثر والأفشى لديهما ، لا على وجه الحقيقة والتحصيل »(٣) .

---

(١) المقنع ص ١٢٤

(٢) عن المقنع ص ١٢٥ ، ١٢٦ بتصرف

(٣) المقنع ص١٢٧ والإتقان جا ص١٨٣

على أن أم المؤمنين رضى الله عنها مع عظيم قدرها ومعرفتها بلغة قومها لحنت الصحابة وخطأت الكتبة ، وموضعهم من اللغة لا ينكر ، وهذا لا يجوز .

على أنه يمكن أن يتأول قولها (أخطأوا) فى اختيار الأولى من الأحرف السبعة ، لا أن ما كتبوه خطأ لا يجوز ؛ لأن مالا يجوز مردود بالإجماع ، ويتأول اللحن أنه القراءة واللغة ، كقول عمر بن الخطاب « وإنا لندع من لحن أبى » أى قراءته ، والمراد أنها لغة الكاتب وقراءته وفيها قراءة أخرى(١) .

وهذه القراءة فى الآيات الثلاث مروية فى السبع — وقرأ أبو عمرو « إنّ هذين لساحران » ، وهى موافقة للغة — ومما قيل فيها :

(أ) آية «إنّ هذان لساحران» بالتشديد : جاءت على لغة بنى الحارث ابن كعب وخثعم وزبيد وكنانة وآخرين ، وهم يستعملون المثنى بالألف فى جميع الأحوال ، ومن شواهد هذا :

إن أباها وأبا أباها قد بلغا فى المجد غايتاها

أو أن الأصل : إنه هذان لهما ساحران ، فالهاء ضمير الشأن وما بعدها مبتدأ وخبر والجملة موضع رفع على أنها خبر إن ، ثم حذف المبتدأ وهو كثير وحذف ضمير الشأن كما حذف من قول الأخطل :

إن من يدخل الكنيسة يوما يلق فيها جآذراً وظباءَ

أو إن بمعنى نعم وهى لا تعمل شيئا حينئذ ، فهذان مبتدأ وساحران خبر لمبتدأ محذوف والتقدير لهما ساحران والجملة خبر هذان — ولا تكون لساحران هى الخبر لأن لام الابتداء لا تدخل عليه .

---

(١) المقنع ص ١٢٨ والإتقان ج١ ص١٨٤

(ب) وأما آية «لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة» — فإن (المقيمين) منصوب على المدح، وهو قول سيبويه والمحققين — أو أنه مخفوض عطفا على المجرور فى (بما أنزل).

(ج) وأما آية «إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر» فإن (الصابئون) معطوف على (الذين هادوا) لأن محله الرفع على الابتداء، وخبره محذوف والجملة فى نية التأخير عما فى حيز إن من اسمها وخبرها — كأنه قيل: إن الذين آمنوا من آمن بالله — ثم قيل والذين هادوا والصابئون والنصارى كذلك.

أو يكون الخبر المذكور للذين هادوا، وما بعده معطوف عليه، ويكون خبر إن محذوفا مدلولا عليه بخبر المبتدأ — والأول أحسن لأن الحذف من الثانى لدلالة الأول أولى من العكس — وقرأ ابن كثير «والصابئين»، ولا إشكال فيها(١).

وبالجملة فإن الصحابة رضوان الله عليهم لايقرون اللحن فى المصحف، وهم الذين كانوا يسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات — وإن القرآن (لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه).

شبهة ثانية: قال بعض الطاعنين فى القرآن إن القرآن نقص منه ما كان يكتبه أبى بن كعب فى مصحفه. ومن ذلك مارواه الحاكم وصححه وأقره الذهبى ورواه النسائى وهو من زوائد عبد الله وعزاه ابن كثير فى تفسيره للإمام أحمد وحسن إسناده عن زر بن حبيش عن أبى قال: «قال لى أبى بن كعب: كأين تقرأ سورة الأحزاب؟ أو كأين تعدها؟ قلت ثلاثا

---

(١) انظر شذور الذهب ص (٤٦: ٤٩)، (٥٤، ٥٥).

وسبعين آية . قال قط لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة ، ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عليم حكيم »[١] .

وروى عن أبي أيضا أنه كان يكتب في مصحفه سورتي الخلع والحفد « اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك »[٢] .. إلخ .

أما عن الأثر الأول فإن القرآن قد نسخ منه شيء ، والحكم الذي لم ينسخ هو ما عرضه النبي ﷺ على جبريل وعرضه جبريل عليه السلام على النبي في العرضة الأخيرة وهي ما يوافقها مصحف عثمان المجمع عليه .

هذا على التسليم بالسند — وإلا فإن في سند الحديث عاصم بن أبي النجود وهو وإن كان إماماً في القراءة لكنه عند بعض المحدثين ضعيف[٣] .

وأما أنه كان يكتب في مصحفه سورتي الخلع والحفد ، فإن هذا القول لم تقم عليه حجة بأنه قرآن منزل ، ولو كان كذلك لنقل إلينا نقل القرآن وحصل العلم بصحته ، ولا يصح القول بأنه كان قرآنا ثم نسخ وأبيح الدعاء به ، لأنه لم ينقل هكذا .

وأما ما أخرجه البيهقي من طريق سفيان الثوري « أن عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع فقال : بسم الله الرحمن الرحيم : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك »[٤] .. فإن هذا الأثر لم يخرج في أحد الكتب التي التزم أصحابها الصحة ، ثم إن قوله

---

(١) الفتح الرباني (١٨ — ٥٨) وتفسير ابن كثير (٣ — ٤٦٥) .

(٢) انظر الإتقان (١ — ٦٤ ، ٦٥) .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن (٨٣) .

(٤) الإتقان (١ — ٦٥) .

« قنت بعد الركوع » دليل لنا ، وأما ذكره البسملة فلأنها مطلوبة فى كل أمر ذى بال ولا يقتضى أن يكون قرآنا ، على أن هذه الجمل ليس فيها شىء من سحر القرآن البيانى ولا من بلاغة أسلوبه، يعرف ذلك أصحاب الذوق. فوق هذا فإن اختلاف صوره باختلاف الروايات يدل على تصرف الرواة فيه وأنه مروى بالمعنى ويمكن أن يكون قد اشتبه أمره على أبى ثم رجع عنه لما رأى الحق مع جماعة الصحابة .

وكيف يظن بأبى مخالفتهم وقد كانت له قدم فى الجمع البكرى والعثمانى : فقد أشركه أبو بكر فى الجمع الأول « فكان رجال يكتبون ويملى عليهم أبى بن كعب » وهو فى زوائد المسند — وكذلك جمع اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار لكتابة المصحف وفيهم أبى بن كعب(١) .

وهذا دليل على أنه لم يخالف المصحف العثمانى ، وهو ممن أجمعوا عليه وإن وجد له مصحف كما يدعى بعضهم فإنه قد أحرق مع المصاحف . فقد روى البخارى عن عمر أنه قال « أبى أقرؤنا وإنا لندع من لحن أبى » وأبى يقول أخذته من فى رسول الله ﷺ فلا أتركه لشىء ، قال الله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) ... فإنه يحمل فى طياته تاريخه ، فقد كان ذلك فى الجمع البكرى ، وقد عبر فيه أبى عن رأيه فيما سمعه من رسول الله ﷺ وكان أبى لا يرجع عما حفظه من القرآن ، الذى تلقاه عن رسول الله ﷺ ولو أخبره غيره أن تلاوته نسخت ، والصحابة عرفوا ذلك ولم يعلم به أبى ، وقد استدل عليه عمر رضى الله عنه بالآية الدالة على النسخ — وهى من أوضح الاستدلال فى ذلك(٢) .

---

(١) الفتح الربانى (١٨ — ٣٢) والمصاحف (٩ ، ٢٥ ، ٣٠) والطبقات الكبرى (٣ — ٦٠) .

(٢) انظر فتح البارى (١٠ — ٤٣٠) .

ونرى أن أبيا كان مع الصحابة ، ولا يجوز أن يضاف إليه أو إلى أحد من الصحابة شيء من ذلك ، من تغيير حرف من كتاب الله أو قراءته على خلاف الرسم الموجود فى مصحف الجماعة — ثم إن قراءته مرفوعة عن طريق نافع وابن كثير وأبى عمرو وعاصم وحمزة والكسائى وأبى جعفر — إلى رسول الله ﷺ(١) .

شبهة ثالثة : زعمت الشيعة أن أبا بكر وعمر وعثمان حرفوا القرآن وأسقطوا كثيراً من آياته وبعض سوره : روى الكلينى منهم عن هشام عن سالم عن أبى عبد الله(٢) . أن القرآن الذى جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية . وذكر ابن شهرا شب المازدانى أن سورة الولاية أسقطت بتمامها وكذا أكثر سورة الأحزاب فإنها كانت مثل سورة الأنعام فأسقطوا منها فضائل أهل البيت(٣) .

ويقولون أيضاً ، كان لأمير المؤمنين على عليه السلام قرآن مخصوص جمعه بنفسه بعد وفاة رسول الله ﷺ . وعرضه على القوم فأعرضوا عنه فحجبه عن أعينهم ، وكان عند ولده عليهم السلام يتوارثونه إمام عن إمام كسائر خصائص الإمامة وخزائن النبوة ، وهو عند الحجة عجل الله فرجه — يظهره للناس بعد ظهوره ويأمرهم بقراءته . وهو مخالف لهذا القرآن الموجود من حيث التأليف وترتيب السور والآيات بل والكلمات ،

---

(١) انظر النشر (١—١١٢ ، ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٥٥ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٩١) والتيسير (٨ ، ٩) .

(٢) هو سيدنا جعفر الصادق رضى الله عنه — ومما يذكر أن الكلينى فى روايته عندهم كالبخارى عند السنيين .

(٣) مختصر التحفة الاثنى عشرية (٥٢ ، ٥٣) وتفسير الألوسى (١—٢٣ ، ٢٤) .

ومن جهة الزيادة والنقص ... وكان ترتيبه على حسب النزول وجعل المكى أولا ثم المدنى »(١) .

تلك بعض أباطيلهم التى تلقفها أعداء الدين وأخذوا ينشرونها على الناس ويذيعونها ، وفى مقدمتهم جولدتسيهر ذلك المستشرق الذى أخذ على عاتقه طعن كتاب الله لتشكيك المسلمين فى النص القرآنى(٢) « ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

والشيعة « من أكذب الناس فى النقليات وأجهل الناس فى العقليات ؛ ولهذا كانوا عند العلماء من أجهل الطوائف ... والرافضة فى الأصل ليسوا أهل خبرة بطريق المناظرة ومعرفة الأدلة ، ومايدخل فيهـــا من المنع والمعارضة . كما أنهم جهلة بالمنقولات ، وإنما عمدتهم على تواريخ منقطعة الإسناد وكثير من وضع المعروفين بالكذب ، فيعتمدون على نقل أبى مخنف لوط بن يحي وهشام الكلبى(٣) .

الأول قال عنه الذهبى « أخبارى تالف لايوثق به . تركه أبو حاتم وغيره وقال الدارقطنى : ضعيف . وقال ابن عدى : شيعى محترق صاحب أخبارهم . وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال مرة ليس بشىء ، مات قبل سنة ١٧٠ هـ(٤) .

وعن الثانى قال الإمام أحمد « كان صاحب سمر ونسب ماظننت

---

(١) فصل الخطاب (٩٧، ٩٨) .

(٢) انظر مذاهب التفسير الإسلامى ٣٠٠ ومابعدها .

(٣) المنتقى (٢٠، ٢١) .

(٤) ميزان الاعتدال (٢ — ٣٦٠) .

العوامل المساعدة على حفظ القرآن الكريم :

كان ﷺ يتلقى القرآن من جبريل عليه السلام ، وكان يرجع إليه فيما يجد من حوادث ؛ إذ أنه مصدر التشريع الأول ، وهو القائم على تطبيق أحكامه : ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ ، وكان يعارض جبريل به فى كل عام مرة؛لكى يتقرر عنده ويرسخ أتم رسوخ، وعارضه به مرتين عام قبض(١) ثم إنه ﷺ كان يمليه على أصحابه، ومن كان منهم أميا استحفظه، وكان التعويل على الحفظ، لأنه الوسيلة الوحيدة للإحاطة بكلام الله، وخاصة أن الأمية كانت شائعة بينهم .

ويمكننا أن نعدد الأسباب والدواعى التى اقتضت حفظ القرآن الكريم فيما يلى :

١ — القرآن سبب عزهم فى الدنيا وسعادتهم فى الآخرة ؛ إذ به يسوسون الناس ويشفع لهم فى الآخرة روى عن أبى أمامة الباهلى قال وسمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران ؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة ، كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة. قال معاوية. بلغنى أن البطلة السحرة،(٢) . وغير بعيد عنك ما ذكرناه من الأحاديث المرغبة فى حفظ القرآن ودراسته .

---

(١) انظر حديث المعارضة ، والكلام عليه ، فى الفصل الأول.

(٢) قال النووى (شرح مسلم ٦ — ٩٠) . الغمامة والغياية. كل شىء أظل الإنسان فوق رأسه، والفرقان. القطيعان والجماعتان .

٢ — أن الرسول ﷺ لم يكتف بتبليغه لهم ، بل عين غيره من الصحابة من يقرىء الناس. فقد روى الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن عمرو قال «سمعت رسول الله ﷺ يقول خذوا القرآن من أربعة. من ابن أم عبد — فبدأ به — ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة» وفي رواية عنه أيضا «استقرئوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل»(١) وبهذا الاهتمام بالقرآن، أتقنه الألوف المؤلفة من الصحابة ، واهتموا به وحفظوه على مدى السنين الأولى من صدر الإسلام .

٣ — القرآن هو مصدر التشريع الأول، ولم تكن لديهم وسيلة لتسجيله — مع حبهم للتفقه والتعلم، وشغفهم بكلام الله تعالى من فم الرسول الشريف — ومن هنا كان تسابقهم لأخذه عنه ﷺ مباشرة وإتقانهم له .

٤ — كان الصحابة من أمة يضرب بها المثل في الذكاء والألمعية وصفاء النفس وسيلان الذهن، حتى لقد كان الواحد منهم يحفظ ما يسمعه من أول مرة وكانت أيامهم ووقائعهم وأنسابهم تسجل في صدورهم بدون حاجة إلى تسجيل في الكتب . ساعدهم على ذلك :

(ا) البيئة الطبيعية ، من سماء صافية وشمس مشرقة وصحراء شاسعة ، ينتفي فيها ضيق الصدر وانقباض النفس .

(ب) الحياة الاجتماعية ، من تجردهم عن المشاغل المعوقة عن الحفظ ، وعن حياة الترف المرهقة للفكر والصارفة عن الاستقرار ؛ إذ لا ريب أن الإنسان ببعده عن الشواغل أقدر على التركيز والحفظ .

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦ — ١٧ : ١٩) .

٥ — فى القرآن من الخصائص البلاغية والأساليب البيانية ماجاوز مقدرة العرب وبلغ بهم حد الإعجاز ، فكان فى قراءتهم له متعة نفسية وروحية ، وهذا دعاهم إلى حفظ القرآن وتكراره فى كل وقت ، إشباعاً لغريزتهم وولوعهم بكل بليغ .

ويحسن أن ننقل هنا عبارة أبى سليمان الخطابى فى إعجاز القرآن قال: « إن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها فى نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاتها فى البلاغة متباينة غير متساوية ، فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل ، ومنها الجائز الطلق الرّسل . وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود ، دون النوع الهجين المذموم ، الذى لايوجد فى القرآن شىء منه ألبتة .

فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه ، والقسم الثانى أوسطه وأقصده ، والقسم الثالث أدناه وأقربه . فحازت بلاغة القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة ، وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة . فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع بين صفتى الفخامة والعذوبة ، وهما على الانفراد فى نعوتهما كالمتضادين ؛ لأن العذوبة نتاج السهولة ، والجزالة والمتانة فى الكلام تعالجان نوعاً من الوعورة ، فكان اجتماع الأمرين فى نظمه ، مع نبو كل منهما على الآخر ، فضيلة خص بها القرآن ، يسرها الله بلطيف قدرته من أمره ، ليكون آية بينة لنبيه ، ودلالة على صحة مادعا إليه من أمر دينه . . .

وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم . وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية الشرف والفضيلة ... فتفهم الآن واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف ، مضمناً أصح المعانى . . . ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق،

أمر تعجز عنه قوى البشر، ولاتبلغه قدرهم، فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته فى شكله »(١) ... الخ

٦ — ارتباط القرآن بحياتهم اليومية ؛ وورود على حسب ما يحدث من الوقائع المتجددة، وعلى حسب ما يكون منهم من استفسارات وأسئلة، وبذلك يتمكن القرآن فى النفوس أيما تمكن .

ولعل هذه الحكمة هى التى اقتضت نزول القرآن منجما مفرقاً على أكثر من عشرين سنة، وتلك سياسة من الله حكيمة فى تربية الأمة، حيث تدرج بهم فى النزول : رحمة بهم فى انتزاع العقائد والشرائع الباطلة، وغرس الأخلاق الفاضلة فيهم، وتيسيراً عليهم فى حفظه حيث إنهم مكلفون بحفظه على سبيل الكفاية، ويصعب على الكثير منهم تدوينه ؛ لقلة وسائل الكتابة عندهم ولانتشار الأمية بينهم، مع انشغالهم بأمور المعيشة والجهاد فى سبيل الله .

٧ — الترغيب والترهيب اللذان حفل بهما الكتاب الكريم، وغريزة الإنسان تدفعه لتحقيق الخير لنفسه ودفع المساءة عنها — وإن من أفراد هذا الباب الترغيب فى حفظ القرآن لما يترتب عليه من الخير العاجل والآجل، والترهيب من عدم حفظه أو من حفظه ثم نسيانه — .

وبجانب ماسبق نذكر عن الإمام النووى قال « روى الدارمى بإسناده عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اقرأو القرآن فإن الله تعالى لايعذب قلباً وعى القرآن وإن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن، ومن أحب القرآن فليبشر»، وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ؛ ريحها طيب وطعمها طيب ؛ ومثل المؤمن ا

---

(١) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن (٢٣ : ٢٥) بتصرف .

الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر» رواه البخارى ومسلم(١).

٨ — التعبد بالقرآن فى الصلاة وخارجها :

ومن الأسباب الهامة التى جعلت القرآن محفوظاً فى الصدور خلفاً عن سلف، منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة : أن قراءته عبادة يؤجر عليها القارىء، سواء بفهم أو بغير فهم؛ قال تعالى(إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) وقد سبق بعض الأحاديث المؤيدة لهذا المعنى. فارجع إليها.

وهذه خصيصة امتاز بها أهل القرآن مع القرآن؛ إذ أن غيره لا يؤجر فاعله عليه إلا مع التفكر والتدبر، حتى الصلاة وهى عماد الدين، ليس للمرء من ثوابها إلا بمقدار ما عقل منها.

ومن أجل هذا نرى بعض العلماء يقول: «ينبغى للمقرىء والقارىء أن يقصدا بذلك رضا الله تعالى، قال الله تعالى(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) أى الملة المستقيمة .. وينبغى ألا يقصد به توصلا إلى غرض من أغراض الدنيا من مال أو رياسة أو وجاهة أو ارتفاع على أقرانه أو ثناء عند الناس أو صرف

---

(١) التبيان (٨ : ١٠) ومسلم (٦ — ٨٣، ٨٤).

وجوه الناس إليه أو نحو ذلك ، ولا يشوب المقرىء إقراءه ، بطمع فى رفق يحصل له من بعض من يقرأ عليه ، سواء كان الرفق مالا أو خدمة ، وإن قل ، ولو كان على صورة الهدية ،التى لولا قراءته عليه لما أهداها إليه..
عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله تعالى ، لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » رواه أبو داود بإسناد صحيح (١)
ولأنه من الواجبات التى تقوم على الإخلاص والقربة لله ، كالصلاة وغيرها .

هذا هو رأى الإمام النووى — وقال البخارى بروايته عن ابن عباس « إن نفراً من أصحاب النبى ﷺ مروا بماء فيهم لديغ أو سليم ، فعرض لهم رجل من أهل الماء ، فقال : هل فيكم من راق ؟ إن فى الماء رجلا لديغاً أو سليما ، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء ، فبرأ فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك ، وقالوا : أخذت على كتاب الله أجراً ، حتى قدموا المدينة ، فقالوا يارسول الله : أخذ على كتاب الله أجراً فقال رسول الله ﷺ : إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله » (٢) .

وفصل أبو الليث السمرقندى الحكم فقال « التعليم على ثلاثة أوجه : أحدها للحسبة ، ولا يأخذ به عوضاً . والثانى : أن يعلم بالأجرة . والثالث: أن يعلم بغير شرط ، فإذا أهدى إليه قبل . فالأول : مأجور عليه ، وهو عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . والثانى : مختلف فيه، قال أصحابنا المتقدمون لا يجوز لقوله ﷺ « بلغوا عنى ولو آية » ، وقال جماعة من المتأخرين يجوز ،

(١) التبيان (١٤ : ١٦) مع اختصار .
(٢) صحيح البخارى (٧ — ١٧٠ ، ١٧١) .

مثل عصام بن يوسف ونصر بن يحيى وأبى نصر بن سلام وغيرهم ، قالوا : والأفضل للمعلم أن يشارط الأجرة للحفظ وتعليم الكتابة ، فإن شارط لتعليم القرآن أرجو أنه لا بأس به ؛ لأن المسلمين قد توارثوا ذلك ؛ واحتاجوا إليه (١) . وأما الثالث: فيجوز فى قولهم جميعاً (٢) ؛ لأن النبى ﷺ كان معلماً للخلق ، وكان يقبل الهدية ؛ ولحديث اللديغ لما رقوه بالفاتحة (٣) ، وجعلوا له جعلا ، وقال النبى ﷺ « واضربوا لى معكم فيها بسهم » (٤) .

ولهذا السبب أيضاً قال العلماء « يكره قطع القرآن لمكالمة الناس ، وذلك أنه إذا انتهى فى القراءة إلى آية وحضره كلام ، فقد استقبله التى بلغها والكلام ، فلا ينبغى أن يؤثر كلامه على قراءة القرآن . قاله الحليمى ؛ وأيده البيهقى بما رواه البخارى : كان ابن عمر إذ قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه » (٥) .

وقد تعبدنا الله بتلاوة القرآن فى الصلاة وخارجها ، لفوائد ذات شأن منها :

(ا) أن الأجر العظيم الذى وعده الله قارىء القرآن ، من شأنه أن يحبب الناس فى قراءته ويدفعهم إلى الإكثار منها ، وهذا يجعل القرآن كثير

---

(١) ويقول ابن الجزرى « لكن بشرط أن يكون فى بلده غيره ، أما إذا لم يكن غيره فلا يحل له أخذ الأجرة ؛ لأن الإقراء صار عليه واجبا » منجد المقرئين (٧٢)

(٢) حكاية الإجماع محل نظر .

(٣) صحيح البخارى (٧ — ١٧٠) ولفظه « واضربوا لى بسهم » .

(٤) البرهان (١ — ٤٥٧ ، ٤٥٨) .

(٥) نفس المرجع (١ — ٤٦٤) .

الدوران على الألسنة ، فلا يجرؤ أحد على تحريفه ، ومن سولت له نفسه هذا انكشف أمره في الحال .

(ب) إيجاد وحدة للمسلمين لغوية ، تعزز وحدتهم الدينية ، وتيسر وسائل التفاهم والتعاون فيما بينهم ، فتقوى بذلك صفوفهم ، وتعلو كلمتهم .

وتلك سياسة إلهية حكيمة ، فطن لها نبي الإسلام الحكيم ﷺ ، وطبقها علماء المسلمين : حتى نجدهم يقولون « لا تجوز قراءته بالعجمية سواء أحسن العربية أم لا ، في الصلاة وخارجها ؛ لقوله تعالى (إنا أنزلناه قرآناً عربياً) وقوله (ولو جعلناه قرآناً أعجميا . .) .

وقيل عن أبي حنيفة : تجوز قراءته بالفارسية مطلقاً ، وعن أبي يوسف : إن لم يحسن العربية ، ولكن صح عن أبي حنيفة الرجوع عن ذلك . . . واستقر الإجماع على أنه تجب قراءته على هيئته التي يتعلق بها الإعجاز»(١) .

(جـ) استدراج القارىء إلى التدبر والاهتداء بهدى القرآن ، عن طريق الترغيب في قراءته ، وعدم السماح بقراءته على غير لغته التي نزل عليها ؛ لأن القارىء بتكراره ينتقل من درجة إلى درجة أرقى منها . « وكل من سار على الدرب وصل » (٢) .

آداب القرآن الكريم :

القرآن الكريم كلام الله تعالى ، يخاطب الله به عباده ، أنزله لهدايتهم بما بث فيه من عبادات ومعاملات وأخلاق فاضلة ووصايا حميدة ، أمر الله

(١) البرهان (١ — ٤٦٤ ، ٤٦٥) .
(٢) مناهل العرفان (٢ — ٢٦) .

بقراءته وتدبره، ووعد من فعل ذلك بالأجر العظيم — روى الترمذى — وقال حسن صحيح — وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

وروى الترمذى - وقال حسن صحيح - عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» (١).

١ — وأول ما يجب على قارىء القرآن أن يخلص النية لله فى قراءته.

٢ — وأن يراعى الأدب مع القرآن، فيستحضر فى نفسه أنه يناجى ربه، ويكون حاله حال من يرى الله تعالى، فإنه إن لم يكن يراه فإنه عز وجل يراه.

٣ — وينبغى أن ينظف فاه بالسواك أو غيره.

٤ — وأن يكون على طهارة. ويقول إمام الحرمين: إن قرأ محدثاً جاز ولا يقال ارتكب مكروهاً، بل هو تارك للأفضل.

٥ — وأن ينظف ثيابه.

٦ — وأن يكون فى مكان نظيف، ولهذا استحب جماعة من العلماء القراءة فى المسجد.

٧ — ويستحب أن يستقبل القبلة.

٨ — ويستفتح القراءة بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ثم البسملة.

---

(١) رياض الصالحين (٣٦٢، ٣٦٣).

٩ — وأن يرتل قراءته، وذلك بأن يفخم ألفاظه ويبين حروفه ، وأن يسكت بين النفس والنفس حتى يرجع إليه نفسه ، ثبت عن أم سلمة رضى الله عنها « أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ قراءة مفسرة حرفاً حرفاً » رواه أبو داود والترمذى والنسائى وقال الترمذى حسن صحيح[١].

١٠ — ويستحب له إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله ، وإذا مر بآية عذاب استعاذ بالله من شر العذاب . وإذا مر بآية فيها نداء المؤمنين قال : لبيك ربى وسعديك ثم تأمل ما فى مضمونها ، سواء فى الصلاة أو خارجها[٢] وأن يضمر فى نفسه قبول الأمر فى المأمور به ، والانتهاء عن المنهى عنه .

١١ — وأن يحترم القرآن فى أمور قد يتساهل فيها بعض القارئين . من ذلك : اجتناب الضحك واللغط والحديث فى خلال القراءة ، إلا كلاماً يضطر إليه . روى البخارى « كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه »[٣] .

١٢ — وألا يتشاغل عن القراءة بالنظر إلى ما يلهى أو العبث باليد أو غير ذلك .

١٣ — ويستحب له أن يجهر بالقراءة .

١٤ — وأن يقرأ على ترتيب المصحف ، وأما تعليم الصبيان من آخر المصحف فحسن وليس من هذا القبيل .

---

(١) التبيان (٤٤) .

(٢) هذا مذهب الجمهور من العلماء وكرهه الإمام أبو حنيفة فى الصلاة (التبيان ص ٤٥) .

(٣) البرهان (١ — ٤٦٤) .

١٥ — وينبغي إذا ابتدأ بقراءة أحد من القراء أن يستمر عليها، ما دام الكلام مرتبطا بعضه ببعض، فإذا انقضى الارتباط فله أن يتحول إلى قراءة أخرى، والأولى أن يستمر على الأولى(١) .

١٦ — تحسين الصوت بالقراءة :

ينبغي لقارىء القرآن أن يحسن صوته بالقراءة، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم » رواه أبو داود والنسائي وغيرهما(٢) .

وأما القراءة بالألحان فقد كرهها الشافعي في موضع ونفى كراهتها في موضع آخر، وقال الماوردي : «والقراءة بالألحان الموضوعة إن أخرجت لفظ القرآن عن صيغته بإدخال حركات فيه، أو إخراج حركات منه، أو قصر ممدود أو مد مقصور، أو تمطيط يخفى به بعض اللفظ ويلتبس المعنى فهو حرام يفسَّق به القارىء ويأثم به المستمع، لأنه عدل به عن نهجه القويم إلى الاعوجاج، والله تعالى يقول (قرآناً عربياً غير ذي عوج) قال : وإن لم يخرجه اللحن عن لفظه وقراءته على ترتيله، كان مباحا، لأنه زاد على ألحانه في تحسينه .

هذا كلام أقضى القضاة .

وهذا القسم الأول من القراءة بالألحان المحرمة، مصيبة ابتلي بها بعض الجهلة الطغام الغشمة الذين يقرأون على الجنائز وفي بعض المحافل، وهذه بدعة محرمة ظاهرة، يأثم كل مستمع لها، كما قاله أقضى القضاة الماوردي، ويأثم كل قادر على إزالتها أو على النهي عنها، إذا لم يفعل ذلك . . .

(١) منجد المقرئين ص (٨٧) .
(٢) التبيان (٥٣) .

وفى الصحيح : « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم ، ويقرأون القــرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمّية ، زاد فى رواية أخرى « فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة » .

قال الشافعى فى مختصر المزنى : ويحسن صوته بأى وجه كان ، قال : وأحب ما يقرأ حدراً وتحزيناً . قال أهل اللغة : يقال حدرت بالقراءة إذا أدرجتها ولم تمططها ، ويقال فلان يقرأ بالتحزين إذا رقق صوته »(١).

ويقول ابن الجزرى: إن القرآن يقرأ بالتحقيق وبالحدر وبالتدوير — فالأول معناه المبالغة فى الإتيان بالشىء على حقه ، أى الإتيان بالحرف على وجهه بدون زيادة ولا نقص — والثانى معناه الإسراع فى القراءة بلا خلل فيها — والثالث وسط بينهما ، وأما الترتيل فهو القراءة على مهل مع تفهم ، وهو الذى نزل به القرآن . ا هـ ملخصا(٢) .

١٧ — ويستحب تقبيل المصحف ، لأن عكرمة رضى الله عنه كان يقبله ، وهو هدية الله سبحانه وتعالى إلى عباده .

١٨ — ويحرم السفر به إلى أرض العدو ، خوف أن تناله أيديهم .

١٩ — ويستحب أن يختم القرآن كل أسبوع ، لحديث البخارى وأبى داود وغيرهما : « اقرأ القرآن فى كل سبع ولا تزد » .

ويكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوما : رواه أبو داود(٣) .

٢٠ — ويستحب التكبير من أول سورة « والضحى » إلى أن يختم .

---

(١) نفس المرجع (٥٥ ، ٥٦) .

(٢) النشر (جـ ١ ص ٢٠٥ : ٢٠٨) بتصرف .

(٣) صحيح البخارى (٦ — ٢٤٣) والبرهان (١ — ٤٧١) .

٢١ — وإذا ختم قرأ الفاتحة وخمس آيات من أول سورة البقرة .

٢٢ — ويستحب حضور مجلس الختم استحبابا متأكداً ؛ لأن الرحمة تنزل عند ختم القرآن ويستجاب الدعاء عندئذ .

٢٣ — وينبغي أن يدعو في الختم بما شاء مما يصلح شأنه في الدين والدنيا والآخرة ، وقد نقل في الدعاء عبارات مأثورة ، منها ما ذكرناه في أول الكتاب ، وهو مما كان يدعو به الحسن البصري وعبد الله بن المبارك رضي الله عنهما عند ختم القرآن الكريم[١] .

٢٤ — وينبغي أن يبدأ الدعاء ويختمه بقوله : « الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، في العالمين إنك حميد مجيد » .

---

(١) انظر ص ٣ من هذا الكتاب .

الفصل الثالث

رسم القرآن الكريم وكتابته

فى المختار : الرسم : الأثر ، ورسم على كذا وكذا أى كتب وبابه نصر . وفى القاموس : الرسم العـــلامة ، وثوب مرسم مخطط . وقال الزمخشرى : ومن المجاز : أدركتم من الدين رسما داثرا ، والمكارم عفت رسومها ، وانمحت رقومها ، وأنا أرتسم مراسمك لا أتخطاها . ومنه ارتسم إذا دعا ، كأنه أخذ بما رسم الله له من الالتجاء إليه(١) .

والمراد من الرسم : تصوير الكلمات بحروف الهجاء بتقدير الابتداء بها والوقف عليها . والقرآن ما كتبه رسول الله ﷺ فى صحف متفرقة ، ثم جمع هـذه الصحف الخليفة الأول ، إلى أن كان عهد الخليفة الثالث حيث جمع القرآن فى مصحف واحـد خال من النقط والشكل — قال مكى بن أبى طالب « هذه القراءات كلها التى يقرأ بها الناس اليوم ، وصحت روايتها عن الأئمة إنما هى جزء من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووافق اللفظ بها خط المصحف ، مصحف عثمان الذى أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه ، واطرح ما سواه مما يخالف خطه ، فقرىء بذلك لموافقة الخط ، لا يخرج شىء منها عن خط المصاحف التى نسخها عثمان — رضى الله عنه — وبعث بهـا إلى الأمصار وجمع المسلمين عليها ، ومنع من القراءة بما خالف خطها ، وساعده على ذلك زهاء اثنى عشر ألفـاً من الصحابة والتابعين . واتبعه على ذلك

---

(١) مختار الصحاح ص (٢٦٤) — والقاموس المحيط (٤ — ١٢٠) ، وأساس البلاغة ص (٣٣٩ ، ٣٤٠) بتصرف .

جماعة من المسلمين بعده ، وصارت القراءة عند جميع العلماء بما يخالفه بدعة وخطأ ، وإن صحت ورويت . وكان المصحف قد كتب على لغة قريش على حرف واحد ، ليقل الاختلاف بين المسلمين فى القرآن ، ولا نقط ولا ضبط ، فاحتمل التأويل لذلك »(١).

ويجدر بنا قبل أن ندخل فى التفصيلات أن نعرف شيئاً عن : الكتابة عند العرب .

١ — الكتابة عند العرب قبل الإسلام وبعده :

قال ابن العربى « لكل أمة حروف مصورة بالقلم موضوعة على الموافقة لما فى نفوسهم من الكلام .. وذلك كله مما علم الله لآدم عليه السلام حسبما جاء فى القرآن فى قوله (وعلم آدم الأسماء كلها) . . ثم توارثت ذلك ذريته خلفاً بعد سلف وتناقلوه قوماً عن قوم . حتى جاء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وتعلم العربية من جيرته جرهم وزوجوه فيهم واستقر بالحرم ، فنزل عليه جبريل فعلمه العربية غضة طرية ، وألقاها إليه صحيحة فصيحة سوية . واستطرت على الأعقاب فى الأحقاب إلى أن وصلت إلى محمد ﷺ ، فشرف وشرفت بالقرآن العظيم ، وأوتى جوامع الكلام ، وظهرت حكمته وحكمه ، وأشرق على الآفاق فهمه وعلمه — والحمد لله »(٢) .

ويضعف ابن العربى بقية الروايات وهى التى رواها ابن فارس فى كتاب فقه اللغة وابن أشتة فى كتاب المصاحف عن كعب الأحبار أن آدم أول من وضع الكتب كلها العربى والسريانى قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتبها فى

(١) الإبانة عن معانى القراءات ص (٢ ، ٣) .
(٢) أحكام القرآن (٤ — ١٩٤٥) .

طين وطبخه ، فلما أصاب الأرض الغرق أصاب كل قوم كتابهم فكتبوه ، فكان إسماعيل أصاب كتاب العرب(١) .

ويقول ابن العربي « وهذه كلها روايات ضعيفة ليس لها أصل يعتمد عليه فيها »(٢) .

ولكن كلمة المؤرخين تكاد تتفق على أن قريشاً في مكة أخذت الخط عن طريق حرب بن أمية بن عبد شمس ، لكنهم اختلفوا فيمن أخذ عنه حرب ، فرواية الداني تعين أنه عبد الله بن جدعان ، ورواية الكلبي تقول إنه بشر بن عبد الملك ، ورواية ابن أبي داود عن الشعبي قال « سألت المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : من أهل الحيرة ، وسألنا أهل الحيرة من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا من أهل الأنبار » وعنده أيضا أن أهل الأنبار علموا بشر بن عبد الملك الخط ، فخرج إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية ، وقال أيضا إن بشراً لما تزوج الصهباء علم الخط سفيان بن حرب . وقال عمر بن الخطاب ومن بمكة من قريش تعلموا الكتاب من حرب بن أمية(٣) .

ولما جاء الإسلام حارب أمية العرب ورفع من شأن الكتابة ، اقرأ قول الله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » ومن أروع تعظيم الكتابة أن يقسم الله بالقلم وما يسطرون فيقول « ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون » — وهذا نبي الله ﷺ يهيء لأصحابه الوسائل لتعلم الكتابة ، ويتخذ منهم كتابا للوحي قبل الهجرة وبعدها .

---

(١) البرهان (١ — ٣٧٧) ، والإتقان (٢ — ١٦٦) .

(٢) أحكام القرآن (٤ — ١٩٤٦) .

(٣) انظر الروايات في المصاحف (٤ ، ٥) ، وفي الإتقان (٢ — ١٦٦) ، ومقدمة ابن خلدون (٤١٨) .

ويروى الأستاذ أحمد أمين نقلا عن البلاذرى أن بعض اليهود كان قد تعلم الخط العربى قبل أن يدخل الإسلام المدينة ، وجاء الإسلام وفى الأوس والخزرج عدة يكتبون وكانوا أحد عشر ، والذين كانوا يكتبون بمكة عند ظهور الإسلام سبعة عشر(١) .

وقد أخذت الكتابة تنمو بين المسلمين فى المدينة ، نظراً لما كان من حب النبى ﷺ إلى نشرها بين أصحابه ، وأوضح دليل على هذا أن المشركين لما أسروا يوم بدر جعل ﷺ فداء من لم يكن له مال وهو يحسن الكتابة أن يعلم عشرة من غلمان المسلمين وكان زيد بن ثابت ممن علم(٢) . وهذا إعلان من الرسول ﷺ أن القراءة والكتابة عديلان للحرية ، وهو منتهى ما تصل إليه الهمم فى تحرير أمة من رق الأمية .

وأما قول النبى ﷺ « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » فقد قال ابن الأثير : « أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى ، وقيل : الأمى الذى لا يكتب »(٣) .. إذن فذاك إخبار عما عليه حالهم ، وهذا لا ينافى تشجيع النبى لأصحابه أن يتعلموا الكتابة ، حتى لقد أحصى بعضهم كتاب الوحى بين يديه ﷺ بثلاثة وأربعين كاتباً(٤) .

ولقد كتب القرآن كله بين يديه ﷺ مفرقاً فى العُسُب واللِّخاف والرقاع والأكتاف والأقتاب .

---

(١) فجر الإسلام (١٤٠ ، ١٤١) عن فتوح البلدان .
(٢) انظر السيرة الحلبية (١ — ٥٧٤) ، وفجر الإسلام (١٤٢) .
(٣) النهاية (١ — ٦٨) .
(٤) انظر فتح البارى (٩ — ١٨) ، وعمدة القارى (٢٠ — ١٩) .

روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تكتبوا عنى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه »(١) .

وروى الإمام أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وصححه ابن حبان والحاكم عن ابن عباس عن عثمان قال « كان رسول الله ﷺ مما يأتى عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده ويقول : ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا »(٢) .

٢ — رسم المصحف :

علمنا أن المراد من رسم المصحف هو كيفية وضع كلماته بحروف الهجاء ، وهو العمل الذى قام به عثمان رضى الله عنه .

والأصل فى الكتابة أن تكون موافقة للفظ المنطوق به من غير زيادة ولا نقص ولا تبديل حرف بحرف ، ولا يكتب شيء بصورة فى موضع وبصورة أخرى فى غيره . ولكن خط المصحف العثمانى خالف هذا الأصل ، إذ ورد فيه زيادة وحذف ، وتبديل حرف بحرف ، ولم ترسم الهمزات المتماثلة موحدة ، ووصلت بعض الكلمات فى موضع وفصلت فى آخر وهى متماثلة ككلمة (أن) مع (لا) ، وبعض الكلمات التى ورد فيها قراءتان وكتبت على واحدة .

---

(١) مسلم بشرح النووى (١٨ — ١٢٩) .

(٢) فتح البارى (٩ — ١٨) ولزيادة المعرفة اقرأ الفصل الأول .

قال ابن درستويه : « خطان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط تقطيع العروض » وقال أبو البقاء « ذهب جماعة من أهل اللغة إلى كتابة الكلمة على لفظها إلا فى خط المصحف ؛ فإنهم اتبعوا فى ذلك ما وجدوه فى الإمام ، والعمل على الأول »(١) من هذا نعلم أن الخط على ثلاثة أنواع :

(١) خط يقتدى به ولا يغير وهو رسم المصاحف العثمانية .

(٢) وخط جرى على إثبات ما تلفظ به وإسقاط غيره وهو خط العروض .

(٣) وخط جرى على العادة المعروفة فى الإملاء وهو الذى يتكلم به النحوى. ومن أجمع الكتب التى تكلمت على رسم المصحف كتاب «المقنع» لأبى عمرو الدانى .

(٣) قواعد رسم المصحف :

ذكر السيوطى أن قواعد الرسم تنحصر فى ستة قواعد ، وتسميتها بالقواعد فيه تساهل إذ أنها لا تنضبط بضابط ، بل تعرف بسرد مواضعها واحداً واحداً ، ومن هنا سماها الزركشى [اختلاف رسم الكلمات فى المصحف والحكمة فيه](٢) .

وإليك تفصيل هذه الأنواع مع ذكر أمثلتها(٣).

---

(١) البرهان (١—٣٧٦) .

(٢) انظر البرهان (١—٣٨٠) ، والإتقان (٢—١٦٧) .

(٣) انظر فى هذه الأنواع البرهان (١—٣٨١ : ٤٣١) ، والإتقان (٢—١٦٧ : ١٧٠) .

(أولا) الحذف :

تحذف الألف من (يا) التى للنداء نحو « يأيها الناس » . ومن (ها) التى للتنبيه نحو «هأنتم» . ومن لفظ الجـــلالة ولفظ «الرحمن» و «سبحن» إلا «قل سبحان ربى » ومن كل جمع تصحيح لمذكر أو مؤنث نحو «سماعون» إلا «طاغون» فى الذاريات والطور ونحوها من المستثنيات ومن كل علم زاد على ثلاثة كإبراهيم وصالح إلا ما استثنى ومن كل جمع على وزن مفاعل أو شبهه كمساجد ويتامى ومن كل عدد كثلاث وثلاثة وهناك حذف لا يرتبط بقاعدة كحذف الألف من «مالك الملك» والياء من «إبراهيم» فى سورة البقرة .

وتحذف الواو فى «سندعُ الزبانية» و « ويمحُ الله مباطل » و « يدع الإنسان بالشر » و « يوم يدعُ الدَّاعِ » .

وتحذف الياء فى نحو «فارهبون ، فاعبدون ، وأطيعون ، فأرسلون » ونحوها ، إلا ما استثنى وتحذف من كل منقوص منون رفعاً وجراً ، نحو «غير باغ ولا عاد » وإذا وقعت ضميراً المتكلم نحو «فلا تخشوا الناس واخشون » — إلا ما استثنى .

(ثانيا) الزيادة :

تزاد الألف بعد الواو فى آخر كل اسم مجموع أو فى حكم المجموع : نحو « ملاقوا ربهم » و « بنوا إسرائيل » و «أولوا الألباب » وبعد الهمزة المرسومة واواً نحو « فإن فاؤا » و «تالله تفتؤا » وبعد الميم فى « مائة ومائتين» حيث وقعا وفى قوله تعالى «الظنونا» و «الرسولا» و «السبيلا» — وبعد اللام فى «لأاذبحنه » و « ولا أوضعوا » إلى غير ذلك .

وتزاد الواو فى نحو «أولى . أولوا . أولات» ونحو «أولئك» أولائكم» ونحو «سأوريكم» .

وتزاد الياء فى نحو «والسماء بنيناها بأييد ، أفاين مات، نبإى المرسلين» إلى غير ذلك من الأمثلة .

(ثالثاً) الهمز :

الأصل فيها أن ترسم حسب حركة الحرف قبلها ، نحو «البأساء وائذن لى، اؤتمن » هذا إذا كانت ساكنة ، فإن تحركت وكانت فى الأول أو اتصل بها حرف زائد رسمت ألفا ، نحو «أيوب ، أولوا ، إذا ، سأصرف ، سأنزل، فبأى » وإن تحركت وكانت وسطا كتبت بحرف مجانس لحركة الحرف نفسه، نحو «سأل ، سئل ، نقرؤه» — وإن كانت طرفاً كتبت بحرف مجانس لحركة السابق ، نحو «سبأ ، شاطىء . لؤلؤ» — إلا ما استثنى فى الكل ، نحو «يتفيؤا ، أتوكؤا ، ما يعبؤا » ونحوها .

(رابعاً) البدل :

تكتب الألف واواً للتفخيم فى «الصلوة ، الزكوة ، الحيوة ، الربوا » حيث لم تضف . وفى «بالغدوة» فى الأنعام والكهف ، «كمشكوة» فى النور ، « النجوة» فى غافر ، «ومنوة» فى النجم ، إلا ما استثنى من القاعدة ، وتقبض التاء حيث وقعت اسما أو صفة ، وتمد حيث يكون مقتضاها فعلا وأثراً ظاهراً — من ذلك «الرحمة » تمد التاء فيها فى البقرة (٢١٨) والأعراف (٥٦) وهود (٧٣) ومريم (٢) والروم (٥٠) والزخرف (٣٢) أول الآية وآخرها . وتقبض فى غير هذه السبعة ، ومن ذلك أيضا «السنة» مقبوضة إلا فى خمسة مواضع هى فيها بمعنى الإهلاك والانتقام ، فى الأنفال (٣٨) وفى فاطر (٤٣) تكررت ثلاث مرات ، وفى غافر (٨٥) . وغير ذلك من الأمثلة .

(خامساً) الفصل والوصل :

من أمثلته «إنما» بالكسر، كله موصول إلا قوله تعالى «إن ما توعدون لآت» وبالفتح كله موصول إلا «وأن ما يدعون من دونه» في الحج ولقمان. و(كلما) كله موصول إلا في ثلاثة : في النساء (٩١) وإبراهيم (٣٤) والمؤمنون (٤٤) . و (مال) في أربعة مواضع مفصولة، النساء (٧٨) والكهف (٤٩) والفرقان (٧) والمعارج (٣٦) ، إلى غير ذلك من الأمثلة .

(سادسا) ما فيه قراءتان وكتب على إحداهما :

ذلك أن الكلمة إذا قرئت على حرفين تكتب على رسم أحدهما ، من ذلك : كلمات رسمت في المصحف بلا ألف وتقرأ بالحذف والإثبات، نحو «ملك يوم الدين ، يخدعون الله، ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام،ونحوها .

وكلمات قرئت بالجمع والإفراد وآخرها تاء ، نحو «غيابت الجب ، جمالت صفر ، فهم على بينت»، ونحوها ، وقد رسمت بالتاء المبسوطة .

وكلمات رسمت بالصاد وتقرأ بالصاد وبالسين ، نحو «الصراط ، «بصطة» في الأعراف فقط ، المصيطرون ، مصيطر» .

وقد تكتب الكلمة صالحة للقراءتين ، نحو «فكهون» بلا ألف وهي قراءة ، وعلى قراءتها هي محذوفة في الرسم لأنه جمع تصحيح .

أما القراءات المختلفة المشهورة بزيادة لا يحتملها الرسم، نحو «أوصي، ووصى ، تجري تحتها ، تجري من تحتها ، سارعوا ، وساعوا» فكتابته على نحو قراءته ، وكل ذلك موجود في مصاحف الإمام .

فائـــدة :

كتبت فواتح السور على صورة الحروف أنفسها ، اكتفاء بشهرتها ، وقطعت (حم عسق) دون (المص) و (كهيعص) طردا الأولى بأخواتها الستة.

(٤) فوائد التزام الرسم العثماني :

للرسم العثماني فوائد متعددة أهمها(١) :

(أ) حمل الناس على أخذ القرآن ممن عرف رسم المصحف، وألا يكتفى بأخذه من المصحف وحده ؛ لما يترتب عليه من اللبس وعدم القراءة بالقراءة الصحيحة ، وبهذا لا يوجد قارىء للقرآن إلا له شيخ أخذ عنه ؛ زيادة فى التثبت من ألفاظ القرآن وكيفيات النطق بها ، فوق ما فيه من اتصال سند قراءة القارىء إلى رسول الله ﷺ ، وتلك خاصة من خصائص هذه الأمة الإسلامية ، امتازت بها على سائر الأمم ، وأما اليهود فلا يقربون فى كتبهم من موسى قريبا من النبي ﷺ ، فبينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصراً ، وأما النصارى فليس عندهم منقول إلا تحريم الطلاق ، وأكثر المنقول عن اليهود والنصارى يجىء فى سنده كذاب أو مجهول العين فوق ما فيه من إرسال وإعضال(٢) .

---

(١) انظر وتأمل قول الأستاذ أحمد أمين «وحتى هؤلاء الذين كانوا يكتبون الوحى لم يكونوا مهرة فى الكتابة ، ولا كتابتهم سائرة على نمط واحد ، ولا خاضعة لقوانين الإملاء.. وسبب ذلك — كما يعلله ابن خلدون — ضعفهم فى صناعة الخط ، وأنهم لم يبلغوا حد الإجادة» (فجر الإسلام صـ ١٤٢) ، وإن ملاحظة بعض فوائد الرسم تدفع هذا القول .

(٢) لزيادة المعرفة انظر الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٢-٨١:٨٥)

(ب) الدلالة على تنوع القراءات فى الكلمة الواحدة، بقدرما يحتمله رسم تلك الكلمة ، فإن كانت الكلمة الواحدة تختلف صورتها باختلاف القراءة رسمت فى بعض المصاحف على صورة تخالف الأخرى ، ومثال الأولى «فسكهين» فإن رسمها بحذف الألف يجعلها تنطبق على القراءة بالحذف والإثبات ، ومثال الثانى «سارعوا ، وسارعوا» ففى بعض المصاحف يثبت الواو وفى بعضها يحذفها .

قال أبوعمرو الدانى : فإن سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد فى المصاحف ؟ قلت : السبب فى ذلك عندنا أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، لما جمع القرآن فى المصاحف ونسخها على صورة واحدة وآثر فى رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصح ولا يثبت نظراً للأمة واحتياطا على أهل الملة، وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله عز وجل كذلك منزلة ، ومن رسول الله ﷺ مسموعة، وعلم أن جمعها فى مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن إلا بإعادة الكلمة مرتين ، وفى رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للرسوم ما لا خفاء به ، فرقها فى المصاحف لذلك ، فجاءت مثبتة فى بعضها ومحذوفة فى بعضها ، لكى تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عز وجل ، وعلى ما سمعت من رسول الله ﷺ ، فهذا سبب اختلاف مرسومها فى مصاحف أهل الأمصار»(١) .

(ج) إفادة معان مختلفة بصورة تكاد تكون واضحة، نحو «فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا» و«أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم» فقطع الأولى فى الرسم ليدل على أنها أم المنقطعة التى بمعنى بل ، ووصل الثانية للدلالة على أنها ليست كتلك .

---

(١) المقنع فى رسم مصاحف الأمصار (١٢٣ ، ١٢٤)

(د) الدلالة على بعض اللغات الفصيحة ، كـكتابة هاء التأنيث تـاء مبسوطة دلالة على لغة طيء نحو «إذ قالت امرأت عمران»، و كحذف آخر المضارع المعتل بغير جازم للدلالة على لغة هذيل، نحو « يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه » .

(هـ) الدلالة على أصل الحركة ، كـكتابة الـكسرة ياء فى قوله تعالى «وإيتاىء ذى القربى» وكتابة الضمة واوا فى قوله سبحانه «ساوريكم دار الفاسقين» — ومثل ذلك الدلالة على أصل الحرف نحو «الصلوة ، الزكوة» ليفهم أن الألف منقبلة عن واو .

(و) التنبيه على العوالم الغائب والشاهد ومراتب الوجود والمقامات؛ إذ الخط إنما يرسم على الأمر الحقيقى لا الوهمى . وفى رسم المصحف ما يدل على هذه المعانى الخفية الدقيقة . فمثلا قوله تعالى «لا أذبحنه» «لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولا أوضعوا خلالكم » زيدت الألف تنبيهاً على أن المؤخر أشد فى الوجود من المقدم عليه فى اللفظ فالذبح أشد من العذاب السابق فى الآية ، والإيضاع أشد إفساداً من زيادة الخبال المتقدم فى الآية، ومثلا «وجاءو بسحر عظيم ، وجاءو أباهم ، وجاءو على قميصه ، جاءو ظلماً وزوراً » حذفت الألف من الأربعة لأن المجىء ليس على وجهه الصحيح، ومثلا «والسماء بنيناها بأييد» بياء ين فرقا بينها وبين جمع «يد» لأن الأيد هنا القوة، ولا شك أن القوة التى بنى الله بها السماء أحق بالثبوت فى الوجود من الأيدى، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر فى إدراك الملكوتى فى الوجود ، على حد قولهم زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

وفى قوله « ويمحُ الله الباطل » حذفت الواو علامة على سرعة المحو وقبول الباطل له بسرعة ، وقوله «سندعُ الزبانية» فيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش ، وهو وعيد عظيم .

وفي قوله « وأن ما يدعون من دونه هو الباطل » وقع الفصل عن حرف التوكيد إذ ليس لدعوى غير الله وصل في الوجود . ووصلها في النفي والعدم ؛ بدليل قوله تعالى عن المؤمن « أنما تدعونني إليه ليس له دعوة » فوصل في النفي وفصل في الإثبات لانفصاله عن دعوة الحق .

وقوله « لتخذت عليه أجراً » حذفت الألف ووصلت ، لأن العمل في الجدار قد حصل في الوجود ، فلزم عليه الأجر ، واتصل به حكماً ، بخلاف « وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذن لاتخذوك خليلاً » إذ ليس فيه وصلة اللزوم(١) .

٥ — هل رسم المصحف توقيفي أو اصطلاحي ؟

رسم المصحف غير متفق على وجوبه ، فمن العلماء من قال بجوازه ، ومنهم من منعه ، ومنهم من فصل في حكمه . وإليك تفصيل مذاهبهم :

(القائلون بالتوقيف) :

ذهب جمهور العلماء الى أن رسم المصحف توقيفي لا تجوز مخالفته . واستدلوا على ذلك :

١ — بأن النبي ﷺ كان له كتبة يكتبون الوحي بين يديه ، و كتبوه هكذا وأقرهم عليه ، واقراره ﷺ أحد أنواع السنة المعلومة . ثم جاء أبو بكر ثم عثمان رضي الله عنهما وحافظا على نفس الرسم ، ومن بعدهما التابعون ومن تبعهم ولم يخالف أحد في الرسم ولم ينقل عنهم مخالفة له .

---

(١) انظر البرهان (١ — ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٧ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤١٧ : ٤١٩) والإتقان (٢ — ١٦٨)

٢ — وبإجماع الأمة على فعل عثمان ، ولاريب أن إجماع الأمة في أي عصر واجب الاتباع خاصة في العصر الأول ؛ روى ابن أبي داود والطبري وغيرهما من رواية شعيب عن الزهري أن عثمان « أرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسل به » — ومن طريق مصعب بن سعد قال « أدركت الناس متوافرين حين أحرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك ، أوقال لم ينكر ذلك منهم أحد ، وقال ابن كثير إسناده صحيح ، وأخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن علي رضي الله عنه قال « لاتقولوا في عثمان إلا خيراً فوالله مافعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملإمنا »(١) . وانعقاد الإجماع على المصحف العثماني يشمل الرسم كذلك ، وهو دليل على أنه لايجوز العدول عنه .

٣ — واستدلوا أيضاً بأقوال العلماء في التزام الرسم العثماني : فقد سئل مالك رحمه الله « هل تكتب المصحف على ما أخذته من الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلا على الكتبة الأولى ، قال الداني « ولا مخالف له من علماء الأمة » ، وسئل مالك عن الحروف في القرآن كالألف والواو المزيدتين في الرسم لمعنى « أترى أن تغير من المصحف إذا وجدا فيه كذلك ؟ فقال : لا » — وقال الإمام أحمد رحمه الله تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك ، وقال البيهقي في شعب الإيمان « من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف ، ولا يخالفهم فيها ، ولا يغير مما كتبوه شيئاً ؛ فإنهم أكثر علماً ، وأصدق قلباً ولساناً ، وأعظم أمانة منا ، فلاينبغي أن يظن بأنفسنا استدراكا عليهم » وقال أبو عبيد « اتباع حروف المصاحف عندنا كالسنن القائمة التي لايجوز لأحد أن يتعداها »(٢).

---

(١) انظر المقنع (١٠) ، وفتح الباري (١٠ — ٣٩٣ ، ٣٩٥) ، وفضائل القرآن (١٣) ، والمصاحف (١٢ ، ١٣ ، ٢٠) ، والبرهان (١ — ٢٣٦ ، ٢٣٩) .

(٢) البرهان (١ — ٣٧٩ ، ٣٨٠) والمقنع (١٠ ، ٣٠) والإتقان (٢ — ١٦٧) .

٤ — وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضاً معجز ، وكيف تهتدى العقول إلى سر زيادة الألف فى (مائة) دون (فئة) ؟ وفى (سعوا) فى الحج دون (سعو) فى سبأ ؟ وفى (وعتوا عن أمر ربهم) دون (وعتو عتوا كبيرا) ؟ كيف تبلغ العقول إلى وجه حذف حرف فى بعض الكلمات المتشابهة دون بعض؟ لو كان الرسم بالاجتهاد لما خولف فيه بين هذه المتشابهات ، إذن فكل ذلك من الأسرار الإلهية والأغراض النبوية(١) .

هذا ... وقد علمنا أن للقرآن أسرارا لا تستفاد إلا بهذا الرسم ، فمن كتبه برسمه فقد أداه بأسراره ، ومن كتبه بغيره فقد أداه ناقصا .

القائلون بالاصطلاح :

جنح إلى هذا الرأى ابن خلدون فى مقدمته(٢) والباقلانى فى الانتصار. قال الباقلانى إن الله تعالى فرض على الأمة الوصية بألفاظ القرآن ، وأما كتابته فلم يفرض على الأمة فيها شيئا ؛ إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف ، وليس فى نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وخطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحد محدود لا يجوز تجاوزه ، ولا فى

---

(١) كتاب الإبريز لابن المبارك ص (٦٠) بتصرف .

(٢) وعبارته «رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة فى الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها . ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب رسول الله ﷺ وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه ، كما يقتفى لهذا العهد خط ولى أو عالم تبركا ويتبع رسمه خطأ أو صوابا» إلخ انظر ص ٤١٩

نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه ، ولا فى إجماع الأمة ما يوجب ذلك ، ولا دلت عليه القياسات الشرعية : بل السنة دلت على جواز رسمه بأى وجه سهل لأن رسول الله ﷺ كان يأمرهم برسمه ، ولم يبين لهم وجها معينا ، ولا نهى أحـــدا عن كتابته ، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف ، فالخطوط إنما هى علامات ورسوم تجرى مجرى الإشارات والعقود والرموز ، فكل رسم دل على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته وتصويب الكاتب به على أى صورة كان . وبالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه ، وأنى له ذلك اهـ بتصرف(١).

ونوقش هذا الرأى بما يأتى :

أولا : بأدلة الجمهور سالفة الذكر .

ثانياً : دعواه أن السنة خالية من نص يوجب ذلك ، مردود بإقرار الرسول ﷺ كتاب الوحى على هـذا الرسم ، ومنهم زيد بن ثابت الذى كتب المصحف لأبى بكر وعثمان .

ثالثاً : دعواه اختلاف خطوط المصاحف غير مسلم ؛ لقيام الإجماع وانعقاده على رسم المصحف العثمانى ، منذ عهد الصحابة ومن بعدهم من غير نكير من أحد منهم . ونسبته المخالفة إلى الصحابة لم تحصل ،وقد علمنا آنفا أنهم رضوا عمل عثمان .

ثم نقول له : إن سائر الصحابة والتابعين وتابعيهم أجمعوا على أنه لا يجوز زيادة حرف فى القرآن ولا نقصانه منه ، وما بين الدفتين كلام الله

(١) الإبريز (٥٩) .

عز وجل ، فإذا كان النبي ﷺ أثبت ألف « الرحمن » ولم يزد الألف في « ولا أوضعوا » وخالفت الصحابة ، لزم أنهم تصرفوا في القرآن بالزيادة والنقص ، ولزم تطرق الشك في جميعه . وحينئذ تنحل عروة الإسلام من أصله »

يقول ابن المبارك تلميذ الشيخ الدباغ « ماضيعت الأمة شيئا من الوحي ، والقرآن بحمد الله محفوظ ألفاظا ورسما ، فأهل العرفان والشهود والعيان ، حفظوا ألفاظه ورسمه ، ولم يضيعوا منها شعرة واحدة ، وأدركوا ذلك بالشهود والعيان الذي هو فوق التواتر ، وغيرهم حفظوا ألفاظه الواصلة إليهم بالتواتر ، واختلافهم في بعض حروف الرسم لا يقدح ولا يصير الأمة مضيعة ، كما لا يضر جهل العامة بالقرآن وعدم حفظهم لألفاظه » اهـ[١] .

القائلون بالتفصيل :

قالوا يحرم رسم المصحف إذا خيف الالتباس ، ويجب اتباعه بالنسبة للخاصة العارفين به ، لأنه لا يخشى عليهم الالتباس . بل يتأكد وجوبه لئلا يترك هذا الرسم رأسا ويندرس ، فيأتي على الناس زمان يجهلون فيه كيف كتب الصحابة القرآن ؟ وهم أبر هذه الأمة وخير من يهتدى بهديهم .

قال الزركشي « وكان هذا في الصدر الأول ، والعلم حي غض ، وأما الآن فقد يخشى الإلباس . ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة ، لئلا يوقع في تغيير من الجهال ، ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه ، لئلا يؤدي إلى دروس العلم ، وشيء أحكمته القدماء لا تترك مراعاته لجهل الجاهلين ، ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة »[٢] . اهـ .

---

(١) مناهل العرفان (١ — ٣٧٧ ، ٣٧٨) .

(٢) البرهان (١ — ٣٧٩) ولزيادة المعرفة انظر تفسير العلامة الألوسي عند تفسيره قول الله تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » من سورة العنكبوت . وانظر فتح الباري (٧ — ٣٥٢) وما بعدها .

وقال الشيخ عبد الوهاب غزلان :

« ولعل أمثل الآراء فى هـذه المسألة هو رأى القائلين بالتقيد بالرسم العثمانى، لما فيه من متابعة السلف ، والمبالغة فى قداسة القرآن ، بحمايته من التغيير والتبديل فى رسمه ، سواء قلنا إن هـذا التقيد واجب كما صرح به بعضهم ، أو قلنا إنه مرغب فيه ترغيباً قوياً ، كما يشعر به تعبير بعضهم عن حكم اتباعه بكلمة ينبغى ، كالبيهقى وغيره .

وشبهة اللبس مندفعة بلزوم أخذ القرآن عن موقف — كما سبق — فإن لم يؤخذ بهذا الرأى فلا أقل من أن يؤخـذ بالتفصيل الذى ذهب إليه الزركشى . ففيه حماية العامة من اللبس ، وفيه بقاء الرسم الذى كتب القرآن عليه بين يدى رسول الله ﷺ ، وفى عهد الصحابة من بعده ، وأما ترك هذا الرسم تركا كليا ، فمع ما فيه من تجهيل المسلمين بما أثر فى رسم القرآن عن السلف الأولين ، فإن فيه أيضا إضاعة لفوائد مرتبطة بهذا الرسم» اهـ[١].

٦ — بعض الشبه التى أثيرت حول رسم القرآن الكريم :

من دأب المستشرقين والمبشرين أن يتلمسوا المطاعن فى القرآن ، بكل ما أوتوا من قوة ، حقداً وحسداً ، ولكن الله تعالى قيض لكتابه من يدفع عنه هذه الشبه الزائفة[٢] . وإليك بعض هـذه الشبه :

(١) البيان فى مباحث من علوم القرآن (٢٦٠) .

(٢) راجع ما كتبناه عن بعضها ، فى الفصل الأول .

(الشبهة الأولى) :

قال جولد زيهر « والنص المتلقى بالقبول — القراءة المشهورة — الذى هو لذاته غير موحد فى جزئياته يرجع إلى الكتابة ، التى تمت بعناية الخليفة الثالث عثمان ، دفعا للخطر الماثل من رواية كلام الله فى مختلف الدوائر على صور مغتايرة ، وتداوله فى فروض العبادة على نسق غير متفق ، فهى إذن رغبة فى التوحيد ذات حظ من القبول »(١)

ثم يقول « وفى المواضع التى تبدو فيها مفارقات نحوية ، اجترأ بعضهم على دعوى أن ما بقى من ذلك فى نص الكتاب المنزل المعترف به ، يجيب النظر إليه على أنه خطأ كتابى وقع فيه ناسخ غير يقظ »(٢) ثم يقول «وباطراد تنظيم العادات المتصلة اتصالا وثيقا بالحياة الدينية ، برزت الحاجة إلى إقامة حاجز حسب الإمكان فى وجه الحرية السائدة فى تناول نص الوحى الإلهى فلم يعد ممكنا عمليا بعد أن يقضى على هذه الحرية بالكلية ، ويوحد نص القرآن توحيداً كاملا »(٣) ثم يقول « والمتكلمون على وجه الخصوص هم الذين لم يرتضوا الحد من حريتهم تجاه النص القرآنى المأثور ، وهم يقولون : إنه يسوغ إعمال الرأى والاجتهاد فى إثبات قراءة وأوجه وأحرف ، إذا كانت تلك الأوجه صوابا فى العربية ، وإن لم يثبت أن النبى — ﷺ قرأبها »(٤) .

(١) مذاهب التفسير الإسلامى (٦) .
(٢) ص (٤٦) .
(٣) ص (٥٤) .
(٤) ص (٦٢) .

ويروى عن الطبرى أن الزبير سأل أبان بن عثمان عن الآية (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة) فأجابه بأن هذا من خطأ الكاتب. وعن عروة أنه سأل خالته السيدة عائشة عن نفس الآية، فقالت: يابن اختى: هذا من عمل الكتاب أخطأوا فى الكتاب »(١).

(ونقول) إن هذا المستشرق شأنه شأن المستشرقين عموما، هدفهم طعن المسلمين فى أقدس مقدساتهم، خدمة لأرباب الديانات الأخرى:

١ — ولذا فقد دأبوا على البحث والتنقيب فى بطون الكتب وأغوارها لهذا الغرض الدنىء، سواء كانت أقوالا حكاها أهلها بصيغة التمريض أو ردوها بالفعل، ولكن هؤلاء حكوها على أنها مذهب صاحب الكتاب أو من حكى عنه، وبذلك فقدوا شرطاً جوهرياً من شروط البحث العلمى.

٢ — ثم إنهم لايترددون فى الاستدلال على مدعاهم بأسانيد ضعيفة، مستقاة من خبايا كتب التاريخ واللغة التى تحكى الغث والسمين، وقد يكون أهلها من غير أهل الفن.

٣ — وأيضا فإنهم يبترون النص بتراً، ويقطعونه عن ظروفه وملابساته، حتى يتفق مع مبدئهم الذى يسوقون النص لأجله، وبذلك يشوهون الحقائق ويطمسون معالم الدين. خذ مثلا قوله: إن الكتاب أخطأوا فى موضع الآية (١٧) من سورة الفتح حيث جعلوها (٦١) من سورة النور، وهى فى مكانها الحالى قلقة لاتناسب بينها وبين ماقبلها وما بعدها، ثم يستشهد بكلام القاضى البيضاوى فى هذا الموضع — وإليك نص قول القاضى البيضاوى [٢/٦٣]: « فنى لما كانوا يتحرجون من

---

(١) ص (٤٦، ٤٧)

مؤاكلة الأصحاء حذراً من استقذارهم أو أكلهم من بيت من يدفع إليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه إذا خرج إلى الغزو وخلفهم على المنازل ؛ مخافة أن لا يكون ذلك من طيب قلب أو من إجابة من يدعوهم إلى بيوت آبائهم وأولادهم وأقاربهم فيطعمونهم كراهة أن يكونوا كلا عليهم .... وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله ولا ما بعده ، (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) .

٤ — بل إن المستشرق (سير وليم موير) يقول : إن المسلمين حافظوا على القرآن بعـــد موت النبي ﷺ ، واتبعوا في ذلك أدق الطرق لحفظ التراث ، فجاء كما كان في حياته ثم يتساءل « أهذا النص هو صورة مضبوطة لما جمع زيد بعد الاتفاق على إزالة ما كان في التلاوة من أوجه الاختلاف قليلة العدد قليلة الخطر ؟ وكل ما لدينا مقنع تمام الإقناع بأن الأمر كذلك ، فليس في الأنباء القديمة أو الجديرة بالتصديق ، ما يلقي على عثمان أية شبهة بأنه قصد إلى تحريف القرآن ، ثم يقول : إن القرآن روعي فيه الدقة التامة على مختلف مرات الجمع ، وإن النتيجة التي نستطيع الاطمئنان إليها هي أن المصحف لم يكن دقيقا فحسب ، بل كان كاملا كما تدل الوقائع ، ولم يغب عن جامعيه منه شيء ، وكل آية منه مضبوطة كما تلاها محمد ﷺ (١) .

والفضل ما شهدت به الأعداء .

٥ — ثم نذكر السبب الذي من أجله اختلفت القراءة فيما يحتمله خط المصحف ، ونترك مكي بن أبي طالب يحكي السبب . يقول رحمه الله « إن

---

(١) حياة محمد (٣١ : ٣٨) بتصرف وتلخيص . وانظر الموضوع بتمامه في رسالة (المناسبات في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره) للمؤلف . وهي مودعة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر . وطبعت سنة ١٩٧٩

الصحابة رضى الله عنهم — كان قد تعارف بينهم من عهد النبي — ﷺ — ترك الإنكار على من خالفت قراءته قراءة الآخر لحديث النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم وغيرهما بعدة روايات واللفظ لمسلم (٦ — ١٠١) أن ابن عباس رضى الله عنهما حدثه أن النبي ﷺ قال « أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف . قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام » وفي حديث أبي « ... ثم جاءه الثالثة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا » فكانوا يقرأون بما تعلموا ، ولا ينكر أحد على أحد قراءته ، وكان النبي ﷺ قد وجه بعضهم إلى البلدان ؛ ليعلموا الناس القرآن والدين ، ولما مات النبي ﷺ خرج جماعة من الصحابة في أيام أبي بكر وعمر ، إلى ما افتتح من الأمصار ، ليعلموا الناس القرآن والدين ، فعلم كل واحد منهم أهل مصره على ما كان يقرأ على عهد النبي ﷺ ، فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين علموهم . فلما كتب عثمان المصاحف وجهها إلى الأمصار وحملهم على ما فيها ، وأمرهم بترك ما خالفها ، وقرأ أهل كل مصر مصحفهم الذي وجه إليهم على ما كانوا يقرأون قبل وصول المصحف إليهم ، مما يوافق خط المصحف ، وتركوا من قراءتهم التي كانوا عليها مما يخالف خط المصحف : فاختلفت قراءة أهل الأمصار لذلك بما لا يخالف الخط ، وسقط من قراءتهم كلهم ما يخالف الخط ... »(١) .

---

(١) الإبانة عن معاني القراءات (١٤ : ١٦) بتصرف .

ثم يذكر أن جميع ما روى من القراءات على ثلاثة أقسام :

١ — قسم يقرأ به وهو ما نقله الثقات إلى النبي ﷺ، ويكون له وجه في العربية ، ويكون موافقاً لرسم المصحف .

٢ — وقسم لا يقرأ به ولكنه يقبل : وهو ما نقله الثقات وله وجه في العربية ، ولكنه يخالف خط المصحف ؛ والعلة في عدم القراءة به أنه نقل بأخبار الآحاد ، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد ، وأيضاً لا يقطع بصحته وما لم يقطع بصحته لا تجوز القراءة به ، ولا يكفر من جحده .

٣ — وقسم لا يقبل وإن وافق خط المصحف : وهو ما نقله غير ثقة ، أو لم يكن له وجه في العربية(١) .

ثم يقول في موضع آخر « . . . وهذا الاختلاف الذي يخالف خط المصحف وما جاء منه ، مما هو زيادة على خط المصحف ، أو نقصان من خط المصحف ، وتبديل لخط المصحف — وذلك كثير جداً — : هو الذي سمع حذيفة في المغازي . . . وهو الذي حدا عثمان على جمع الناس على مصحف واحد ، ليزول ذلك الاختلاف فافهمه .

قال أبو محمد : فهذا لا يجوز اليوم لأحد أن يقرأ به ، لأنه إنما نقل إلينا بخبر الواحد عن الواحد ، ولا يقطع على صحة ذلك ، ولا على غيبه ، وهو مخالف لخط المصحف الذي عليه الإجماع ، ويقطع على صحته وعلى غيبه ، فخط المصحف أولى ، لأنه يقين والخبر غير يقين ، فلا يحسن أن ينتقل عن اليقين إلى غير يقين . . . وإنما قرىء بهذه الحروف التي تخالف المصحف قبل جمع عثمان — رضي الله عنه — الناس على المصحف ، فبقي ذلك

---

(١) نفس المرجع (١٨ ، ١٩) بتصرف .

محفوظاً فى النقل غير معمول به عند الأكثر لمخالفته للخط المجمع عليه ،(١) فهى إذن رواية تاريخية فقط .

إذن فما ينقله المستشرقون لايخرج عن كونه من القسم الثانى — وقد عرفنا ما فيه .

وكثير منه يدخل فى دائرة القسم الثالث ، وهو إن وجد فى غير ملة الإسلام ، فإن ميزة نقل القرآن أنه ينقل عن طريق الثقة عن الثقة إلى الرسول ﷺ .

ثم نقول لجولد زيهر : ما مرادك من قولك : إن النص غير الموحد فى ذاته يرجع إلى الخط؟ أهو تغاير القراءتين فى اللفظ مع اتفاق المعنى ؟ أم مع اختلاف المعنى أيضاً والمعنى صحيح فيهما ؟ أما الأول فقد ورد فى السبعة ومثاله « اهدنا الصراط » بالصاد والسين .

وأما الثانى فقد ورد كذلك فى السبعة ومثاله « فأزلهما الشيطان عنها » قرىء بالألف بعد الزاى وبحذفها . ولكن على أية حال فإن المعنى عليهما لايتضارب ويمكن اجتماعهما ، إذ الوقوع فى الزلة ملزوم والتنحى عن الجنة لازم له ـ أما إن كان مراده اختلاف القراءتين فى اللفظ والمعنى مع تضاد المعنيين (٢) ، فهذا لايمكن فى القرآن الكريم « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » .

يقول ابن قتيبة « الاختلاف نوعان: اختلاف تغاير واختلاف تضاد، فاختلاف التضاد لايجوز، ولست واجده بحمد الله فى شىء من القرآن، إلا فى

---

(١) نفس المرجع (٧٩ ، ٨٠) وانظر أيضاً النشر فى القراءات العشر (١٤ ، ١٥) من الجزء الأول .

(٢) انظر الحديث السابق ص (١١٤) .

الأمر والنهى من الناسخ والمنسوخ . واختلاف التغاير جائز ، وذلك مثل قوله « وادكر بعد أمة » ، أى بعد حين ، و « بعد أمه » أى بعد نسيان ، والمعنيان جميعاً وإن اختلفا صحيحان ، لأنه ذكر أمر يوسف بعد حين وبعد نسيان له ، فأنزل الله على لسان نبيه ﷺ بالمعنيين فى غرضين...»(١) .

ومن هذا نعلم بطلان قول جولدزيهر السالف ، وقوله أيضاً « وقد يحدث أن يستبعد المعنى المفهوم من النص المشهور تماماً ، ويوضع مكانه ما هو نقيضه ! ! ! ويقدم مطلع سورة الروم ذكراً لإحدى العلاقات التاريخية المعاصرة التى يندر ورودها فى القرآن ﴿غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ فعلى التفسير المشهور تتضمن الآية انعكاس الأثر الذى تركه فى نفس محمد ﷺ انتصار الفرس على الروم سنة ٦١٦م ، وقد وصل خبره إلى أهل مكة وقد رحب المشركون بهزيمة النصارى ؛ إذ كانوا يميلون إلى الفرس ، أما محمد — ﷺ — فقد ساء تأثره من هزيمة النصارى ؛ إذ كانوا على كل حال أقرب إلى عاطفته ، ولكنه فى نفس الوقت عبر !! عن ثقته بأن الدائرة ستدور قريبا على الفرس . . . بيد أن الجميع لم يتفقوا على قراءة النص كما سبق ، بل قرىء أيضاً « غَلبت الروم » بالبناء للفاعل [وهذا راجع إلى نصر أحرزه الروم توّا على قبائل عربية تقع على الحدود السورية] فى أدنى الأرض وهم من غلبهم [من إضافة المصدر للفاعل] سيغلبون [بالبناء للمفعول] فى بضع سنين . والمسلمون الذين أجازوا هذه القراءة يرون فيها إخباراً بالنصر الذى أحرزته الجماعة الإسلامية الفتية على البيزنطيين بعد هذا الوحى بتسع سنين .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص (٣١) .

ونرى أن فى القراءة المشهورة والقراءة المخالفة لها تأويلين متغايرين تغايراً بعيداً ، فالمنتصرون فى القراءة المشهورة هم المهزومون فى القراءة المخالفة ، والفعل المبنى للفاعل فى الأولى مبنى للمفعول فى الثانية . وإذن فهما قراءتان وتأويلان لجملة واحدة من كلام الله تعالى متعارضتان إلى أبعد مدى »(١) .

فهذا قول باطل لأننا علمنا أن القرآن كلام الله ، لا صنعة فيه لمخلوق ، أعجز الإنس والجن جميعاً (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) . (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) . والقراءة الأخرى وإن كانت آحادية ، إلا أنه لا يثبت بها التعارض فى النص الإلهى : لاختلاف الموضوع فى كلتا القراءتين . ويقول القرطبى «وقيل سرورهم إنما كان بنصر رسول الله ﷺ على المشركين ؛ لأن جبريل أخبر بذلك النبى ﷺ يوم بدر ، حكاه القشيرى . قلت : ويحتمل أن يكون سرورهم بالمجموع من ذلك ، فسروا بظهورهم على عدوهم وبظهور الروم أيضاً بإنجاز وعد الله »(٢) .

ثم نقول : كيف يصح فى العقل أن يثبت عثمان الخطأ فى المصحف ، ويرضى بذلك الصحابة ؟ و كيف يجعله للناس إماماً ، ثم يتركه على خطئه ليصلحه من يأتى بعد ؟ إن عثمان كتب عدة مصاحف ووجه كلا منها إلى قطر من أقطار المسلمين ، والخطأ إما أن يكون فى جميعها وتركه ليصلحه الخلف أو أن يكون فى بعضها دون البعض ؟ فإن قال فى البعض فقد اعترف بصحة البعض ولم يذكر أحد أن الخطأ كان فى مصحف دون مصحف ، ولم تختلف المصاحف إلا فيما هو من وجوه القراءات ، وليس ذلك

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامى (٢٩ : ٣١)
(٢) تفسير القرطبى (١٤ — ٦)

بخطأ ، وإن قال هو في الجميع لم يصح أيضاً لأنه يكون مناقضاً للقصد في نصب إمام يقتدي به على هذه الصورة — وأيضا فإذا كان الذين تولوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك وهم سادات الأمة وعلماؤها ، فكيف يقيمه غيرهم(١) ؟

وأخيراً: فإن من يطلع على كتب النحو لا يرى خطأ فيما استشهدوا به من آيات(٢) . وحسبك أن تعلم أن الآثار التي طعنوا بها القرآن : مضطربة في ألفاظها مع تخليط في أسانيدها فوق ما فيها من إرسال وانقطاع في السند(٣) .

(الشبهة الثانية) في آيات بعينها :

١ — الآية الأولى : قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) .

يقول جولد تسيهر « وحصل العمل بنفس هذه الوجهة من النظر في مشكلات نحوية أخرى ، وأجيز هذا الاحتمال دون تهيب ولا تردد . وروى هذا الجواز — كما قرىء في الآية (٢٧) من سورة النور «تستأذنوا» بدلا من «تستأنسوا» — عن سعيد بن جبير بأعلى سند دون نكير إلى ابن عباس : إن قراءة معينة من القراءات المتلقاة بالقبول ترجع إلى غفلة النساخ »(٤) الخ .

---

(١) النشر (١ — ٤٢٩)

(٢) انظر « شذور الذهب » مثلا (٤٦:٥٥)

(٣) النشر (١ — ٤٥٩) والمقنع (١٢٤:١٢٨)

(٤) مذاهب التفسير الإسلامي (٤٧)

(ونقول) إن هذا القول مدسوس على ابن عباس رضي الله عنهما، ومن حكاه عنه فهو ملحد زنديق — قال القرطبي: «هذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره، فإن مصاحف الإسلام كلها قد ثبت فيها «حتى تستأنسوا»، وصح الإجماع فيها من لدن مدة عثمان، فهي التي لا يجوز خلافها. وإطلاق الخطأ والوهم على الكاتب في لفظ أجمع الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس؛ وقد قال عز وجل (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[1] الخ.

وقال ابن كثير: إن ابن جرير روى الخبر عن ابن عباس هكذا، ورواه هشيم عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس بمثله «وهذا غريب جدا». وروى عن العوفي عن ابن عباس قال: «الاستئناس: الاستئذان[2]»، فلعل الراوي عن ابن عباس وهم حيث فهم من تفسير ابن عباس الاستئناس بالاستئذان أنه قراءة له. وذاك وإن رواه الحاكم وصححه، فإنه لا يعتبر تصحيحه عند أهل الفن وقد تعقبه الذهبي في كثير جداً من «المستدرك».

ويرد الرواية أيضا أنها معارضة لما نقله القراء السبعة، والقاعدة أن ما عارض القطعي ساقط. ومن تأمل في اللفظين وجد أن (تستأنسوا) متمكنة في المعنى، بينة الوجه في كلام العرب.

٢ — الآية الثانية: قول الله تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون. قل من بيده

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٢—٢١٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣—٢٧٩، ٢٨٠)

ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون)(١) .

«قال أبو عبيد . وكذلك رأيت ذلك فى الإمام . وقال هارون الأعور عن عاصم الجحدرى : كانت فى الإمام « لله » ، « لله »(٢) وأول من ألحق هاتين الألفين نصر بن عاصم الليثى — وقال أبو عمرو — الدانى — كان الحسن يقول: الفاسق عبدالله بن زياد زاد فيهما ألفا — وقال يعقوب الحضرمى أمر عبيـــد الله بن زياد أن يزاد فيهما ألف . قال أبو عمرو — الدانى — : وهـذه الأخبار عندنا لا تصح لضعف نقلها واضطرابها وخروجها عن العادة؛ إذ غير جائز أن يقدم نصر أو عبيدالله هذا الإقدام، من الزيادة فى المصاحف ، مع علمهما بأن الأمة لا تسوغ لهما ذلك ، بل تنكره وترده وتحذر منه ولا تعمل عليه ، وإذا كان ذلك بطل إضافة هاتين الألفين إليهما ، وصح أن إثباتهما من قبل عثمان والجماعة — رضوان الله عليهم — على حسب ما نزل به من عند الله تعالى وما أقره رسول الله ﷺ ، واجتمعت المصاحف على أن الحرف الأول «سيقولون لله» الآية ٨٥ بغير ألف قبل اللام(٣) .

والعلة فى إسقاط الألف وإثبات اللام فى الأولى : أنها جواب « لمن الأرض ومن فيها» ، لأن اللام لما تقدمت فى السؤال أتى بها فى الجواب ، وأما قراءة من قرأ من السبعة بالألف فى الثانية والثالثة ، لأنه ليس فى السؤال لام — والعرب تقول : لزيد وزيد ، جوابا لمن سأل :لمن الدار ؟ لأن تأويل لمن الدار : من يملك الدار ؟ وتقول زيد ، جوابا لمن سأل : من مالك الدار؟ وإن قال: لزيد ، لم يخطيء على أن معنى الكلام: لمن هى؟ »وأهل

---

(١) الآيات (٨٤:٨٩) من سورة المؤمنون

(٢) أى الثانية والثالثة .

(٣) المقنع (١١٢)

العراق أسقطوا اللام من الثانى والثالث ، لما لم يتقدم فى السؤالين لام ، وبنى أهل الشام على معنى الكلام لا على لفظه »(١) .

٣ — الآية الثالثة : قول الله تعالى (أفلم ييئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) .

روى عن ابن عباس أنه قرأ « أفلم يتبين » وقال عن القراءة المشهورة « أظن الكاتب كتبها وهو ناعس » .

(ونقول) إن هذا زعم باطل وقول زنديق « وهذا ونحوه مما لا يصدق فى كتاب الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتى الإمام ، وكان متقلبا فى أيدى أولئك الأعلام المحتاطين فى دين الله المهيمنين عليه ، لا يغفلون عن جلائله ودقائقه ، خصوصا عن القانون الذى إليه المرجع ، والقاعدة التى عليها البناء ، هذه والله فرية ما فيها مرية »(٢) .

وقد وردت القراءة المتواترة عن ابن عباس ، كما حكاه القرطبى عن مجاهد وسعيد بن جبير عنه(٣) ثم إن هذه القراءة مسندة إلى رسول الله ﷺ ولم يقرأ بها لأنها لم تتلق(٤) .

ونكتفى بهذا القدر من الآيات ، ومن أراد المزيد فعليه بمراجعة المطولات .

---

(١) مقدمتان فى علوم القرآن (١٢٨)
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل (١ — ٦٥٥)
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٩ — ٣٢٠)
(٤) البحر المحيط (٥ — ٣٩٣)

وجماع القول :

أن الله تعالى وعد بحفظ كتابه ، من أيدى المغرضين ، وصانه عن وصول الباطل إليه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ، ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ ولقد ذكر القرآن أن الرسول ﷺ نفسه لا يستطيع أن يبدله ﴿قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى﴾ ، ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾ .

وإذا كان هذا حال الرسول ﷺ فأولى منه الصحابة والتابعون ومن بعدهم ، لا يستطيع أحد منهم أن يغير منه شيئاً . ولقد علمنا أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يعتمدون فى نقل القرآن وفى حفظه على ما سمعوه من النبى ﷺ ، حتى لقد ضبطوا عنه الحركات والسكنات والغنات والمدات والوقفات وكل ما يتصل بالقرآن الكريم ، يشهد بذلك التاريخ الصحيح ، وكيف لا ، وقد علموا أن القرآن سبب عزهم فى الدنيا وسعادتهم فى الآخرة! ولم يزل أهل الفضل يقومون بخدمة القرآن الكريم ، خلفاً عن سلف ، حتى وصل إلينا كما نطق به الرسول ﷺ بعيداً عن التحريف والتغيير والتبديل ، وسيظل هكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

(٧) شكل المصحف وإعجامه :

يقال : شَكَلَ الكتاب : إذا قيده بالإعراب ، وأشْكَلَ الكتاب : إذا أزال إشكاله والتباسه . ويقال : أعجم الحرف إذا نقطه بالسواد ، كالتاء عليها نقطتان ، وحروف المعجم هى الحروف المقطعة التى يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الاسم (١) .

---

(١) مختار الصحاح (٣٦٧، ٤٤٠) بتصرف .

فالشكل خاص ببيان ما يعرض للحرف من حركة أو سكون ، والإعجام خاص ببيان ذات الحرف وتميزه عن غيره .

ولما كتب عثمان المصاحف جردها من الشكل والنقط ، لأن العرب لم تكن فى حاجة إلى ما يرشدهم إلى النطق الصحيح الخالى من اللحن ، لأنهم يدركون ذلك بسليقتهم . وأيضا حتى تصلح الكلمة لأن تقرأ بوجوه القراءات الثابتة ، التى يحتملها الرسم مجرداً من النقط والشكل .

ولما جاوز الإسلام حدود بلاد العرب ودخل الناس من غير العرب فى الدين ، أخذ اللحن فى الكلام يفشو بين العرب وبين العجم على السواء . حتى لقد قيل : إن زياداً والى البصرة سأل أبا الأسود الدؤلى أن يضع للناس علامات يعرفون بها كتاب الله ، فاستعفاه من ذلك ، ثم حدث أن أبا الأسود سمع قارئا يقرأ « أن الله برىء من المشركين ورسوله » بجر اللام ، فأفزعه هذا الأمر فزعا شديداً ، وذهب إلى زياد وقال له : قد أجبتك إلى ما سألت . ثم إنه وضع الشكل أولا ؛ لأن الحاجة إلى معرفة حال الحرف أمس من الحاجة إلى الإعجام الذى يميز الحرف من الحرف ، فوضع على الحرف المفتوح نقطة من أوله ، والمضموم نقطة من آخره ، والمكسور نقطة تحت أوله — والذى اشتهر الآن الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف ، وهو الذى أحدثه الخليل بن أحمد (١) .

ويروى الدانى أن المبتدىء بذلك كان نصر بن عاصم الليثى وأنه الذى خمسها وعشرها . ويروى أيضا أن ابن سيرين كان عنده مصحف نقطه يحيى بن يعمر ، وأن يحيى أول من نقطها . ثم يقول « وهؤلاء الثلاثة من جلة تابعى البصريين ، وأكثر العلماء على أن المبتدىء بذلك أبو الأسود

---

(١) الإتقان (٢-١٧١) ، وانظر الإصابة (٢-٢٤١ ، ٢٤٢) .

الدؤلى ، جعل الحركات والتنوين لاغير ، وأن الخليل بن أحمد هو الذى جعل الهمز والتشديد والروم والإشمام ، (١) .

وأما ابن عطية فيرى أن عبدالملك بن مروان هو الذى أمر به « فتجرد لذلك الحجاج بواسط وجد فيه ، وزاد تحزيبه ، وأمر وهو والى العراق : الحسن ويحيى بن يعمر بذلك . . .

وأما وضع الأعشار فيه : فمر بى فى بعض التواريخ أن المأمون العباسى أمر بذلك ، وقيل إن الحجاج فعل ذلك . وذكر أبو عمرو المسرانى عن قتادة أنه قال : بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا ، وهذا كالابتكار »(٢)

وهؤلاء الأربعة : (أبو الأسود ، نصر ، الحسن ، يحيى(٣)) من جلة التابعين ، وقد عاشوا فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى ، ومن هنا يمكننا أن نقول إن إحداث الشكل تبعه إحداث النقط مع تقارب فى الزمن . ويمكننا أن نقول فى التوفيق بين الأربعة : إن أبا الأسود هو أول من بدأ على الإطلاق فى شكل المصاحف ، ولكن بصفة فردية . وإن نصر ابن عاصم هو الذى زاد على الشكل التخميس والتعشير ، وإن الحسن ويحيى هما اللذان نشرا المصحف ونقطاه على حالته الأخيرة بأمر الوالى ، فأخذ الصفة الرسمية وذاع بين الناس .

---

(١) المقنع (١٢٣) والرَّوم : حركة مختلسة مختفاة ، وهى أكثر من الإشمام لأنها تسمع .

(٢) مقدمة ابن عطية (٢٧٥) .

(٣) تاريخ وفاتهم بالترتيب هى كالآتى :

(أ) أبو الأسود الدؤلى : توفى ٦٩ هـ

(ب) نصر بن عاصم : توفى ٨٩ هـ

(ج) الحسن البصرى : توفى ١١٠ هـ

(د) يحيى بن يعمر : توفى ١٢٩ هـ

حكم نقط المصحف وشكله :

كان القرآن فى الصدر الأول مجرداً من كل ماليس بقرآن ، فلم تكتب فيه الاستعاذة مع كونها مطلوبة ممن يريد القراءة . ولم تكتب (آمين) آخر الفاتحة مع كونها كذلك ، ولم يكتب فيه اسم السورة ولا عدد آيها ولا زمان نزولها — إلى غير ذلك مما نراه الآن فى المصاحف .

وكان ابن مسعود يكره التعشير فى المصحف ويقول : جردوا القرآن ولا تلبسوا به شيئاً .

وعن الحسن أنه كان يكره التعشير فى المصحف ونقطه ويقول : جردوا القرآن ولا تلبسوه بشىء .

وعن أبى جمرة قال : أتيت إبراهيم[١] بمصحف لى مكتوب فيه سورة كذا وكذا آية ، فقال إبراهيم : امح هذا ، فإن ابن مسعود ، كان يكره هذا ويقول : لاتخلطوا بكتاب الله ماليس منه .

وعن خالد الحذاء قال : رأيت ابن سيرين يقرأ فى مصحف منقوط .
وسئل ربيعة بن عبد الرحمن عن شكل القرآن فى المصاحف فقال : لا بأس به وكذا سئل الحسن عن المصحف ينقط بالعربية فقال : أو مابلغك كتاب عمر ابن الخطاب — رضى الله عنه — أن تفقهوا فى الدين وأحسنوا عبارة الرؤيا وتعلموا العربية[٢] ولعل الحسن كان يكرهه أولا ثم أجازه أخيراً ، بدليل الأثر السابق من أنه شارك فى العمل .

---

(١) أى إبراهيم النخعى التابعى الجليل رضى الله عنه، رأى السيدة عائشة رضى الله عنها ، ودخل عليها ولم يثبت له منها سماع ، توفى سنة ٩٦هـ عن ٤٩ سنة
(٢) انظر هذه النصوص وغيرها فى كتاب المصاحف (١٣٨ : ١٤٣) والمقنع (١٣٣)

والعلماء من المتقدمين والمتأخرين على جوازه، بل صرح بعض الفقهاء على استحبابه، لما فيه من صيانة القرآن عن اللحن ؛ لأن الأحوال تغيرت والهمم فترت، واللغة أصبحت غريبة بين أهلها ، فلو لم يشكل القرآن وينقط لحصل اللبس والخطأ في قراءته، فينقلب الغرض على عكس ما كان يراد من تجريده .

قال الإمام الداني : « والناس في جميع أمصار المسلمين من لدن التابعين إلى وقتنا هذا على الترخيص في ذلك، في الأمهات وغيرها(١) ، ولا يرون بأساً برسم فواتح السور وعدد آيها ورسم الخموس والعشور في مواضعها، والخطأ مرتفع عن إجماعهم ...

قال أبو عمرو : ولا أستجيز النقط بالسواد ؛ لما فيه من التغيير لصورة الرسم، وقد وردت الكراهة بذلك عن عبد الله بن مسعود وعن غيره من علماء الأمة .

وكذلك لا أستجيز جمع قراءات شتى بألوان مختلفة في مصحف واحد — على ما شار إليه بعض أهل عصرنا ، ومن جهل ما في ذلك من الكراهة ممن تقدمه — لأن ذلك من أعظم التخليط والتغيير لمرسومه، وأرى أن يكون الحركات والتنوين والتشديد والسكون والمد بالحمرة، والهمزات بالصفرة »(٢)

وقال الإمام النووي : « اتفق العلماء على استحباب كتابة المصاحف وتحسين كتابتها وتبيينها وإيضاحها وتحقيق الخط دون مشقة وتعليقه .

---

(١) ذكر من قبل أن الإمام مالكا أجازه للصغار المتعلمين، أما الأمهات فلم يجز ذلك فيها .

(٢) المقنع (١٢٣ ، ١٣٤)

قال العلماء : ويستحب نقط المصحف وشكله ؛ فإنه صيانة من اللحن فيه وتصحيفه ، وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط فإنما كرهاه في ذلك الزمان خوفا من التغيير فيه ، وقد أمن ذلك اليوم فلا منع ، ولا يمتنع من ذلك لكونه محدثا ، فإنه من المحدثات الحسنة ، فلم يمنع منه كنظائره ، مثل تصنيف العلم وبناء المدارس والرباطات وغير ذلك . والله أعلم »(١)

(١) التبيان في آداب حملة القرآن (٩٨)

الفصل الرابع

آيات القرآن الكريم وسوره

الآيات : جمع آية — وتطلق الآية فى اللغة على عدة معان منها :

١ — المعجزة : ومنه قوله تعالى : «وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله» أى بمعجزة .

٢ — العلامة: ومنه قوله تعالى «إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت»... الآية . أى علامة ملكه .

٣ — العبرة : ومنه قوله تعالى : « إن فى ذلك لآية » أى لعبرة لمن يعتبر .

٤ — الأمر العجيب : ومنه قوله تعالى: « وجعلنا ابن مريم وأمه آية». أى كل واحد صار أمراً عجيباً بالآخر .

وهذه كلها إطلاقات لغوية ، وبعضها قد يستلزم بعضها الآخر .

ومن الواضح البين مناسبة المعنى اللغوى للآية القرآنية،فهى من القرآن المعجز ، وهى علامة على صدق الآتى بها ﷺ ، وفيها عبرة لمن أراد أن يذكر وهى من الأمور العجيبة لسمو أسلوبها ومعناها .

اشتقاق الآية :

اشتقاق الآية إما من أىّ فإنها هى التى تبين ايا من أىّ . أو من التأنّى الذى هو التثبت والإقامة على الشىء . أو من قولهم أوى إليه .

وزن آية :

ووزنها قيل هو َفعلة ، وحق مثلها أن يكون لامه معتلا دون عينه نحو حياة ، لكن صحح لوقوع الياء قبله نحو راية . وقيل فَعلة إلا أنها قلبت كراهة التضعيف كطائى فى طىّء وقيل هو فاعلة وأصلها آيِية فخففت فصارت آية ، وذلك ضعيف لقولهم فى تصغيرها أُيَية، ولو كانت فاعلة لقيل أُوَيّة . والأول قول سيبويه والأخير للكسائى(١) .

حد الآية القرآنية :

وأما حد الآية القرآنية : فهو قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدأ ومقطع مندرج فى سورة — أو طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبه بما سواها . وليس معنى هذا أن الآية لا تعلق لها بمعنى سابقتها ولاحقتها ، بل المراد أنها مستقلة فى العد ولا تكون جزءا مما قبلها أو بعدها .

قال أبو عمرو الدانى وابن المنير فى البحر : لا نعلم كلمة هى وحدها آية إلا قوله تعالى «مدهامتان» ، وقال غيرهما : بل فيه غيرها مثل « والنجم » . «والضحى» . «والعصر» وفواتح السور عند من عدها آية .

---

(١) انظر المفردات ص(٣٣،٣٤) —(والإتقان (ج١ ص ٦٦) والبرهان (ج١ ص ٢٦٦) .

الطريق لمعرفة الآى :

ولا طريق لمعرفة الآى سوى النقل عن الصحابة الذين سمعوا القرآن من الرسول ﷺ . قال الزمخشرى : الآيات علم توقيفى لا مجال للقياس فيه ، ولذلك عدوا (الم) آية حيث وقعت — وهى ست — و (المص) ، ولم يعدوا (المر) و (الر) وهى فى خمس سور ، وعدوا (حم) آية فى سورها وهى سبعة و(حم عسق) آيتان . وكذا (طه . ويس) ولم يعدوا (طس) النمل و(طسم) آية فى الشعراء والقصص .

ومما يدل على أنه توقيفى — قول ابن العربى : ذكر النبى ﷺ أن الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية . وصح أنه قـــرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران . قال : وفى آياته طويل وقصير ومنه ما ينتهى إلى تمام الكلام ومنه ما يكون فى أثنائه كقوله « أنعمت عليهم » على مذهب أهل المدينة فإنهم يعدونها آية ، وينبغى أن يعول فى ذلك على فعل السلف(١) .

---

(١) البرهان (١—٢٦٨) والإتقان (١—٦٦ ، ٦٧) .

سبب الخلاف فى عدد آيات القرآن

أجمع العلماء على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف ، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك ، فمنهم من قال مائتا آية وأربع آيات ، ومنهم من قال مائتا آية وأربع عشرة ، ومنهم من قال مائتا آية وتسع عشرة ، ومنهم من قال مائتا آية وخمس وعشرون ، ومنهم من قال مائتا آية وست وثلاثون .

وسبب اختلاف السلف فى عدد الآى أن النبي ﷺ كان يقف على رءوس الآى للتوقيف ، فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة(١) . ثم إن بعض القراء يعد البسملة آية من كل سورة وبعضهم لا يعدها .

وذكر بعض العلماء أن السبب فى الاختلاف فى العدد هو تعدد الروايات المنقولة عن الرسول ﷺ وذلك كاختلافهم فى نقل القراءات على وجوهها . ولا تضاد فى هذا الاختلاف ؛ لأن الوقائع متعددة .

وممن عنى بإحصاء آى القرآن من الصحابة : ابن عمر وابن عباس وأنس وعائشة وغيرهم . ونقله عنهم التابعون . فمن أهل المدينة عروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز . ومن أهل مكة عطاء بن أبى رباح وطاوس . ومن أهل الكوفة أبو عبد الرحمن السلمى وزر بن حبيش وسعيد بن جبير والشعبى والنخعى . ومن أهل البصرة الحسن البصرى وابن سيرين . ومن أهل الشام كعب الأحبار . وغيرهم(٢) .

---

(١) الإتقان (١ — ٦٧) .

(٢) منار الهدى ص (١٣ و ١٤) .

ومن فوائد عد الآى :

١ — معرفة الوقف .

٢ — وأن الإجماع قد انعقد على أن الصلاة لا تصح بنصف آية وقال بعض العلماء تجزىء بآية وقال غيرهم بثلاث آيات وقال غيرهم بسبع آيات.

٣ — وأن الإعجاز لا يقع بدون آية ، وقال بعضهم بثلاث آيات(١).

سور القرآن الكريم

معنى السورة لغة :

السورة تهمز ولا تهمز . فمن همزها جعلها من أسأرت أى أفضلت . من السؤر وهو مابقى من الشراب فى الإناء ، كأنها قطعة من القرآن . ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم وسهلها ، ومنهم من شبهها بسور البناء أى القطعة منه أى منزلة بعد منزلة ، وقيل من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور ، ومنه السوار لإحاطته بالساعد ، وعلى هذا فالواو أصلية . ويحتمل أن تكون من السورة بمعنى المرتبة لأن الآيات مرتبة فى كل سورة ترتيبا مناسبا ، وقيل لتركيب بعضها على بعض من التسور بمعنى التصاعد والتركيب ومنه « إذ تسوروا المحراب » أى نزلوا عليه من علو ، وقيل لعلو شأنها وشأن قارئها. والسورة المنزلة الرفيعة. قال النابغة :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

---

(١) الإتقان (١ — ٦٩) .

معنى السورة اصطلاحا :

وهى فى الاصطلاح : قرآن يشتمل على آى ذى فاتحة وخاتمة ، وأقلها ثلاث آيات . أو هى الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص بتوقيف من النبى ﷺ . وقد ثبت أن أسماء السور توقيفية يدل على ذلك الأحاديث والآثار ، وفى الصحيح عن ابن مسعود أنه قال « هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة »(١) .

الحكم من تقطيع القرآن إلى سور

١ — تحقيق كون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله تعالى. وسورت السور طوالا وقصارا وأوساطا تنبيها على أن الطول ليس من شرط الإعجاز ، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهى معجزة إعجاز البقرة.

٢ — أن تكون السورة فنا مستقلا وقرآنا معتبرا ، فسورة يوسف مثلا تترجم عن قصته ، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وأسرارهم . إلى غير ذلك .

٣ — أن الشىء إذا كان جنسا واندرجت تحته أنواع واشتملت الأنواع على أصناف كان أحسن وأفخم لشأنه ، ولاسيما إذا تلاحقت الأجزاء وتجاوبت بحسن الالتئام ، وتعانقت الأمثال والحكم والأحكام والقصص فى جمال وإحكام .

٤ — أن فيه نشاطا للقارىء وأثبت له على التحصيل ، مما لو استمر على الكتاب بطوله ، كالمسافر إذا قطع فرسخا وانتهى إلى رأس برّية نفّس ذلك عنه ونشطه للسير .

---

(١) الإتقان (١ — ٥٠) والبرهان (١ — ٢٦٤) .

٥ — وأيضا فإن الحافظ إذا حذق سورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيعظم عنده ما حفظه ، ومنه حديث أنس فى الصحيح : « كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل فينا » ومن ثم كانت القراءة بسورة فى الصلاة أفضل .

٦ — وفيه حكمة فى تدرج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها يسيرا يسيرا ، تيسيرا من الله على عباده لحفظ كتابه ، فترى الطفل يفرح بإتمام السورة فرح من حصل على شىء عظيم ... إلى غير ذلك من الحكم والأسرار(١) .

تقسيم سور القرآن بحسب طولها وقصرها

الناظر فى المصحف يرى أنه مرتب على أن الفاتحة فى أوله ثم البقرة ثم آل عمران وهكذا إلى آخر الطول(٢). ثم يليها المئون . ثم المثانى . ثم المفصل إلى آخر سورة الناس .

فالطول : هى سبع سور تبدأ من البقرة وتنتهى ببراءة ، وكانوا يعدون الأنفال مع براءة سورة واحدة حيث نزلتا فى القتال ، ولم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم . والحق أن الأنفال من المئين ، ووضعها بين الطول إنما هو بتوقيف من النبى ﷺ ؟ وحكى عن سعيد بن جبير أنه عد السبع الطول من البقرة حتى يونس . وسميت طولا لطولها .

---

(١) مفاتيح الغيب (١ — ٢٢١، ٢٢٢) والبرهان (١ — ٢٦٤) والإتقان (١ — ٦٦) .

(٢) الطول جمع طولى كالكبر جمع كبرى — قال أبو حيان وكسر الطاء مرذول .

والمئون : ماولى السبع الطول ، سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها.

والمثانى : ما ولى المئين — وقد تسمى سور القرآن كلها مثانى لأن الأنباء والقصص تثنى فيه ، ومنه قوله تعالى « كتابا متشابها مثانى » — ويقال إن المثانى فى قوله تعالى « ولقد آتيناك سبعا من المثانى » هى آيات سورة الفاتحة ، لأنها تثنى فى كل ركعة .

والمفصل : ماولى المثانى من قصار السور ، سمى مفصلا لكثرة الفصول التى بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم ، وقيل لقلة المنسوخ فيه — وآخره سورة الناس .

واختلف فى تحديد أوله :

١ — فمن العلماء من قال أوله الجاثية .

٢ — ومنهم من قال أوله القتال — وقال الماوردى: إنه قول الأكثرين

٣ — ومنهم من قال أوله الحجرات .

٤ — والصحيح أن أوله ق — قال الماوردى فى تفسيره : حكاه عيسى ابن عمر عن كثير من الصحابة . وهو الذى يؤيده الحديث الذى رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد من حديث أوس بن حذيفة قال « قدمنا على رسول الله ﷺ فى وفد ثقيف ، قال : فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة وأنزل رسول الله ﷺ بنى مالك فى قبة له — قال مسدد : وكان فى الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف — قال: كان رسول الله ﷺ كل ليلة بعد العشاء يحدثنا — قال أبو سعيد : قائما على راحلته — ثم يقول: « لا سواء كنا مستضعفين مستذلين — قال مسدد بمكة — فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا » فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذى كان يأتينا فيه فقلت لقد أبطأت علينا

الليلة . قال « إنه طرأ على حزبي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمه ، قال أوس : فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن فقالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده » وفي لفظ ابن ماجه «فيحدثنا قائما على رجليه حتى يراوح بين رجليه . وأكثر ما يحدثنا مالقي من قومه من قريش ».وحسن ابن كثير إسناده(١). وعلى هذا إذا جمعنا حزب الستة الأولى (أي بعد سورة الفاتحة) كان الحاصل ثمانيا وأربعين سورة فتكون التي بعدهن سورة ق .

ومعلوم أن ترتيب التلاوة غير ترتيب النزول . وقد كان لهذا الترتيب شأن عجيب فقد اكتمل نزول الكتاب وصار دستورا لخير أمة . ترجع إليه في عقائدها وفي استنباط الأحكام منه . ولا شك أن هذا يستدعى ترتيبا غير ترتيب النزول . حيث روعي فيه أحوال القضايا التي نزل بشأنها القرآن وحال الداعي ﷺ وحال المدعوين .

---

(١) انظر البرهان (١ — ٢٤٤ : ٢٤٧) وسنن أبي داود (باب تحزيب القرآن) وسنن ابن ماجه (كتاب الإقامة ١ — ٤٢٧ : ٤٢٨) والفتح الرباني (١٨ — ٢٨ ، ٢٩) وفضائل القرآن (٢٦) .

ترتيب القرآن الكريم

نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغه صحابته رضوان الله عليهم، وكان يكتب في صحف تحفظ عنده ﷺ، ومن الصحابة من كان يكتب لنفسه خاصة، ومهما يكن من أمر فإنهم عنوا به أشد عناية بحيث لم ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا وكان محفوظا عند جمع يحصل بهم التواتر، وقد كتب كله في قراطيس متفرقة، وإن كانوا يعرفون ترتيبه كما وقفهم عليه ﷺ من تعليمه وقراءته في الصلاة وخارجها، وإذا كانت العرب تهتم بكل نفيس عندها استظهاراً وكتابة فإن القرآن أنفس من كل نفيس، فلا عجب أن لقي عناية فائقة في الناحيتين ناحية الاستظهار وناحية التسجيل في الصحف.

ولقد اقتضت حكمة الخبير وهو أعلم بالنفوس أن يكون هذا الذكر الحكيم جامعاً لكل طرق الهدى لكونه ختاما. وأن يكون معجزا لكونه تماما ونزله على سبيل التدريج بعضه في إثر بعض، ليكون جوابا لأقوالهم وحلا لإشكالهم، فيكون أقرب إلى العقول وأولى بالتدبر والتذكر وأظهر في الإدراك والنفس أشد تقبلا له لما هو عليه من حسن النظام والقرب إلى الأفهام «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب».

قال الخطابي: إن أجناس الكلام ومراتبه مختلفة: فمنها البليغ الجزل والفصيح السهل والجائز الرسل، فالأول أعلى طبقات الكلام والثاني أوسطه والثالث أقربه.

وقد حاز القرآن من كل نوع منها فانتظم له نمط من الكلام يجمع

بين صفتى الفخامة والعذوبة » وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم ، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشا كلا من نظمه . وأما المعانى فلا خفاء على ذى عقل أنها هى التى تشهد لها العقول بالتقدم فى أبوابها ، والترقى إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها ... فتفهم الآن ، واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعانى ... ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرهم(١)..إلخ

لقد كان للنجوم القرآنية فى تنزيلها وترتيبها ظاهرتان مختلفتان ، وسبيلان قلما يلتقيان، ولقد خلص لنا من بين اختلافهما أكبر العبر فى أمر هذا النظم القرآنى : فلو أنك نظرت إلى هذه النجوم عند تنزيلها ونظرت إلى ما مهد لها من أسبابها لرأيت قولا مرتجلا عند باعثه — ولو أنك نظرت فى الوقت نفسه وقد أعد لكل نجم مكانه الخاص لرأيت أن هناك خطة شاملة تفصيلية قد رسمت فيها مواقع النجوم قبل نزولها . بل من قبل أن تخلق أسبابها ، وأن هذه الخطة قد أبرمت بآكد العزم والتصميم ، فما من نجم وضع فى مكان ما من السورة ثم وجد عنه أبد الدهر مصرفاً ولا متحولا ، ولن تجد هذه الأوضاع إلا مقصودة بعينها ، كما ظهر القصد فى كل طائفة أن تنتظم منها وحدة محدودة ذات

---

(١) بيان إعجاز القرآن (ص٢٣:٢٥) .

ترتيب ومقدار بعينه(١). وصدق الله العظيم «كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير». «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا».

أولا — ترتيب الآيات فى سورها

أجمعت الأمة على أن ترتيب الآيات فى سورها — على ما نراه فى المصاحف — واقع بتوقيف من النبى ﷺ، وكانت الآيات تنزل عليه ويدله جبريل على مكانها، ويبلغها ﷺ إلى أصحابه، ويأمر كتاب الوحى بوضعها فى مكانها.

أما الإجماع فقد نقله غير واحد من العلماء. منهم الزركشى فى البرهان، قال «فأما الآيات فى كل سورة ووضع البسملة أوائلها فترتيبها توقيفى بلا شك ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكيسها»(٢).

«وقال القاضى أبو بكر: إن الأمة ضبطت عن النبى ﷺ ترتيب آى كل سورة وموضعها وعرفت مواقعها»(٣).

وممن نقل الإجماع أيضاً أبو جعفر بن الزبير فى مناسباته حيث قال «ترتيب الآيات فى سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف فى هذا بين المسلمين» وقال ابن الحصار «ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحى: كان رسول الله ﷺ يقول ضعوا آية كذا فى موضع كذا. وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من

---

(١) عن النبأ العظيم (١٤٥ : ١٤٧) بتصرف.
(٢) البرهان (١ — ٢٥٦).
(٣) الإتقان (١ — ٦١).

تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف»(١) .

ومن الأحاديث الدالة على ذلك :

١ — ما أخرجه البيهقي والإمام أحمد [وهذا لفظه] والترمذي وحسنه والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي «عن زيد بن ثابت قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع ، إذ قال طوبى للشام، قيل ولم ذلك يارسول الله ؟ قال : إن ملائكة الرحمة باسطة أجنحتها عليه ، وعند الحاكم «لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم »(٢) .

٢ — روى الترمذي والحاكم وابن حبان وأبو داود وأحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال «كان رسول الله ﷺ يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب ، فيقول ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، حسنه الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم(٣) .

٣ — في القرآن آيات ذكر فيها الناسخ والمنسوخ وقدم الناسخ — كآية «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج »(٤) ... بعد «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا

---

(١) الإتقان (١ — ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢) .
(٢) الفتح الرباني (١٨ — ٣٠) والمستدرك (٢ — ٢٢٩) .
(٣) فتح الباري (٩ — ١٨) ، والبرهان (١ — ٢٤١) .
(٤) سورة البقرة الآية (٢٤٠) .

يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا »(١) . . . روى البخارى أن ابن الزبير قال : «قلت لعثمان بن عفان (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا) قال قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها — أو تدعها — قال يا بن أخى لا أغير شيئا منه من مكانه » يعنى لم تكتبها وقد علمت أنها منسوخة أو قال تدعها مكتوبة ؟ شك من الراوى .

« وفى جواب عثمان هذا دليل على أن ترتيب الآى توقيفى ، وكأن عبد الله بن الزبير ظن أن الذى ينسخ حكمه لا يكتب ، فأجابه عثمان بأن ذلك ليس بلازم والمتبع فيه التوقيف »(٢) .

٤ — ومن الأدلة أيضاً ما أخرجه الإمام أحمد وغيره بإسناد حسن عن عثمان بن أبى العاص قال : « كنت عند رسول الله ﷺ جالسا إذ شخص ببصره ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض قال: ثم شخص ببصره فقال : أتانى جبريل فأمرنى أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من السورة « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى »(٣) الآية . فهذا يدل على أن جبريل عليه السلام كان يعلم النبى ﷺ الآية من السورة .

٥ — أحاديث خواتيم البقـــرة وأوائل الكهف وخواتيم آل عمران :

روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى مسعود قال « قال النبى ﷺ من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه » .

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٣٤) .
(٢) فتح البارى (٨—١٥٥) .
(٣) الفتح الربانى (١٨—١٩١ ، ١٩٢) .

وروى البخارى والنسائى وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما « أنه بات عند ميمونة زوج النبى ﷺ وهى خالته ، قال : فاضطجعت فى عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله فى طولها ، فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيديه ، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران . . » الحديث .

وروى مسلم والبخارى وغيرهما عن أبى الدرداء مرفوعا « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » وفى رواية « العشر الأواخر من سورة الكهف »(١) .

٦ — وهناك روايات فى كتب السنة تثبت أن النبى ﷺ كان يقرأ سورا بتمامها . منها ما رواه البخارى والنسائى وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « إن أم الفضل سمعته وهو يقرأ « والمرسلات عرفاً » فقالت : يا بنى والله لقد ذكرتنى بقراءتك هذه السورة ، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها فى المغرب »(٢) .

وروى مسلم « عن أبى واقد الليثى أن النبى ﷺ كان يقرأ فى الأضحى والفطر بق والقرآن المجيد . واقتربت الساعة وانشق القمر » .

وروى عن النعمان بن بشير قال « كان رسول الله ﷺ يقرأ فى العيدين وفى الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى . وهل أتاك حديث الغاشية . قال : وإذا

---

(١) صحيح مسلم (٦-٩١ ، ٩٢ ، ٩٣) وصحيح البخارى (٦—٥٢ ، ٢٣١) والإتقان (١ — ٦٠ ، ٦١) — (٢—١٥٣ ، ١٥٤) .

(٢) صحيح البخارى (١—١٩٤) ، وسنن النسائى (١—١٥٤ ، ١٥٥) .

اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضا في الصلاتين »(١) ومعلوم أن هذه السور لم تنزل جملة واحدة بل نزل بعضها على أزمنة متفرقة ، وقد رتبها الصحابة على ما سمعوه من النبي ﷺ وما كانوا ليفعلوا خلافه ، فبلغ ذلك مبلغ التواتر .

٧ — علمنا أن صدر سورة اقرأ إلى قوله « ما لم يعلم » أول ما نزل على الأرجح ، وبعض المفسرين على أن المراد من الإنسان في « كلا إن الإنسان ليطغى » وكذا « أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى » هو أبو جهل ، وعلى هذا فإن النبي ﷺ أمر بضم ذلك إلى أول السورة ، وهذا من أوضح الأدلة على أن هذا الترتيب إنما كان بأمر من الله تعالى ، ولأجله كان صلى الله عليه وسلم يدلهم على موضع الآية من السورة ليكتب ويحفظ على نظمه وترتيبه .

إشكال مردود :

لكن قد يشكل على ترتيب الآي : قول زيد بن ثابت في حديث البخاري « فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره » الحديث .

وحديث أنس عنده أيضا « قال ابن شهاب : وأخبرني خارجة بن زيد ابن ثابت سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فألحقناها في سورتها في المصحف »(٢) .

---

(١) صحيح مسلم (٦ — ١٦٦ ، ١٨١) .
(٢) صحيح البخاري (٦ — ٢٢٦)

فإن هذا يدل بظاهره على أن القرآن يثبت بخبر الواحد وأن ترتيب الآيات من اجتهاد الصحابة ، وعليه يجد الطاعنون ثغرة ينفذون منها إلى نفي الثقة عن القرآن وعن كونه متواترا بترتيب من الله تعالى .

ولكن هذا لا يقدح في الجمع ولا في الترتيب ، إذ قول زيد (فقدت آخر سورة التوبة) دليل على أنه كان محفوظا عندهم على هذا الترتيب ، وأيضا قوله (كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها) وقوله (فألحقناها في سورتها في المصحف) فهذا يدل على أن زيداً والصحابة كانوا يعرفون موضع الآيتين من سورتيهما ، فلم تكونا ملحقتين بهامش المصحف مثلا .

وقد أجمع قراء الأمصار على تلقينه على هذا الترتيب ، وأسانيدهم متصلة بنقل العدول عن العدول إلى النبي ﷺ .

ولعل تتبع زيد لها كان للاستظهار لا لاستحداث العلم ، وأما قوله (لم أجدها مع أحد غيره) فقد اجتمع في هذه الآية زيد وعمر وأبو خزيمة ، وعند ابن أبي داود من طريق محمد بن إسحاق عن يحيي بن عباد عن أبيه عباد ابن عبد الله بن الزبير عن أبيه أن الحارث ابن خزيمة جاء بآيتي براءة إلى عمر فقال « من معك على هذا ؟ قال لا أدري والله إلا أني أشهد أني سمعتها من رسول الله ﷺ ووعيتها وحفظتها ، فقال عمر : وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله ﷺ ، إلخ(١) .

وقد انضم إليهم عثمان أيضا فقد روى من طريق يحيي بن عبد الرحمن أن عثمان قال « فأنا أشهد أنهما من عند الله تعالى(٢) » .

وقد سبق القول أن أبيا كان ضمن الكتبة .

---

(١) المصاحف ص ٣

(٢) نفس المرجع ص ١١ ، ٣١

وأما حديث الأحزاب فإن فيه خزيمة بن ثابت الأنصارى الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين .

وقال ابن حجر : والذى يظهر فى الجواب أن الذى أشار إليه أن فقده : فقد وجودها مكتوبة لافقد وجودها محفوظة عنده وعند غيره ، ويدل على هذا قوله فى حديث جمع القرآن : فأخذت أتتبعه من الرقاع والعسب واللخاف(١) ... الخ(٢) .

فالحاصل : أن الصحابة رضوان الله عليهم جمعوا القرآن كما هو عن رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقص ولا تقديم ولا تأخير ، بتوقيف من جبريل عليه السلام عن رب العزة سبحانه .

---

(١) فتح البارى (١٠ — ١٣٧).

(٢) العسب — بضم المهملتين — جمع عسيب — بفتح فكسر — وهى ما لا ينبت عليه الخوص من جريد النخل ، واللخاف — بالكسر — هى الحجارة الرقيقة .

ثانيا — ترتيب السور

للعلماء فى ترتيب السور مذاهب ثلاثة :

١ — فمنهم من يقول إن ترتيب السور اجتهادى .

٢ — ومنهم من يقول البعض بالتوقيف والبعض بالاجتهاد .

٣ — ومنهم من يقول إن الترتيب توقيفى .

١ — القائلون بالاجتهاد

(ا) أبو الحسين أحمد بن فارس ، قال « جمع القرآن على ضربين : أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطول وتعقيبها بالمئين ، فهذا الضرب هو الذى تولاه الصحابة رضوان الله عليهم .

وأما الجمع الآخر فضم الآى بعضها إلى بعض وتعقيب القصة بالقصة ، فذلك شىء تولاه رسول الله ﷺ عن أمر ربه عز وجل[1] » .

(ب) الإمام مالك . قال « إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبى صلى الله عليه وسلم ، مع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم » ... الخ[2] .

(ج) القاضى أبو بكر الباقلانى فى أحد قوليه : أورد سؤالا مؤداه أن السلف اختلفوا فى ترتيب السور اختلافاً شديداً . ثم قال « فالجواب

---

(١) البرهان (١ — ٢٥٨ ، ٢٥٩) .

(٢) البرهان (١ — ٢٥٧) .

أنه يحتمل أن يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم فى المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة ، (١) .. إلخ .

وحكى السيوطى قوله : « إن الأمة ضبطت عن النبى ﷺ ترتيب آى كل سورة وموضعها وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة (٢) .

وأنه يمكن أن يكون الرسول ﷺ قد رتب سوره ، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده ، ولم يتول ذلك بنفسه . قال : وهذا الثانى أقرب (٣) » .

وأما ابن عطية فقد نقل عنه الجزم فى ذلك حيث قال « قال القاضى أبو بكر بن الطيب : وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه مع مشاركة من عثمان رضى الله عنه فى ذلك ، وقد ذكر ذلك مكى رحمه الله فى تفسير سورة براءة (٤) » .

دليلهم : حديث أحمد والنسائى ومسلم عن حذيفة قال : « صليت مع النبى ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ، ثم مضى ، فقلت يصلى بها فى ركعة فمضى ، فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها مترسلا ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ ... » الحديث .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١ — ٥٩) .

(٢) فى هذا دليل لنا ، وما بقى من كلامه يتناقض مع أوله ، وإلا فكيف يقول : ضبطت عنه .. الخ ثم يقول : وأنه يمكن ... إلخ ؟

(٣) الإتقان (١ — ٦١) .

(٤) مقدمة ابن عطية ص ٢٧٥ .

قال الإمام النووى فى شرحه ، قال القاضى عياض فيه دليل لمن يقول إن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف ، وأنه لم يكن ذلك من ترتيب النبى ﷺ ، بل وكله إلى أمته بعده ، .إلخ(١)

ويستدلون أيضا باختلاف مصاحف السلف فى ترتيب السور ، فمنهم من رتبها على ترتيب النزول ، وهو مصحف على . وكان أول مصحف ابن مسعود البقرة ثم النساء ثم آل عمران. وكذا مصحف أبى على اختلاف شديد فى الترتيب . وفى المصاحف لابن أشتة أن عثمان أمرهم أن يتابعوا الطول ، فجعلت سورة الأنفال والتوبة فى السبع ولم يفصل بينهما بالبسملة (٢) .

ثم يقولون : فهذا الاختلاف الشديد بين مصاحف الصحابة دليل على أنه لم ينقل عن النبى ﷺ شىء فى هذا الباب ، وإلا ما ساغ لهم أن يخرجوا عنه .

٢ — القائلون بالتفصيل

(١) قال البيهقى فى المدخل : كان القرآن على عهد النبى ﷺ مرتبا سوره وآياته على هذا الترتيب ، إلا الأنفال وبراءة ؛ لحديث أحمد وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وغيرهم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على أن عمدتم

---

(١) شرح النووى على مسلم (٦ — ٦١ ، ٦٢) ونيل الأوطار (٢ — ٢٣٧) .

(٢) الإتقان (١ — ٦٢) وتناسق الدرر فى تناسب السور للسيوطى مخطوطة — (٤٧) — (٣٢٧) مجاميع تيمور .

إلى الأنفال وهى من المثانى وإلى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا — قال ابن جعفر : بينهما سطراً بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما فى السبع الطوال ؟ ما حملكم على ذلك ؟ قال عثمان : إن رسول الله ﷺ كان مما يأتى عليه الزمان يُنزّل عليه من السور ذوات العدد ، وكان إذا أنزل عليه الشىء يدعو بعض من يكتب عنده ، يقول ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا ، وينزل عليه الآية فيقول ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا . وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة وبراءة من آخر القرآن ، فكانت قصتها شبيهة بقصتها فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها وظننت أنها منها ، فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطراً بسم الله الرحمن الرحيم . قال ابن جعفر : ووضعتها فى السبع الطوال » (١) .

(ب) ويعلق ابن حجر على هذا الحديث بقوله « فهذا يدل على أن ترتيب الآيات فى كل سورة كان توقيفيا ، ولما لم يفصح النبى ﷺ بأمر براءة أضافها عثمان إلى الأنفال اجتهادا منه رضى الله تعالى عنه » .

ثم يذكر حديث أوس فى تحزيب القرآن ويقول « فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو فى المصحف الآن كان فى عهد النبى ﷺ ويحتمل أن الذى كان مرتبا حينئذ حزب المفصل خاصة ، بخلاف ما عداه فيحتمل أن يكون كان فيه تقديم وتأخير ، كما ثبت من حديث حذيفة أنه ﷺ قرأ النساء بعد البقرة قبل آل عمران » (٢) .

---

(١) الفتح الربانى (١٨ — ١٥٤، ١٥٥) وتناسق الدرر (٤٧ ب) والإتقان (١ — ٦٢) .

(٢) فتح البارى (١٠ — ٤١٨) .

(ج) وأما السيوطى فقد قال : إنه ينبغى القول بأن محل الخلاف إنما هو فى ترتيب سور الأقسام الأربعة ، وأما نفس الأقسام من الطول ثم المئين ثم المثانى ثم المفصل فلا خلاف فى ترتيبها إجمالا . فهذا يقتضى القطع بأنه توقيفى وأن يدعى فيه الإجماع . وتوصل إلى هذا القول مما تقدم من الأحاديث ومن حديث ابن عباس فى اقتران براءة بالأنفال ، ومن أن المصاحف التى وقع فيها الاختلاف فى الترتيب اتفقت على هذا الترتيب ، واختلافها إنما كان فى ترتيب سور كل قسم — ثم قال « فإذا تحرر ذلك ونظرنا إلى محل الخلاف ، فالمختار عندى فى ذلك ما قاله البيهقى ، وهو أن كل السور توقيفية سوى الأنفال وبراءة » (١) .

(د) وقال ابن عطية « وظاهر الآثار أن السبعة الطول والحواميم والمفصل كان مرتبا فى زمن النبى ﷺ وكان فى السور مالم يرتب ، فذاك هو الذى رتب وقت الكتب » (٢) . أى يكون فوض إلى الأمة أمر ترتيبه .

(ﻫ) وقال أبو جعفر بن الزبير : الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية ويبقى منها القليل الذى يمكن أن يجرى فيه الخلاف .. من ذلك — أى مما نص على ترتيبه — الزهراوان والسبع الطوال والمفصل والإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء وقل هو الله أحد والمعوذتان ، للأحاديث الواردة فيها . وهى قوله ﷺ « اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان » رواه مسلم عن أبى أمامة الباهلى (٣) . وحديث سعيد بن خالد الذى رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه « قرأ رسول الله

---

(١) تناسق الدرر (٤٨)

(٢) مقدمة ابن عطية (٢٧٦) .

(٣) صحيح مسلم (٦ — ٩٠)

ﷺ بالسبع الطوال فى ركعة ، وأنه ﷺ كان يجمع المفصل فى ركعة»(١) .
وفى البخارى أن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول وهن من تلادى »(٢) فذكرت نسقا كما استقر ترتيبها . وعنده أيضا عن عائشة رضى الله عنها، أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده » (٣) . . الحديث.

٣ — القائلون بالتوقيف

قال جمهور العلماء إن ترتيب السور على ما عليه المصحف اليوم بتوقيف من الرسول عليه الصلاة والسلام ، على ما استقر فى العرضة الأخيرة ، وأما اختلاف المصاحف فقد كان أولا ، ثم رتب الرسول صلى الله عليه وسلم لهم السور بعد ذلك .

(ا) فقد قال القاضى أبو بكر فى كتاب (الانتصار) : لم يقصد عثمان قصد أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ، ويقول «ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به »(٤) وهذا هو رأيه الثانى المرجوح ، وقد سبق نقل عبارته فى هذا وأنه قال: إن كونه من عمل الصحابة أقرب .

(١) الإتقان (١ — ٦٢) .
(٢) صحيح البخارى (٦ — ١٢١) .
(٣) صحيح البخارى (٦ — ٢٣٤) .
(٤) الإتقان (١ — ٦٠) والبرهان (١ — ٢٦٠) .

(ب) وفى عرض ابن حجر لحديث أوس بن حذيفة فى تحزيب القرآن وفى تعليقه عليه بقوله : «فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو فى المصحف الآن كان فى عهد النبى ﷺ » الخ وفيه دليل على أن الأنفال والتوبة مستقلتان : فيه ما يشهد له بأنه يقول إن الترتيب توقيفى — ويمكننا أن نقول إن هذا رأى آخر له .

(ج) وقال أبو جعفر بن النحاس : المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ . لحديث واثلة بن الأسقع أنه عليه الصلاة والسلام قال «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثانى وفضلت بالمفصل». قال «وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبى ﷺ وأنه مؤلف من ذلك الوقت وإنما جمع فى المصحف على شىء واحد»(١) .. الخ

وروى هذا الحديث الإمام أحمد والطيالسى والطبرانى وغيرهم — وفى الحديث عمران بن القطان احتج به الحاكم وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم، وقال ابن عدى هو ممن يكتب حديثه وضعفه النسائى - فهو حديث حسن . وقد رواه الهيثمى عن أبى أمامة بلفظ « أعطانى ربى السبع الطول مكان التوراة والمئين مكان الإنجيل وفضلت بالمفصل »قال وفيه ليث بن أبى سليم وقد ضعفه جماعة ويعتبر بحديثه وبقية رجاله رجال الصحيح »(٢) .

(د) وقال أبو بكر بن الأنبارى «كان جبريل يوقف رسول الله ﷺ على موضع السورة والآية ، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف ، فكله عن محمد خاتم النبيين عليه السلام عن رب العالمين ، فمن أخر سورة مقدمة

---

(١) البرهان ج ١ ص ٢٥٨ .

(٢) تناسق الدرر (٤٧ ب) والبرهان (١ — ٢٤٤) ومجمع الزوائد (٧ — ١٥٨ ، ١٥٩) وجواهر البيان (١٠١) .

أو قدم أخرى مؤخرة فهو كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات ، ولا حجة على أهل الحق فى تقديم البقرة على الأنعام والأنعام نزلت قبل البقرة ، لأن رسول الله ﷺ أخذ عنه هذا الترتيب . . . »(١) إلخ .

(ﻫ) وذكر ابن وهب وابن أشتة من طريق ابن وهب عن سليمان ابن بلال قال « سمعت ربيعة يسأل : لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة وإنما نزلتا بالمدينة ؟ فقال ربيعة : قد قدمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه ، وقد اجتمعوا على العلم بذلك ، فهذا مما ننتهى إليه ولا نسأل عنه »(٢) .

(و) وقال الإمام البغوى فى شرح السنة « ثبت أن سعى الصحابة كان فى جمعه فى مكان واحد لا فى ترتيبه ، فإن القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب ، أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا ثم كان ينزله مفرقا عند الحاجة »(٣) . إلخ .

(ز) وقال برهان الدين الكرمانى «أول القرآن سورة الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران على هذا الترتيب إلى سورة الناس ، وهكذا هو عند الله فى اللوح المحفوظ ، وهو على هذا الترتيب كان يعرض عليه الصلاة والسلام على جبريل عليه السلام كل سنة ما كان يجتمع عنده منه ، وعرض عليه الصلاة والسلام فى السنة التى توفى فيها مرتين . ولو حلف إنسان أن يقرأ القرآن على الترتيب لم يلزمه إلا على هذا الترتيب ، ولو نزل جملة كما اقترحوا عليه بقوله (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) لنزل على هذا الترتيب »(٤) . الخ

(١) تفسير القرطبى (١ — ٦٠) .
(٢) تفسير القرطبى (١ — ٥٩ ، ٦٠) والإتقان (١ — ٦٣) .
(٣) الإتقان (١ — ٦١) .
(٤) البرهان فى متشابه القرآن مخطوطة (رقم ١٩٤ — علوم قرآن بالأزهرية) ص ٥ .

كانت تلك أقوال بعض الأئمة فى أن ترتيب السور توقيفى ، ولولا الخوف من الإطالة لأتينا بالمزيد ، ولكن يكفينا فى الجملة قول القرطبى « وقال قوم من أهل العلم : إن تأليف سور القرآن على ما هو عليه فى مصحفنا كان عن توقيف من النبى ﷺ »(١) .

ومن هنا تعلم مدى مجانبة الحافظ السيوطى للصواب حينما قال بعد إثبات أن ترتيب الآيات توقيفى : « أما ترتيب السور فهل هو توقيفى أيضا أو هو باجتهاد من الصحابة ؟ خلاف . فجمهور العلماء على الثانى .. »(٢) إلخ بل الجمهور على الأول وهو الذى تؤيده الأدلة ، وما استدل به المخالف لا يستقيم . وإجماع الصحابة رضى الله عنهم أقوى دليل على أنهم وجدوا ما أفادهم علما ولم يدع عندهم مجالا لأدنى وهم « فلابد إما من التصريح بمواضع الآيات والسور وإما من الرمز إليهم بذلك ، وإجماع الصحابة فى المآل على هذا الترتيب وعدولهم عما كان أولا من بعضهم على غيره من الأساليب — وهم الذين لا تلين قناتهم بالباطل ولا يصدهم عن اتباع الحق لوم لائم ولا قول قائل — أقوى دليل على أنهم وجدوا ما أفادهم علما ، ولم يدع عندهم خيالا ولا وهما »(٣) إلخ .

١ — أما استدلال المخالف باختلاف مصاحف الصحابة ، فإن اختلافها يدل على أنه لم ينقل عن النبى ﷺ شىء فيه وإلا ما ساغ لهم تجاوزه ، ولو كانت بتوقيف لتمسك أصحابها بها ولما دفعوها إلى التحريق ، ومن جهة أخرى فإن مصحف عثمان لو كان اجتهاديا لما وافقوه على ذلك ، لأنه ليس للمجتهد أن يقلد مجتهدا آخر ، كما هو مقرر عند الأصوليين .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١ — ٦٠) .
(٢) الإتقان (١ — ٦٢) .
(٣) مقدمة تفسير الألوسى (١ — ٢٧) .

ولنقرأ معاً كلام النيسابورى فى السبب الذى من أجله لم تمكن الصحابة توالى بين سور القرآن فى حياته ﷺ قال «واعلم أن القرآن كان مجموعاً على عهده ﷺ ، فإنه ما نزلت آية إلا وقد أمر رسول الله ﷺ من كان يكتب له أن يضعها فى موضع كذا من سورة كذا ، ولا نزلت سورة إلا وقد أمر رسول الله ﷺ الكاتب أن يضعها بجنب سورة كذا.

روى عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال : ضعوا هذه السورة فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا(١) . . الحديث . غير أنهم لم يكونوا قد جمعوها فيما بين الدفتين ولم يلزموا القراء توالى سورها ؛ وذلك أن الواحد منهم إذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله ﷺ أو كتبها ثم خرج فى سرية فنزلت فى وقت مغيبه سورة ؛ فإنه كان إذا رجع يأخذ فى حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته ، ويتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له ، فيقع فيما يكتبه تقديم وتأخير من هذا الوجه ، وقد كان منهم من يعتمد على حفظه ، فلا يكتب على ما كان من عادة العرب فى حفظ أنسابها وأشعار شعرائها من غير كتابة ، ومنهم من كان كتبها فى مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسب ؛ ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين فى حفظ القرآن ، فلا يرون بأكثرهم حاجة إلى مصحف ينظر فيه »(٢) .

وأيضاً فإن المسلمين لم يكونوا متفرغين لطلب العلم ؛ إذ كانوا بجانب

---

(١) رواه أبو داود فى الصلاة والترمذى فى التفسير ، وكذا رواه النسائى وأحمد والحاكم [ذخائر المواريث ج ٢ ص ٢٣٣ ، التذكار ص ٢٢ ، ٢٣] .

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ص ٢٤ ، ٢٥ من الجزء الأول وانظر مقدمة كتاب المبانى ص ٣٢ .

هذا يسعون لطلب العيش أو غيره « علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله » وروى البخارى فى كتاب العلم عن عمر قال : « كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد — وهى من عوالى المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوما وأنزل يوما . فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك » . . . الحديث(١) .

ونفهم منه أن بعض الصحابة كان يتغيب عن مجالس العلم جريا وراء متطلبات الحياة أو للغزو أو للمرض أو غير ذلك ، فإذا نزل القرآن فى هذه الحالة فلا يدرى مقدمه ومؤخره ، وإن علم ذلك وقد كتبه على ما كان أولا ترك تغييره على حسب ما استقر عليه آخراً اعتمادا على حفظه ، فلما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى واحتيج إلى جمع القرآن بين دفتين على ما انتهى إليه الأمر بعد العرضة الثانية ، جمعه الصحابة على هذا ، وأجمعوا على هذا الترتيب .

٢ — وأما حديث حذيفة السابق ، وحديث معاذ الآتى : وهو ما رواه الإمام مسلم وغيره عن جابر أن معاذا صلى بالناس العشاء الآخرة وافتتح البقرة وطول بأصحابه — وفيه أن الرسول ﷺ أقبل على معاذ فقال « أفتان أنت ؟ اقرأ بكذا واقرأ بكذا . قال سفيان : قلت لعمرو إن أبا الزبير حدثنا عن جابر أنه قال : اقرأ والشمس وضحاها ، والضحى ، والليل إذا يغشى ، وسبح اسم ربك الأعلى . فقال عمرو : نحو هذا » .

وفى رواية عنه أيضاً « إذا أممت الناس فاقرأ بالشمس وضحاها

(١) صحيح البخارى (١ — ٣٣) .

وسبح اسم ربك الأعلى واقرأ باسم ربك والليـــل إذا يغشى ، متفق عليه(١) .

فإن حديث حذيفة يقال فيه إن سورة النساء كانت فى ذلك الوقت مقدمة على آل عمران ، ثم حصل الترتيب بعد ذلك بالتوقيف ، أو أن الترتيب فى الصلاة ليس بواجب ، وفعله ﷺ كذلك لبيان الجواز(٢) .

وحديث جابر كان فى مقام التعليم ، فالنبى ﷺ يعلم معاذا السور التى يقرأ بها تخفيفا على الناس ما دام المأمومون يتضررون من التطويل ، فالسور المذكورة هى على سبيل التمثيل وبيان القدر المناسب فى القراءة للصلاة. يدل على ذلك حديث مسلم وأحمد عن جابر بن سمرة (أن النبى ﷺ كان يقرأ فى الفجر بق والقرآن المجيد ونحوها)(٣) .

وحديث أحمد الذى صححه الهيثمى أن الرسول ﷺ قال لمعاذ (صل بالشمس وضحاها ونحوها من السور)(٤) .

ثم إن الحادثة واحدة بدليل اتحاد السائل والراوى وبيـان السبب ، ولا يعقل تـكرار السؤال فى الحادثة الواحدة . وأيضاً فإن الواو كما قال النحويون لا تقتضى ترتيبا .

٣ — ومن الأدلة التى تثبت أن الترتيب بتوقيف من النبى ﷺ مارواه

---

(١) صحيح مسلم (٤—١٨١ : ١٨٣) ، وسنن النسائى (١—١٢٣، ١٥٥)، ونيل الأوطار (٢—٢٤٢) .

(٢) التبيان فى آداب حملة القرآن ص (١١٦ ، ١١٧) ، والإتقان (١—٦٣) .

(٣) نيل الأوطار (٢—٢٣٩) .

(٤) مجمع الزوائد (٢—١٠٠) .

البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وأحمد وغيرهم عن « عبد الله ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ اقرأ القرآن فى شهر ، قلت إنى أجد قوة ، حتى قال : فاقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك »(١) . وكيف يختم القرآن فى هذه المدة وهو غير مرتب ؟ وقد عرفوا ترتيبه من ملازمتهم للنبى ﷺ وقراءتهم عليه وأخذهم عنه .

٤ — ومن هذه الأدلة أيضاً حديث تحزيب القرآن السابق — وقد حسنه الحافظ بن كثير(٢) .

٥ — ولترتيب السور فى المصحف أسباب نستأنس بها على أنه توقيفى : (أحدها) بحسب الحروف : كما فى الحواميم . (وثانيها) لموافقة آخر السورة لأول لاحقتها كآخر الضحى وأول الشرح . (وثالثها) للوزن فى اللفظ كآخر تبت وأول الإخلاص . (ورابعها) لمشابهة جملة السورة لجملة السورة الأخرى كالزلزلة والعاديات(٣) .

٦ — ومما يستأنس به أيضاً كون الحواميم رتبت ولاء وكذا الطواسين ولم ترتب المسبحات تباعا ، بل فصل بينها بالمجادلة والممتحنة والمنافقون وأفردت الإسراء فى النصف الأول ، وفصل بين الشعراء والقصص وهما يبدآن بطسم بطس النمل مع أنها أقصر منهما — ولو كان اجتهاديا لذكرت المسبحات ولاء وأخرت طس عن القصص . أما وأنه قد حصل الفصل بين المتماثلات والمتقاربات من السور مع عدم التناسب فى الطول والقصر ، فهذا يدل على أن الترتيب توقيفى(٤) .

---

(١) البخارى (٦—٢٤٣) .
(٢) فضائل القرآن ص ٢٦
(٣) البرهان (١—٢٦٠) .
(٤) الإتقان (١—٦٣) .

٧ — ويبقى علينا الكلام فى حديث ابن عباس فى اقتران براءة بالأنفال : فقد استدل ابن كثير فى فضائل القرآن والبيهقى والسيوطى وغيرهم ، بهذا الحديث على أن ترتيب سور القرآن ثابت بالتوقيف ، إلا الأنفال وبراءة ، حتى لقد قال القرطبى إن سور القرآن الكريم انتظمت ببيان منه ﷺ ، وبراءة ضمت إلى الأنفال من غير عهد منه « لما عاجله من الحمام قبل تبيينه ذلك ، وكانتا تدعيان القرينتين ، فوجب أن تجمعا وتضم إحداهما إلى الأخرى للوصف الذى لزمهما من الاقتران ورسول الله ﷺ حى »(١) .

وهذا غير مسلم ؛ إذ كيف نثبت فى المصحف أمراً قائماً على الظن ومن عثمان وحده ؟ قال الخطيب فى الكفاية « لا يقبل خبر الواحد فى منافاة حكم العقل وحكم القرآن الثابت المحكم والسنة المعلومة والفعل الجارى مجرى السنة وكل دليل مقطوع به »(٢).

وقوله « إن رسول الله ﷺ كان مما يأتى عليه الزمان » .. إلخ يدل فى الجملة على التوقيف فى القرآن .

وقوله «فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها» بعيد، إذ الأنفال نزلت فى السنة الثانية عقب بدر والتوبة نزلت فى أواخر التاسعة بعد تبوك وبعد خروج أبى بكر للحج على رأس المسلمين . فكيف يعقل أن يظل الرسول بضعة عشر شهراً ولا يبين للناس أنها منها أو غيرها ؟ إنه بذلك يكون قد تأخر عن البيان فى وقت الحاجة إليه ، بل مات قبل البيان ،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨—٦٣) .
(٢) عن الفتح الربانى (٨—١٥٥) .

وحاشاه ﷺ أن يفعل ذلك . ثم إن إطلاق الاسم على كل منهما واختلافه فيهما مما يعين أن هذه غير تلك وقد سمى ﷺ كلا منهما(١).

أما قوله «فمن ثم قرنت(٢) بينهما ولم أكتب بينهما سطراً بسم الله الرحمن الرحيم» فإن البسملة لا تخضع لهوى الكتاب إثباتا وحذفا. أخرج أبو دواد والحاكم وابن حبان وصححاه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «كان النبي ﷺ لا يعلم ختم السورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم» وفى رواية «فإذا نزلت بسم الله الرحمن الرحيم علموا أن السورة قد انقضت» قال الحافظ أبو شامة هذا حديث حسن(٣)، وإنما لم تذكر فى أول براءة «ليعلم أنه يخص من يشاء وما يشاء بما يشاء، ويفرد من يشاء وما يشاء بما يشاء . ليس لصنعه سبب وليس له فى أفعاله غرض ولا أرب، واتضح للكافة أن هذه الآية أثبتت فى الكتاب لأنها منزلة وبالأمر هنالك محصلة»(٤) وأما ما قاله المفسرون فى أسباب عدم ذكرها هنا فهو التماس للحكمة .

هذا .. وقد قام الإجماع على أن سورة الأنفال سورة برأسها غير سورة التوبة، ولذا قال الزركشى «إن سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة بإجماع أهل الحل والعقد» وقال السيوطى «أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به»(٥).

---

(١) روح المعانى (١٠ — ٤٠، ٤١) ، والإتقان (١ — ٦٥) .

(٢) هذه النسبة إلى نفسه تتعارض مع مانقله القرطبى قبل سطور من أن الاقتران كان فى حياة الرسول ﷺ .

(٣) فتح البارى (١٠ — ٤١٨) ونظم الدرر (٢ — ٣٨٤ ب) .

(٤) لطائف الإشارات (٣ — ٥) .

(٥) البرهان (١ — ٢٥٠) والإتقان (١ — ٦٤، ٦٥) .

ثم إن السؤال كان عن اقترانهما وترك البسملة وجعل السورتين فى كل سورة واحدة ، وكان الجواب مطابقا للسؤال ، لم يتعرض لترتيب السورتين . ولو جوزنا فى بعض السور ألا يكون ترتيبها من الله لجوزنا ذلك فى سائر السور ، وتجويزه يؤدى إلى قول الإمامية من أن القرآن محرف ، وذلك يخرجه عن كونه حجة . فالصحيح أن وضع السورة هذه بعد تلك بوحى من الله تعالى وأن حذف البسملة كذلك بوحى منه جل شأنه.

(وبعد) فقد كان هذا الرد منزلا على صحة الرواية مجاراة لبعض المحدثين كابن كثير الذى قال : إسناده جيد قوى(١) — فهل الأمر كما قالوا ؟ إن لنا فى سند الحديث جولة أخرى .

روى الترمذى الحديث وقال : لانعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسى عن ابن عباس ، وحسنه(٢) — قال الذهبى : عوف الأعرابى : قيل كان يتشيع وقد وثقه جماعة وجرحه جماعة وكان داود بن أبى هند يضربه ويقول : ويلك يا قدرى — وقال بندار : والله لقد كان عوف قدريا رافضيا شيطانا(٣) . وقال مسلم فى مقدمة صحيحه : وإذا وازنت بينه وبين الأقران رأيت البون بينهم بعيدا فى كمال الفضل وصحة النقل(٤) .

وأما يزيد فقد اختلف فيه : هل هو ابن هرمز أو غيره ؟ وقد ذكره البخارى فى كتاب الضعفاء باسم : يزيد الفارسى ، لاشتباهه فيه — وحيث إنه قد انفرد بهذا الحديث فلا يحتج به فى شأن القرآن الذى يطلب فيه التواتر(٥) .

---

(١) فضائل القرآن ص(٢٤) .

(٢) تحفة الأحوذى (٨ — ٤٨٠) .

(٣) ميزان الاعتدال (٢ — ٣٠٨ ، ٣٠٩) .

(٤) صحيح مسلم (١ — ٥٤) .

(٥) الفتح الربانى (١٨ — ١٥٤ ، ١٥٦) .

وقال الذهبي : قال فيه النسائي وغيره : متروك . وقال الدار قطني وغيره ضعيف . وقال أحمد : كان منكر الحديث (١).

وإذا كان متن الحديث وسنده بهذه المكانة من الضعف ، ولم يرتضه إلا القليل الذين قوموه ولم يخرجوه عن أقل درجات القبول : فكيف نقبله في أمر القرآن الذي هو في أعلى درجات الصحة نقلا ونظما وترتيبا ؟!

إن القرآن الكريم كله آية آية وسورة سورة مرتب من الله تعالى . وقد بلغه عنه رسوله الأمين ﷺ كما سمعه من جبريل عليه السلام .

وصدق الله العظيم : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .. « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . . . « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » .

---

(١) ميزان الاعتدال (٣—٢٠٨) .

الفصل الخامس

تواتر القرآن الكريم

القرآن : هو ما نقل بين دفتى المصحف نقلا متواترا ، أو هو الكلام المنزل على رسول الله ﷺ للإعجاز والهداية ، ومن قال بهذا الحد اشترط التواتر — كما قال ابن الحاجب — للقطع بأن العادة تقضى بالتواتر فى تفاصيل مثله ، والقائلون بالأول لم يحتاجوا للعادة ، لأن التواتر عندهم جزء من الحد ، فلا تتصور ماهية القرآن إلا به — وحينئذ فلا بد من التواتر فى كل ألفاظ القرآن عند جميع العلماء — صرح بذلك عدد لا يحصى ، كابن عبد البر وابن عطية وابن تيمية والنووى والسبكى والأسنوى والأذرعى والزركشى والدميرى وابن الحاجب وابن عرفة والسيوطى وغيرهم .

وأما القراء فقد أجمعوا من أول الزمان على ذلك .

ضابط القراءة المتواترة :

كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها : فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها ، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل عليها القرآن ، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن غيرهم . ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة ، أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء كانت عن السبعة أم غيرهم .

«هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف ، صرح بذلك الدانى ومكى والمهدوى وأبو شامة ، وهو مذهب السلف الذى لا يعرف عن أحد منهم خلافه »(1).

---

(1) الإتقان (1 — 75) .

وهذا الضابط نظمه صاحب الطيبة فقال :

وكل ما وافق وجه النحو ... وكان للرسم احتمالا يحوى
وصح إسنادا ، هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت ... شذوذه لو أنه فى السبعة

ومعنى صحة السند : أن تكون القراءة متواترة يرويها جماعة من أول السند إلى منتهاه ، من غير تعيين عدد ، هذا هو الصحيح .

وقيل بالتعيين : قال بعضهم ستة ، وقال بعضهم عشرون وبعضهم أربعون وبعضهم سبعون(١) .

ولقد كان الاعتماد فى نقل القرآن الكريم على الحفاظ ؛ ولذا فقد أرسل عثمان رضى الله عنه مع كل مصحف من يقرىء الناس ، وقرأ أهل كل مصر بما فى مصحفهم ، وتلقوا ما فيه عن الصحابة ، ثم تجرد للأخذ عنهم قوم لم يختلف فيهم اثنان فى صحة روايتهم ودرايتهم ؛ وانتشر بعدهم القراء وكثروا ، وخلفهم أمم بعد أمم ، وكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية ، ومنهم دون هذا ، فقام عندئذ جهابذة الأمة وميزوا بين الصحيح والباطل وعزوا الأوجه والروايات . فجزاهم الله خيرا ..

طبقات القراء من الأوائل :

اشتهر كثير من الصحابة بأخذ القرآن من النبى ﷺ وإقرائه إلى من بعدهم — واشتهر بالأخذ عنهم خلق من التابعين(٢) .

---

(١) انظر المرشد الوجيز ص ١٦٢ وما بعدها .

(٢) من الإتقان (١ — ٧٣) .

فكان (بالمدينة) ابن المسيب وعروة وسالم وعمر بن عبد العزيز وسليمان وعطاء ابنا يسار ومعاذ بن الحارث المشهور بمعاذ القارىء وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وابن شهاب الزهرى ومسلم بن جندب وزيد بن أسلم . وغيرهم .

وممن كان (بمكة) عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح وطاوس ومجاهد وعكرمة وابن أبي مليكة .

وممن كان (بالكوفة) علقمة والأسود ومسروق وعمرو بن شرحبيل وأبو عبد الرحمن السلمى وزر بن حبيش وسعيد بن جبير والنخعى والشعبى وعبيد بن نُضَيلة .

وممن كان (بالبصرة) أبو العالية وأبو رجاء ونصر بن عاصم ويحيى ابن يعمر والحسن وابن سيرين وقتادة .

وممن كان (بالشام) المغيرة بن أبي شهاب المخزومى وخليفه بن سعد .

وممن تفرغ للقراءات يضبطونها حتى صاروا أئمة يرحل إليهم(١) :

(بالمدينة) أبو جعفر بن القعقاع ثم شيبة بن نصاح ثم نافع بن أبي نعيم .

(وبمكة) عبدالله بن كثير وحميد بن قيس الأعرج ومحمد بن أبي محيصن .

و(بالكوفة) يحيى بن وثاب وعاصم بن أبي النجود وسليمان بن الأعمش ثم حمزة ثم الكسائى .

---

(١) والفائدة من سرد هذه الأسماء مع الإشارة إلى غيرها مما هو كثير ويضيق به المقام ، التنبيه على أن القرآن قد بلغ فى عصوره الأولى حد التواتر وزيادة ، الأمر الذى يطمئن إليه القلب إلى أن القرآن نقل نقلا صحيحا متينا .

و (بالبصرة) عبدالله بن أبى إسحاق وعيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء وعاصم الجحدرى ثم يعقوب الحضرمى .

و(بالشام) عبد الله بن عامر وعطية بن قيس الكلابى وإسماعيل بن عبدالله بن المهاجر ثم يحيى بن الحارث الذمارى ثم شريح بن يزيد الحضرمى.

واشتهر من هؤلاء فى الآفاق الأئمة العشرة وهم :

١ — نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المدنى: أخذ القراءة عن أبى جعفر القارى وعن سبعين من التابعين . وهم أخذوا عن ابن عباس وأبى هريرة عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ — وانتهت إليه رياسة الإقراء بالمدينة المنورة (م سنة ١٦٩ ﻫ) ، عن (٩٩ عاما) - وكان إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك ; لما رأى فى منامه أن النبى ﷺ يقرأ فى فيه - وكان رضى الله عنه أسود اللون حالكا (١) .

٢ — عبد الله بن كثير الدارى : كان إمام الناس فى القراءة بمكة تحفه السكينة والوقار . لقى عبدالله بن الزبير وأنس بن مالك وأبا أيوب الأنصارى . روى عن مجاهد عن ابن عباس عن أبى عن الرسول ﷺ . وقرأ على عبدالله بن السائب المخزومى ، توفى (سنة ١٢٠ ﻫ) عن (٧٥) عاما .

٣ — أبو عمرو بن العلاء البصرى : كان من أعلم الناس بالقراءة مع صدق وأمانة وثقة فى الدين . روى عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس . وأخذ عن التابعين : منهم أبو جعفر وزيد بن القعقاع والحسن البصرى . وقرأ الحسن على حطان وأبى العالية . عن عمر بن الخطاب . توفى (سنة ١٥٤ ﻫ) عن (٨٦) عاما .

---

(١) النشر (١—١١٢) وانظر فى ترجمة هؤلاء الأئمة (طبقات القراء) لابن الجزرى .

٤ — عبد الله بن عامر : تابعى جليل لقى واثلة بن الأسقع والنعمان بن بشير . أخذ القراءة عن أبى الدرداء وأصحاب عثمان وعن المغيرة بن أبى شهاب المخزومى . وقيل إنه قرأ على عثمان نفسه . توفى بدمشق (سنة ١١٨ هـ) عن (٩٧) عاما .

٥ — عاصم بن أبى النَّجود الأسدى . كان قارئا متقنا آية فى الفصاحة وحسن الصوت بقراءة القرآن . قرأ على التابعين منهم زر بن حبيش عن ابن مسعود ، وأبو عبد الرحمن السلمى عن الإمام على ، عن النبى ﷺ . م (سنة ١٢٧) هـ بالكوفة .

٦ — حمزة بن حبيب الزيات الكوفى : قرأ على الأعمش ويحيى بن وثاب وزر بن حبيش ومنصور بن المعتمر والسبيعى وعاصم وغيرهم . عن عثمان وعلى وابن مسعود . كان ورعا عالما بالكتاب مجوداً له ، عارفا بالفرائض والعربية ، حافظا للحديث . توفى بحلوان (سنة ١٥٦ هـ) عن (٧٦) عاما .

٧ — أبو الحسن الكسائى النحوى : كان أعلم الناس بالنحو والغريب والقرآن . وكان يضطر لكثرة الناس عليه أن يجلس على الكرسى ويتلو القرآن من أوله إلى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه . أخذ عن حمزة وأبى بكر بن عياش . توفى (سنة ١٨٩ هـ) عن سبعين عاما .

٨ — أبو جعفر يزيد بن القعقاع :

أحد العشرة ، وكان تابعيا كبير القدر ، انتهت إليه رئاسة القراءة فى المدينة المنورة ، وكان ثقة صالحا ، قرأ على مولاه عبدالله بن عياش بن أبى ربيعة المخزومى وفاقا . وقال غير واحد : إنه قرأ على أبى هريرة وابن عباس .

وكان يقرىء فى مسجد رسول الله ﷺ قبل وقعة الحرة ، وكانت الحرة سنة ٦٣ هـ . .

وقرأ عليه نافع بن أبي نعيم وسليمان بن مسلم بن جماز وعيسى بن وردان الحذاء وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وحدث عنه الإمام مالك ، ووثقه يحيى بن معين والنسائي . وقيل إنه كان يقدم في زمانه على عبد الرحمن بن هرمز . توفى سنة ١٣٠ هـ على الأصح عن نيف وتسعين سنة .

٩ — يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري :

كان قارىء أهل البصرة في عصره ، وسمع من حمزة الزيات ، وانتهت إليه رئاسة القراءة بعد أبي عمرو ، قرأ على أبي المنذر سلام بن سليمان المزني وأبي الأشهب العطاردي ، ومهدي بن ميمون وغيرهم . وقرأ سلام على عاصم وعلى أبي عمرو . وقرأ عليه روح بن عبد المؤمن ومحمد بن المتوكل رويس وأبو حاتم السجستاني وغيرهم .

وكان عالماً بالعربية ووجوهها ، والقرآن وحروفه وعلله ومذاهبه ، فاضلا نقياً تقياً ورعاً زاهداً توفى سنة ٢٠٥ هـ عن ثمان وثمانين سنة .

١٠ — خلف بن هشام البغدادي البزار :

ابتدأ طلب العلم وله ثلاث عشرة سنة ، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ، وكان إماماً كبيراً عالماً ثقة زاهداً عابداً ، وقراءته لا تخرج عن قراءة الكوفيين ، وقرأ على سليم عن حمزة ، وسمع مالكاً وأبا عوانة وحماد بن زيد وشريكاً وغيرهم . وقرأ أيضاً على ابن يوسف الأعشى لعاصم وأخذ حرف نافع عن إسحاق المسيبي . وقرأ عليه أحمد بن يزيد الحلواني وإدريس بن عبد الكريم الحداد ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير وغيرهم .

حدث عنه مسلم وأبو داود وأحمد بن حنبل وأبو القاسم البغوي وغيرهم . وثقه ابن معين والنسائي والدارقطني ، وقال عنه : كان عابداً فاضلا . توفى في جمادى الآخرة سنة ٢٢٩ هـ وكان مولده سنة ١٥٠ هـ .

هـــذا :

ويقول ابن الجزرى « واستقرت جملة الطرق عن الأئمة العشرة على تسعمائة طريق وثمانين طريقا ، حسبما فصل فيما تقدم عن كل راو راو من رواتهم ، وذلك بحسب تشعب الطرق من أصحاب الكتب ، مع أنا لم نعد للشاطبى رحمه الله وأمثاله إلى صاحب «التيسير» وغيره سوى طريق واحدة ، وإلا فلو عددنا طرقنا وطرقهم لتجاوزت الألف » (١) والله أعلم .

ثم انتشرت القراءات فى الأمصار ، وجاءت أمم ، واشتهر من رواة كل طريق من طرق العشرة راويان :

فعن نافع : قالون (م سنة ٢٢٠ هـ) وورش (م سنة ١٩٧هـ) عنه . وعن ابن كثير : قنبل (م سنـــة ٢٩١ هـ) والبزى (م سنة ٢٥٠ هـ) عن أصحابه عنه . وعن أبى عمرو : الدورى (م سنة ٢٤٦هـ) والسوسى (م سنة ٢٦١هـ) عن اليزيدى (م سنة ٢٠٢ هـ) عنه . وعن ابن عامر : هشام (م سنة ٢٤٥هـ) وابن ذكوان (م سنة ٢٠٢ هـ) عن أصحابه عنه . وعن عاصم : أبو بكر بن عياش (م سنة ١٩٣ هـ) وحفص (م سنة ١٨٠ هـ) عنه . وعن حمزة : خلف (م سنة ٢٢٩ هـ) وخلاد (م سنة ٢٢٠ هـ) عن سليم (م سنة ١٨٨هـ) عنه . وعن الكسائى : الدورى (م سنــــة ٢٤٦ هـ) وأبو الحارث (م سنة ٢٤٠ هـ) وعن أبى جعفر : ابن وردان (م سنة ١٦٠ هـ) ، وابن جماز (م سنة ١٧٠هـ) ، وعن يعقوب : رويس (م سنة ٢٣٨هـ) ، وروح (م سنة ٢٣٥ هـ) . وعن خلف : إسحاق الوراق (م سنة ٢٨٦ هـ) ، وإدريس (م سنة ٢٩٢هـ)

ثم لما اتسع الخرق وكاد الباطل يلتبس بالحق ، قام جهابذة الأمة وبالغوا فى الاجتهاد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزوا الوجوه

---

(١) النشر فى القراءات العشر (١ — ١٩٠ ، ١٩١) .

والروايات وميزوا الصحيح والمشهور والشاذ بأصول أصلوها وأركان فصلوها .

فأول من ألف القراءات ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، [١] ثم أحمد ابن جبير الكوفى [٢] . ثم إسماعيل بن إسحاق المالكى - صاحب قالون [٣] - ثم ابن جرير الطبرى [٤] ، ثم أبو بكر محمد بن أحمد الدجونى [٥] ثم أبو بكر بن مجاهد [٦] ثم قام الناس فى عصره وبعده بالتأليف فى أنواعها .

وأئمة القراءات لاتحصى [٧] . وقد صنف فى طبقاتهم حافظ الإسلام أبو عبد الله الذهبى ، ثم حافظ القراء أبو الخير بن الجزرى — وغيرهم كثير .

أنواع القراءات :

١ — (النوع الأول) : المتواتر : وهو مانقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه ، وهو ما اتفقت الطرق فى نقله عن العشرة وغالب القراءات كذلك .

---

(١) من كبار علماء القراءات وغيرها ، توفى سنة ٢٢٤ هـ

(٢) من أئمة القراءات توفى سنة ٢٥٨ هـ

(٣) توفى سنة ٢٨٢ هـ

(٤) توفى سنة ٣١٠ هـ

(٥) توفى سنه ٣٢٤ هـ

(٦) هو أول من سبع السبعة توفى سنة ٣٢٤ هـ

(٧) النشر (١ — ٣٤)

٢ — (النوع الثانى) المشهور : وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة المتواتر ، ووافق العربية والرسم ، واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ ، ويقرأ به — وهذا النوع اختلفت الطرق فى نقله عن العشرة ، فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض ، وأمثلته كثيرة فى فرش الحروف(١) من كتب القراءات . ومن أشهرها التيسير للدانى والنشر لابن الجزرى .

وهذا النوع قال عنه ابن الجزرى فى منجد المقرئين إنه متواتر ، وأقام الدليل على ذلك ورد على المخالف(٢) .

٣ — (النوع الثالث) الآحاد : وهو ما صح سنده ووافق الرسم والعربية ، ولم تتلقه الأمة بالقبول ولم يشتهر الاشتهار المذكور ، ولا يقرأ به ، ومثاله ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس أن النبى ﷺ قرأ (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) بفتح الفاء ، ونص ابن الصلاح وغيره أنه يحرم القراءة به قطعا .

٤ — (النوع الرابع) الشاذ : وهو ما وافق العربية وصح سنده

---

(١) هى جزئيات يقع الخلاف فى قراءتها ولا يقاس عليها . كقراءة (يخدعون) فى البقــرة ، وقع فيها خلاف ، ومع هذا لا يقاس عليها (يخادعون) فى النساء . — بخلاف الأصول والقواعد فهى التى تدرج تحتها الجزئيات المتماثلة ، كقواعد الوقف والإدغام والمد والهمز . فالمراد هنا الاختلاف فى النقل عن العشرة . مثل قراءة حمزة (والأرحامِ) ، وسكتات حفص كلها ، (قتلُ أولادَهم شركائِهم) لابن عامر ، (بارئْكم . يأمرْكم) لأبى عمرو ، (فهل عسِيتم) لنافع ، (ليُجزى قوماً) لأبى جعفر .

(٢) منجد المقرئين (٢٢٨) وما بعدها

وخالف الرسم بأى وجه . وهذا النوع تحرم القراءة به كسابقه ، ونص ابن عبد البر أنه لا يجوز أن يصلى خلف من يقرأ بها(١) .

٥ — (النوع الخامس) الموضوع كالقراءات التى نسبها الخزاعى إلى أبى حنيفة ومنه ما وافق العربية والرسم ولم ينقل ألبتة ، وهذا لا يصح أن يقرأ به لا فى الصلاة ولا فى خارجها ، ونص الدارقطنى على أن هذه القراءات موضوعة على أبى حنيفة . ومنها « إنما يخشى الله من عباده العلماء » برفع الهاء ونصب الهمزة(٢) .

« قال الإمام أبو طاهر بن أبى هاشم فى كتابه (البيان) وقد نبغ نابغ فى عصرنا فزعم أن كل من صح عنده وجه فى العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف ، فقراءته جائزة فى الصلاة وغيرها ، فابتدع بدعة ضل بها عن قصد السبيل ، قلت : وقد عقد له بسبب ذلك مجلس ببغداد ، حضره الفقهاء والقراء ، وأجمعوا على منعه ، وأوقف للضرب فتاب ورجع ، وكتب عليه بذلك محضر ، كما ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخ بغداد ، وأشرنا إليه فى الطبقات »(٣) .

٦ — (النوع السادس) ما يشبه المدرج من أنواع الحديث : وهو ما زيد فى القراءات على وجه التفسير ، كقراءة سعد بن أبى وقاص « وله أخ أو أخت من أم » أخرجها سعيد بن منصور . وقراءة ابن عباس « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج » أخرجها البخارى . وقراءة الحسن « وإن منكم إلا واردها . الورود : الدخول »

---

(١) منجد المقرئين (٩٧) . ومثاله ما روى أن ابن مسعود كان يقرأ « والذكر والأنثى » من سورة الليل .

(٢) النشر (١ — ١٦) .

(٣) نفس المرجع (١ — ١٧) .

قال ابن الأنبارى « قوله الورود : الدخول، تفسير من الحسن لمعنى الورود، وغلط فيه بعض الرواة فأدخله فى القرآن » اهـ عن الإتقان .

وأما القراءة بالمعنى من غير أن ينقل قرآنا ، فهو اجتراء على عظيم ، والقائم به ضال ضلالا بعيداً ، ويعزر ويحبس ولا يخلى على ضلاله ، وعلى كل متمكن منه أن يمنعه ولا يمهله . (انظر منجد المقرئين ص ٩٩) .

الخلاصة :

أن أنواع القراءات من ناحية القبول والرد ثلاثة :

النوع الأول — مقبول من الناحية التاريخية [الإسناد] والعمل عليه ويقرأ به ، وهذا يشمل : المتواتر والمشهور .

النوع الثانى — مقبول من الناحية التاريخية ولا يقـــرأ به : وهو الآحاد والشاذ .

النوع الثالث : غير مقبول أصلا : وهو الموضوع والمدرج .

والله ولى التوفيق .

ولا خلاف أن كل ماهو من القرآن ، يجب أن يكون متواترا فى أصله وأجزائه ، وكذلك فى محله ووضعه وترتيبه ، عند المحققين من علماء أهل السنة[1] . فإن العلم اليقينى حاصل أن العادة قاضية بأن مثل الكتاب العزيز متواتر فى تفاصيله ؛ لأنه الكتاب الباقى المعجز ، أصل الدين القويم

---

(١) انظر الكلام على ترتيب آيات القرآن وسوره . وقد علمنا أن الأصح فى ترتيب السور أنه توقيفى ، وأما الآيات فباتفاق .

والصراط المستقيم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فستحيل ألا يكون متواترا فى ذلك كله ، إذ الدواعى تتوافر على نقله على جهة التواتر .

قال تعالى (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . . .) والبلاغ العام إنما هو بالتواتر ، فما لم يتواتر مما نقل آحادا ، نقطع بأنه ليس من القرآن . وقال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) والحفظ إنما يتحقق بالتواتر .

ثم إن التواتر لو لم يشترط فى جميع القرآن ، أصله وأجزائه ومحله ووضعه وترتيبه : لجاز سقوط كثير من القرآن المكرر ، وثبوت كثير مما ليس بقرآن : أما الأول فلأننا لو لم نشترط التواتر فيه وفى محله ، جاز ألا يتواتر كثير من المتكررات الواقعة فى القرآن ، مثل (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ، (ويل يومئذ للمكذبين) ونحوهما .

وأما الثانى فلأنه إذا لم يتواتر بعض القرآن بحسب المحل ، جاز إثبات ذلك البعض فى الموضع بنقل الآحاد .

وقال القاضى أبو بكر الباقلانى فى كتابه (الانتصار) : « ذهب قوم من الفقهاء والمتكلمين إلى إثبات قرآن حكما لا علما بخبر الواحد ، دون الاستفاضة ، وكره ذلك أهل الحق ، وامتنعوا منه . . .

وقد رد الله عنه طعن الطاعنين واختلاف الضالين ، وليس المعتبر فى العلم بصحة النقل والقطع على فنونه بألا يخالف فيه مخالف ، وإنما المعتبر فى ذلك مجيئه عن قوم بهم يثبت التواتر ، وتقوم الحجة ، سواء اتفق على نقلهم أو اختلف فيه ، ولهذا لا يبطل النقل إذا ظهر واستفاض واتفق عليه ، أو إذا حدث خلاف فى صحته لم يكن من قبل .

وبذلك يسقط اعتراض الملحدين فى القرآن ، وذلك دليل على صحة نقل القرآن وحفظه وصيانته من التغيير ، ونقض مطاعن الرافضة فيه من دعوى الزيادة والنقص . كيف وقد قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقال (إن علينا جمعه وقرآنه) وأجمعت الأمة أن المراد بذلك حفظه على المكلفين للعمل به ، وحراسته من وجوه الغلط والتخليط ، وذلك يوجب القطع على صحة نقل مصحف الجماعة وسلامته »(١) .

---

(١) البرهان فى علوم القرآن (٢—١٢٦ ، ١٢٧) .

الوقف والابتداء

هذا العلم جليل ؛ إذ به يعرف كيفية أداء القرآن ، وتتبين معانى الآيات، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع فى المشكلات .

وعن على كرم الله وجهه فى قول الله تعالى « ورتل القرآن ترتيلا » قال : « الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما «أنهم كانوا يتعلمون الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلمون حلالها وحرامها ، وماينبغى أن يوقف عنده منها » (١) .

واستأنس له النحاس بقول الرسول ﷺ للخطيب « بئس الخطيب أنت » حين قال : «من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما » ووقف، وكان ينبغى له الوصل فيقول : « ومن يعصهما فقد غوى » .

وهذا العلم تحتاج معرفته إلى علوم كثيرة ، فلا يقوم بالتمام فى الوقف إلا نحوى عالم بالقراءات ، عالم بالتفسير وبالقصص ، وباللغة التى نزل بها القرآن ، وكذا علم الفقه .

أقسام الوقف :

ينقسم الوقف عند أكثر القراء إلى أربعة أقسام : تام مختار ، وكاف جائز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك(٢) .

---

(١) الإتقان (١—٢٨٢) تحقيق : محمد أبو الفضل ، البرهان (١-٣٤٢) بتحقيقه أيضا .

(٢) انظر الإتقان (١—٢٨٤ : ٢٩٢)، البرهان (١—٣٥٠:٣٥٥) .

١ — فالتام : هو الذى لا يتعلق بشىء مما بعده ، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، وأكثر ما يوجد عند رؤس الآى، كقوله تعالى «وأولئك هم المفلحون » ثم يبتدىء بقوله «إن الذين كفروا » . وقد يوجد فى أثنائها كقوله «وجعلوا أعزة أهلها أذلة» هنا التمام لأنه انقضى كلام بلقيس، ثم قال تعالى « وكذلك يفعلون » .

٢ — والكافى منقطع فى اللفظ متعلق فى المعنى ، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده أيضا ، كقوله « حرمت عليكم أمهاتكم » هنا الوقف ، ثم يبتدىء بما بعد ذلك ، وهكذا باقى المعطوفات ، وكل رأس آية بعدها لام كى ، وإلا بمعنى لكن ، وإن المكسورة المشددة ، وغير ذلك .

٣ — والحسن : هو الذى يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده ، لتعلقه به فى اللفظ والمعنى ، نحو «الحمد لله رب العالمين» و«الرحمن الرحيم» والوقف عليهما حسن لأن المراد مفهوم .

والابتداء بقوله «رب العالمين» و « الرحمن الرحيم » و « مالك يوم الدين» لا يحسن ؛ لأن ذلك مجرور والابتداء بالمجرور قبيح لأنه تابع .

٤ — والقبيح : هو الذى لا يفهم منه المراد ، نحو «الحمد» فلا يوقف عليه ، ولا يوقف على الموصوف دون الصفة ، ولا على المجرور دون الجار ، ولا على البدل دون المبدل منه ، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه .

وأقبح من هذا الوقف على « لقد كفر الذين قالوا » ويبتدىء بقوله « إن الله هو المسيح »، لأن المعنى مستحيل بهذا الابتداء ، ومن تعمده وقصد معناه فقد كفر .

فائدتان :

١ — الفائدة الأولى : ذكر صاحب النشر ضابطا للوقف والابتداء ، فقال : كل ماأجازوا الوقف عليه أجازوا الابتداء بما بعده (١)

٢ — ذكر صاحب البرهان أن الوقف ضربان : اضطراري واختياري : (٢)

فالاضطراري : مايدعو إليه انقطاع النفَس فقط ، وذلك لايخص موضعا دون موضع ، وروى أن حمزة وقف على «مرضات» من قول الله تعالى : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات » قالوا : وقف هنا بالتاء إشعارا بأن الكلام لم يتم عند ذاك .

والاختياري — وهو أفضلهما — هو الذي لا يكون باعتبار انفصال ما بين جزأى القول . وينقسم بانقسام الانفصال إلى أقسام :

(أ) تام : وهو الذي يكون بحيث يستغني كل واحد من جزأى القولين اللذين يكتنفانه عن الآخر ، كالوقف على « نستعين » والآخر « اهدنا » ، فهو مستغن عن الآخر ، من حيث الإفادة النحوية والتعلق اللفظي .

(ب) ناقص : وهو أن يكون ما قبله مستغنيا عما بعده ، ولا يكون

---

(١) النشر (١ — ٢٣٤)
(٢) البرهان (١ — ٣٥٩ ، ٣٦٢)

ما بعده مستغنيا عما قبله ، كالوقف على «المستقيم» فلك أن تسكت عليه وليس لك أن تقول مبتدئا «صراط الذين أنعمت عليهم» .

(ج) أنقص : ومثاله قراءة نافع وابن كثير وأبي بكر «وإنْ كلا لما ليوفينهم» — وقراءة الكسائي «لكنْ هو اللهُ ربي» .

والفرق أن التام قد يجوز أن يقع فيه بين القولين مهلة وتراخ في اللفظ ، والناقص لا يجوز أن يقع فيه بين جزأي القول إلا قليل لبث ، والذي دونهما لا لبث فيه ولا مهلة أصلا .

بعض الشبهات وردها

علمنا أن القرآن تواترت لأعلى أمثل نقلة إلينا صحيحاً بدون تغيير ولا تبديل ، وهذا نقل خص الله تعالى به المسلمين ، دون سائر أهل الملل كلها ، وأبقاه عندهم غضا جديدا على طول الزمان ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ومع هذا فنرى بعض الحاقدين على الإسلام ، حاسدى المسلمين على هذه المنة الجليلة والمحمدة العالية المجيدة ، نراهم يطعنون القرآن ، أملا فى بطلان نصه وخذلان أهله (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) . (بل الذين كفروا فى تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) . (قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون) .

وسنعرض بحول الله بعض هذه الطعون الواهية . وسنرى من وراء الجواب عليها أن القرآن الكريم ليس بالأمر البشرى ، بل إنه وحى الله إلى عباده (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب) .

الشبهة الأولى

قيل : إن البسمله ليست من القرآن؛ لأنها لم تتواتر فى أوائل السور ، وما لم يتواتر فليس بقرآن .

والجواب : بمنع كونها لم تتواتر، فرب متواتر عند قوم دون آخرين، وفى وقت دون آخر ، ويكفى فى تواترها إثباتها فى مصاحف الصحابة فمن بعدهم بخط المصحف، مع منعهم أن يكتب فى المصحف ماليس منه، كأسماء السور وآمين والأعشار ، فلو لم تكن قرآناً لما استجازوا إثباتها بخطه من غير تمييز ؛ لأن ذلك يحمل على اعتقادها قرآناً ، فيكونون مغررين بالمسلمين حاملين لهم على اعتقاد ماليس بقرآن قرآناً ، وهذا مما لايجوز اعتقاده فى الصحابة .

فإن قيل : لعلها أثبتت للفصل بين السور — أجيب : بأن هذا فيه تغرير ولا يجوز ارتكابه لمجرد الفصل ، ولو كانت له لكتبت بين براءة والأنفال .

ويدل لكونها قرآناً منزلا: ما أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم عن أم سلمة أن النبى ﷺ كان يقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين » الحديث ، وفيه « وعد بسم الله الرحمن الرحيم » آية، ولم يعد « عليهم » . وأخرج أبو داود والحاكم والبيهقى والبزار من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال « كان النبى ﷺ لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم » زاد البزار « فإذا نزلت عرف أن السورة قد ختمت واستقبلت أو ابتدئت سورة أخرى » وفى رواية أخرى عند الحاكم عن ابن عباس قال « كان المسلمون لايعلمون انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحيم، فإذا نزلت علموا أن السورة قد انقضت» إسناده على

شرط الشيخين وقال الحافظ أبو شامة : هذا حديث حسن(١) . وعنده أيضا عنه «أن النبي ﷺ كان إذا جاءه جبريل فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم علم أنها سورة » إسناده صحيح .

وعند مسلم عن أنس قال « بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذا أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما، فقال: أنزلت على آنفاً سورة، فقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر » الحديث . إلى غير ذلك من الأحاديث .

فهذه الأحاديث تعطى التواتر المعنوى بكونها قرآناً منزلا فى أوائل السور »(٢) .

---

(١) فتح البارى (١٠ — ٤١٨) .

(٢) الإتقان (١ — ٧٩) وانظر ماذكره من الأحاديث الكثيرة (١ — ٧٨، ٧٩) . وانظر المرشد الوجيز ص ٦٧ ، ٦٩ .

الشبهة الثانية

تمسك الملاحدة بشبهة أخرى تطعن فى تواتر القرآن .

فيقولون : إن عثمان [رضى الله عنه] أحرق مصاحف الصحابة ، وقد كانت تختلف مع مصحفه زيادة ونقصا وتقديما وتأخيراً ، فكيف تقولون إن القرآن متواتر فى جملته وأجزائه ، ووضعه وترتيبه ؟

والرد على هذه الشبهة يقتضينا المقام أن نتكلم على المصاحف بالتفصيل. فنقول وعلى الله قصد السبيل :

جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ كثير من الصحابة ، وقد كتبه عليه الصلاة والسلام مفرقا فى العسب واللخاف والأقتاب . وقيض الله لجمعه الصديق رضى الله عنه ، ثم من بعده عثمان رضى الله عنه .

وقد صح عنه ﷺ أنه أمر ابن عمرو أن يقرأه فى ثلاث ليال(١) ، ولا يمكن أن يكون مقروءاً فى ثلاث إلا إذا كان معلوم الوضع والترتيب، بتعليم منه ﷺ .

وجمع الصحابة لم يكن إلا خوف ضياع شىء منه أو الشك فى شىء ثبتت قرآنيته، ولذا فقد جمعوه فى مكان واحد وعلى حرف قريش وحده. ولقد كان عملهم هذا من أسباب حفظ القرآن ، وإلا فلو دخله شىء من التحريف أو التغيير أو التبديل أو الزيادة أو النقص، لما كان القرآن محفوظا، وهذا يناقض الآية الكريمة (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) — إذن فعملهم هذا من باب النصيحة لكتاب الله ولهم فيه الأجر الجزيل ، ولهم فى عنق كل مسلم ومسلمة منة ، وحسناتهم فى ازدياد مستمر مادام القرآن يتلى .

---

(١) انظر الحديث بتمامه فى صحيح البخارى (٦ — ٢٤٢) .

ويجب أن نعلم أن بعض الصحابة كان يكتب لنفسه خاصة حال حياته ﷺ ، غير النسخة الرسمية التي كان يمليها ﷺ على كتاب الوحي . ولقد كانت تحوي أحياناً منسوخ التلاوة وما لم يتواتر ، وربما لا يكتب فيها صاحبها ما تواتر أنه قرآن .

والسبب في هذا هو ما قاله الإمام النيسابوري في مقـــدمة تفسيره « وذلك أن الواحد منهم إذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله ﷺ ، أو كتبها، ثم خرج في سرية فنزلت في وقت مغيبه سورة ، فإنه كان إذا رجع يأخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته ، ويتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له ، فيقع فيما يكتبه تقديم وتأخير من هذا الوجه، وقد كان منهم من يعتمد على حفظه ، فلا يكتب على ما كان من عادة العرب في حفظ أنسابها وأشعار شعرائها من غير كتابة ، ومنهم من كان كتبها في مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسب ، ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين في حفظ القرآن ، فلا يرون بأكثرهم حاجة إلى مصحف ينظر فيه »(١) .

وروى البخاري في كتاب العلم أن عمر قال « كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد — وهي من عوالي المدينة — وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ، ينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك »(٢) .. الحديث .

وقد ذكروا في مقام اختلاف المصاحف، مصاحف عدة: مثل مصحف عائشة وأم سلمة وحفصة وابن الزبير وأبي موسى الأشعري — بجانب مصحف

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ — ٢٤، ٢٥) .

(٢) صحيح البخاري (١ — ٣٣) .

ابن مسعود وأبى وعلى بن أبى طالب — أما غير الثلاثة الأخيرة فلم يسجل فيها المخالف إلا كلمات يسيرة لا يستحق من أجلها أن يسمى مصحفاً ، وربما تشعر التسمية بنوع من الاستقلال يجعل دائرة الخلاف عظيمة ، وسنتكلم بإذن الله على الثلاثة الأخيرة فقط .

مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه(١)

١ — روى البخارى ومسلم عن شقيق بن سلمة قال « خطبنا عبد الله فقال : والله لقد أخذت من فى رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة ، والله

---

(١) عبد الله بن مسعود أحد السابقين . هاجر الهجرتين ، وشهد المشاهد كلها ، ولازم النبى ﷺ ، وكان صاحب النعلين ، حدث عن النبى كثيراً وحدث عنه كثير من الصحابة والتابعين ، كالعبادلة وأنس وجابر وعلقمة ومسروق وزر بن حبيش . وذكر ابن إسحاق أنه أول من جهر بالقرآن فى مكة ، وشهد بعد النبى ﷺ فتوح الشام ، وسيره عمر إلى الكوفة ليعلم أهلها أمور دينهم ، وأمره عثمان عليها ثم عزله فرجع إلى المدينة . وقال البخارى : مات قبل مقتل عمر ، وقال أبو نعيم وغيره : مات سنة ٣٢ أو سنة ٣٣ بالمدينة وقيل بالكوفة . روى له الستة ثمانية وأربعين وثمانمائة حديث ، انفرد البخارى بواحد وعشرين ومسلم بخمسة وثلاثين واتفقا على أربعة وستين . قال أبو موسى الأشعرى « قدمت أنا وأخى من اليمن فمكثنا حينا ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبى ﷺ ، لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبى ﷺ » ، وقال علقمة « كان يشبه النبى ﷺ فى هديه ودله وسمته » ، وقال حذيفة « ما أعرف أحداً أقرب سمتا وهديا ودلا بالنبى ﷺ من ابن أم عبد » [عن الخلاصة للخزرجى ص ١٨١ ، الإصابة لابن حجر ج ٢ ص ٣٦٨ — ٣٧٠ ، صحيح البخارى ج ٥ ص ٣٥] .

لقد علم أصحاب النبي ﷺ أنى من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم . قال شقيق : فجلست في الحلق أسمع مايقولون ، فما سمعت راداً يقول غير ذلك» ووقع في رواية مسلم عن عبدالله قال « ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة. ثم قال : على قراءة من تأمروني أن أقرأ ؟ فلقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة . . . » الحديث.

وروى ابن أبي داود في فصل بعنوان [كراهية عبد الله بن مسعود ذلك] كثيراً من الآثار — ومنها هذا الأثر الذي خرجه الترمذي والنسائي والحاكم وأبو عوانة : « قال عبد الله : يا أهل الكوفة — أو يا أهل العراق — اكتموا المصاحف التي عندكم وغلوها ، فإن الله يقول: ﴿ ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ﴾ فالقوا الله بالمصاحف . قال الزهري : — فبلغني أن ذلك كره من مقالة ابن مسعود رجال أفاضل من أصحاب النبي ﷺ »(١) .

ومراد ابن مسعود « من غل المصاحف إخفاؤها لئلا تخرج فتحرق » ، وكان قد رأى خلاف ما رأى عثمان ومن وافقه ، في الاقتصار على لغة واحدة ، أو كان يريد أن تكون قراءته هي التي يعول عليها ؛ لما له من مزية هي التي ذكرها ، فلما فاته ذلك اختار استمرار القراءة على ما كانت عليه .

وقد شق على ابن على مسعود صرفه عن كتابة المصحف، والعذر لعثمان أنه كتبه وعبد الله في الكوفة ، ولم يؤخر ماعزم عليه إلى أن يرسل إليه ويحضر ، وأيضاً فإن عثمان أراد نسخ الصحف البكرية ويجعلها في

(١) البخاري (٦ — ٢٢٩) مسلم (١٦ — ١٦) المصاحف (١٤) فتح الباري (١٠ — ٤٢٣ ، ٤٢٤) تفسير القرطبي (١ — ٥٣) .

مصحف ، وقد تولى زيد ذلك فى عهد أبى بكر وكان كاتب الوحى للنبى ﷺ ، فكانت له فى ذلك أولية ليست لغيره(١) .

وأما عدم إنكار أحد منهم ماقال فهو صادق على من شاهدهم شقيق بالكوفة ، وهذا لاينفى أن غيرهم كره ذلك ، كما جاء فى رواية الزهرى ولعله دفع مصحفه بعد ذلك ليحرق حينما بلغه كراهة أصحاب النبى ﷺ لذلك .

وقال النووى « إن الصحابة لم ينكروا قول ابن مسعود أنه أعلمهم ، والمراد أنه أعلمهم بكتاب الله — كما صرح به — فلايلزم منه أن يكون أعلم من أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم بالسنة ، ولايلزم من ذلك أيضاً أن يكون أفضل منهم عند الله تعالى ، فقد يكون واحد أعلم من آخر بباب من العلم أو بنوع ، والآخر أعلم من حيث الجمله .. »(٢) .

ويدل على فضيلة زيد بن ثابت فى هذا الباب، قول أبى عبد الرحمن السلمى — وكان يقرأ على عثمان ، فلما شغل بالخلافة دله على زيد بن ثابت — « فأقمت على زيد ثلاث عشرة سنة أقرأ عليه فيها القرآن ، فعرفت بذلك فضيلة زيد فى ضبط القرآن ، وإقرار أمير المؤمنين عثمان بن عفان له بذلك »(٣) .

« وقد روى أن عبد الله رجع إلى قول عثمان وإلى رأى الجماعة ، وندم على ماقال ، واستحي منه . فروى أبو وائل هذه القصة ، ثم قال عقيبه : إن عبد الله استحي مما قال ، فقال : ما أنا بخيرهم ، ثم نزل عن المنبر »(٤) .

---

(١) فتح البارى (١٠ — ٣٩٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤) .
(٢) شرح صحيح مسلم (١٦ — ١٧) .
(٣) مقدمة كتاب المبانى (٢٥) .
(٤) نفس المرجع (٩٥) .

هذا . وقد كذب الألوسى الخبر من أساسه ، فقال : «ومانقل عن ابن مسعود أنه قال لما أحرق مصحفه : لوملكت كما ملكوا لصنعت بمصحفهم كما صنعوا بمصحفي : كذب كسوء معاملة عثمان معه ، التى يزعمها الشيعة ، حين أخذ المصحف منه »[١] إلخ .

وهذه الحادثة التى أشار إليها الألوسى رواها (الطبرسى) الشيعى ، حيث قال : إن ابن مسعود لم يدفع مصحفه ليحرق إلا بعد أن أدبه عثمان وكسر له ضلعين وأنه مات لهذا السبب[٢] . ونسبها إلى كثير من علماء المسلمين ، ومثل بالشهرستانى فى الملل والنحل حاكيا عن (النظّام) .

ونقول : (أ) إن النظام من الخارجين على جمهـــور العلماء عند الشهرستانى وحكم ابن حزم بكفره[٣] .

(ب) ثم إن (الطبرسى) لم يكن أمينا فى النقل عن الشهرستانى ، وهذه خيانة وتدليس وتلبيس منه ، يقول الشهرستانى عند كلامه على طوائف المعتزلة : إن النظام قد انفرد عن أصحابه بمسائل ، وفى المسألة الحادية عشرة يقول « ميله إلى الرفض ووقيعته فى كبار الصحابة ، قال أولا : لا إمامة إلا بالنص والتعيين ظاهرا مكشوفا » إلى أن يقول «ثم وقع فى أمير المؤمنين عثمان ... ضربه عبد الله بن مسعود على إحضار المصحف وعلى القول الذى شاقّه به »[٤] ... إلخ .

---

(١) روح المعانى (١ — ٢٣) .

(٢) انظر فصل الخطاب للطبرسى (١١٣ ، ١٣١) .

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال (٣٩٤) .

(٤) الملل والنحل (١ — ٥٩ ، ٦٠) .

والحاصل: أن هذه الروايات لا تطعن فى تواتر القرآن ولا فى تواتر ما جاء فى المصحف العثمانى، لأنه على التسليم بأن ابن مسعود لم يحرق مصحفه، فإنه ليس من شرط التواتر أن يحرق ابن مسعود مصحفه، إذ أن التواتر يتحقق برواية جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب، ولم يقل أحد إن من شرط التواتر ألا يخالف فيه مخالف، على أن ذلك كان أول الأمر ثم رجع إلى رأى الجماعة.

٢ — روى الشيخان والترمذى وأحمد عن علقمة قال: «دخلت الشام فصليت ركعتين، فقلت اللهم يسر لى جليسا. فرأيت شيخاً مقبلا، فلما دنا قلت: أرجو أن يكون استجاب، قال: من أين أنت؟ قلت: من الكوفة، قال: أفلم يكن فيكم صاحب النعلين والوساد والمطهرة؟ أو لم يكن فيكم الذى أجير من الشيطان؟ أو لم يكن فيكم صاحب السر الذى لا يعلمه غيره؟ كيف قرأ ابن أم عبد والليل؟ فقرأت ﴿ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى ﴾ قال: أقرأنيها النبى ﷺ فاه إلى فى، فمازال هؤلاء حتى كادوا يردونى، وعند مسلم «عن علقمة قال قدمنا الشام فأتانا أبو الدرداء» وفيه «قال: وأنا والله هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها»(١).

وروى البخارى والنسائى وأحمد والبزار وغيرهم عن زر بن حبيش قال «سألت أبى بن كعب قلت: يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا» فقال أبى: سألت رسول الله ﷺ فقال لى: قيل لى، فقلت: قال، فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ» وفى رواية أخرى «سألت أبى ابن كعب عن المعوذتين».. الحديث — وفى زوائد عبد الله عن عبد الرحمن

(١) البخارى (٥ — ٣٥) ومسلم (٦ — ١٠٩، ١١٠) والفتح الربانى (١٨ — ٤٥، ٤٦).

ابن يزيد قال : « كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه ، ويقول : إنهما ليستا من كتاب الله تبارك وتعالى » .

قال الهيثمي : رجال عبد الله رجال الصحيح . ثم خرجه عن الطبراني وقال : رجال الطبراني ثقات . وعند أحمد أيضا « عن زر بن حبيش قال : قلت لأبي : إن أخاك يحكهما من المصحف ، فلم ينكر ، قيل لسفيان : ابن مسعود ؟ قال نعم ، وليسا في مصحف ابن مسعود ؟ كان يرى رسول الله ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين ، ولم يسمعه يقرؤهما في شيء من صلاته ، فظن أنهما عوذتان ، فأصر على ظنه ، وتحقق الباقون كونهما من القرآن فأودعوهما إياه »(١)

(١) أما قراءة « والذكر والأنثى » : فهي لم تنقل الاعمن ذكروا هنا وهم كما يؤخذ من مجموع الأحاديث ابن مسعود وعلقمة وأبو الدرداء . ولعل هذا مما نسخت تلاوته ولم يبلغهم النسخ . والعجب أن حفظة الكوفة ينقلون هذه القراءة عن علقمة وابن مسعود وإليهما تنتهي قراءتهم ، ثم لم يقرأ بها أحد منهم ، وكذا أهل الشام حملوا القراءة عن أبي الدرداء ولم يقرأ بها أحد منهم ، وهذا مما يؤيد أن القراءة قد نسخت(٢) . ولعل ابن مسعود لم يبلغه النسخ ؛ فلذا أصر على ماتلقاه أولا من رسول الله ﷺ .

على أن حمزة وعاصما والكسائي يروون عن عبد الله ماعليه جماعة المسلمين « والبناء على سندين يوافقان الإجماع أولى من الأخذ بواحد يخالفه الإجماع والأمة ، وما يبنى على رواية واحد إذا حاذاه رواية جماعة

---

(١) صحيح البخاري (٦-٢٢٣) الفتح الرباني (١٨-٣٥١) مجمع الزوائد (٧-١٤٩) .

(٢) فتح الباري (٨-٥٧٥) .

تخالفه أخذ برواية الجماعة ، وأبطل نقل الواحد ؛ لما يجوز عليه من النسيان والإغفال ، إلخ[١] .

(ب) وكلام القرطبي هذا يصدق على حديث المعوذتين أيضا . خاصة أن الحديث صحيح ، خلافا لما قال الفخر الرازي في تفسيره ، وابن حزم في المحلى ، والنووي في شرح المهذب ، من أن النقل عن ابن مسعود باطل وهو موضوع عليه[٢] — فإن الرواية في الصحيح .

وأفاد ابن حجر والقسطلاني : أن المعوذتين تواترتا في عصر ابن مسعود ولكنهما لم تتواترا عنده ، « ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة » ، « وفي الإجماع على كونهما من القرآن غنية عن تكلف الأسانيد بأخبار الآحاد »[٣]

هذا هو الجواب الذي يطمئن إليه القلب ، وأن ابن مسعود كان ينكر قرآنيتهما عندما لم يبلغه تواترهما ، ولما بلغه هذا رجع عن رأيه ، وخاصة بعد إجماع الصحابة ، وبعيد أن يجمع الصحابة وفيهم الخلفاء الراشدون على أمر وابن مسعود لا ينضم إليهم ، وقد ثبتت قراءة عاصم وحمزة والكسائي عنه رضي الله عنه ، وفيها المعوذتان .

ويمكن أن نضيف أيضا : أن ابن مسعود لم يكتب المعوذتين في مصحفه وكان يحكهما منه ؛ اتكالا على شهرتهما وعدم الخوف عليهما من النسيان ، وكان يظن أن القرآن يكتب منه ما يخاف عليه من النسيان — قال

---

(١) عن الجامع لأحكام القرآن (٢٠ — ٨١)
(٢) انظر مفاتيح الغيب (١ — ٢١٢) والبرهان (٢ — ١٢٨)
(٣) فتح الباري (١٠ — ٣٧٥) والفتح الرباني (١٨ — ٣٥١)

المازرى : « اعتقد أنه لا يلزمه كتب كل القرآن ، وكتب ماسواهما ؛ لشهرتهما عنده وعند الناس »(١) .

٣ — ثم نقول :

إن فى كتب التفسير قراءات تنسب إلى ابن مسعود ، وذلك مثل « ووصى ربك » بدل « وقضى ربك » . . . « فوسوس لهما الشيطان » بدل « فأزلهما الشيطان » من سورة البقرة ونحوهما .

ونرد على هذه القراءات وماماثلها جملة : بأن ماصح نقله عن الآحاد لايقرأ به ، لأنه لم يؤخذ بإجماع ، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد ؛ ولأنه لما نقل مخالفا للإجماع صار غير مقطوع بصحته ، والعلماء على أن هذه القراءات لم يثبت نقلها ، فهى منسوخة بالعرضة الأخيرة ، أو بإجماع الصحابة على المصحف العثمانى ، أو أنها لم تنقل على أنها قرآن(٢)

« وأما من يقول : إن بعض الصحابة كابن مسعود كان يجيز القراءة بالمعنى ، فقد كذب عليه ، إنما قال : نظرت فى القراءات فوجدتهم متقاربين ، فاقرأوا كما علمتم ، نعم كانوا يدخلون التفسير فى القراءة إيضاحا وبيانا ؛ لأنهم محققون لما تلقوه عن النبى ﷺ قرآنا ، فهم آمنون من الالتباس ، وربما كان بعضهم يكتبه معه ولكن ابن مسعود رضى الله عنه كان يكره ذلك ويمنع منه »(٣) . « وعن أبى الزعراء قال : قال عبد الله : جردوا القرآن ولا تلبسوا به شيئا »(٤)

---

(١) شرح النووى على مسلم (٦ — ١٠٩)
(٢) النشر فى القراءات العشر (١ — ١٤)
(٣) نفس المرجع (١ — ٣٢)
(٤) المصاحف (١٣٩)

ونقول فى آية البقرة ماقاله فيها أبو حيان: « وهذه القراءة مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه، فينبغى أن يجعل تفسيرا، وكذا ماورد عنه وعن غيره مما خالف سواد المصحف. وأكثر قراءات عبد الله إنما تنسب للشيعة. وقد قال بعض علمائنا: إنه صح عندنا بالتواتر قراءة عبد الله على غير ماينقل عنه مما وافق السواد، فتلك إنما هى آحاد، وذلك على تقدير صحتها، فلا تعارض ماثبت بالتواتر »(١)

وفى آية الإسراء يقول: « وينبغى أن يحمل ذلك على التفسير ؛ لأنها قراءة مخالفة لسواد المصحف، والمتواتر هو « وقضى » وهو المستفيض عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم فى أسانيد السبعة »(٢)

ثم إننا لانقطع أنها نقلت عنه نقلا صحيحا، يقول الامام مالك: « القراءة التى تنسب إلى ابن مسعود » ولم يقل « قراءة ابن مسعود »، والشيء قد ينسب إلى الإنسان وهو غير صحيح عنه.

ولذلك قال إسماعيل القاضى « ماروى من قراءة ابن مسعود وغيره - يعنى مما يخالف خط المصحف - ليس ينبغى لأحد أن يقرأ به اليوم ؛ لأن الناس لايعلمون علم اليقين أنها قراءة ابن مسعود، وإنما هو شيء يرويه بعض من يحمل الحديث، ولا يجوز أن يعدل عن اليقين إلى مالا يعلم يقينه »(٣)

٤ — وبعـــد:

فهاكم الكوفيين، هل نجد عندهم شيئاً مما نسب إلى ابن مسعود رضى الله عنه؟ إن ابن مسعود توافق قراءته قراءة العامة. وإليكم بيان سند قراءته:

---

(١) البحر المحيط (١ — ١٦١)
(٢) نفس المرجع (٦ - ٢٥)
(٣) الإبانة عن معانى القراءات (٥٧)

(أ) أخذ ابن مسعود رضى الله عنه القراءة عن الرسول ﷺ ـ وعن ابن مسعود أخذ جمع غفير، إلى أن وصلت قراءته إلى حمزة الزيات(١).

(ب) وقد أخذ ابن مسعود عن النبى ﷺ ـ وعن ابن مسعود أخذ جمع غفير إلى أن وصلت قراءته إلى عاصم(٢).

(ج) وقد أخذ ابن مسعود عن النبى ﷺ. وعن ابن مسعود أخذ جمع غفير إلى أن وصلت قراءته إلى الكسائى(٣).

هذا وبالله التوفيق ؟

---

(١) النشر (١ — ١٦٥) التيسير (٩)
(٢) النشر (١ — ١٥٥) والتيسير (٩)
(٣) النشر (١ — ١٧٢) والتيسير (١٠)

مصحف أبي بن كعب رضي الله عنه(١)

ذكر السيوطي أن مصحف أبي فيه الحمد أولا ثم البقرة ثم آل عمران ثم الأنعام ثم الأعراف ثم المائدة ثم يونس .. وهكذا على خلاف فى الترتيب مع مصحف عثمان ، ويثبت سورة الزمر وفى أولها (حم) ، ويجعلها بين الإمراءوطه ، وأثبت أيضا سورتى الخلع والحفد بين العصر والهمزة ، وجعل سورة قريش مستقلة عن الفيل ، فجموع السور عنده مائة وست عشرة سورة ، ويذكر السيوطي نقلا عن السخاوى عن جعفر الصادق وأبى نهيك : أنهما خمس عشرة سورة بعد المائة ، فإن الفيل وقريشا عنده سورة واحدة .

قال : وهو الصواب(٢) .

---

(١) أبي بن كعب الأنصاري الخزرجي : كاتب الوحي لرسول الله ﷺ روى الشيخان وغيرهما عن أنس عنه قال : « قال رسول الله ﷺ لأبى بن كعب : إن الله أمرنى أن أقرأ عليك « لم يكن الذين كفروا » قال : وسمانى ؟ قال نعم ، قال فبكى » وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . وعن بن سيرين أن عثمان جمع اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار فيهم أبى بن كعب وزيد بن ثابت فى جمع القرآن . وكان يختم القرآن فى ثمان . وقال لعمر : مالك لا تستعملنى ؟ قال : أكره أن يدنس دينك . له أربعة وستون ومائة حديث ، المتفق عليه منها ثلاثة ، وانفرد البخاري بأربعة ، ومسلم بسبعة . وروى عنه خلق من الصحابة والتابعين . توفى سنة عشرين أو بعدها على خلاف كبير . (مسلم بشرح النووى ١٦ — ٢٠ ، البخاري ٥ — ٤٥ ، الطبقات الكبرى ٣ — ٥٩ : ٦٢ ، خلاصة الخزرجي ٢١)

(٢) الإتقان (١ — ٦٤ ، ٦٥)

وروى عنه أنه كان يقرأ حروفا ليست موجودة فى المصحف العثمانى، من ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أبى بن كعب قال: «إن رسول الله ﷺ قال: إن الله تبارك وتعالى أمرنى أن أقرأ عليك القرآن، قال فقرأ «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب» قال: فقرأ فيها: ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانيا، فأعطيه لسأل ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب، وإن ذلك الدين القيم عند الله الحنيفية غير المشركة، ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يفعل خيرا فلن يكفره» وفى رواية الحاكم — وصححها وأقرها الذهبى(١) — «لو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه يسأل ثانيا، ولو سأل ثانيا فأعطيه يسأل ثالثا».

ومن زوائد عبد الله، ورواه الحاكم وصححه وأقره الذهبى، وكذا عند النسائى: عن زر بن حبيش عن أبى «قال: قال لى أبى بن كعب: كأين تقرأ سورة الأحزاب — أو كأين تعدها؟ قال: قلت ثلاثا وسبعين آية، فقال: قط، لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عليم حكيم». وعزاه ابن كثير للإمام أحمد وحسن إسناده.

وكذلك يروى عنه أنه قرأ «إن الساعة آتية أكاد أخفيها من نفسى فكيف أظهركم عليها» بزيادة: «من نفسى فكيف أظهركم عليها»(٢).

وأقـــول:

١ — بجانب اختلاف الترتيب المذكور فى المصحف المنسوب إليه رضى الله عنه، فإن عددها مضطرب اضطرابا عظيما، خصوصا لو قارنا بين

---

(١) الفتح الربانى (١٨ — ٦٠)

(٢) الفتح الربانى (١٨ — ٥٨، ٦٠) وتفسير ابن كثير (٣ — ٤٦٥) والبحر المحيط (٦ — ٢٣٣) ومختصر فى شواذ القراءات (٨٧)

كلام صاحب الإتقان وصاحب الفهرست ؛ فلقد ذكر صاحب الفهرست أنها ست عشرة ومائة سورة ، ولكنها فى العد لم تتجاوز اثنتين ومائة مع تكرار بعض السور وإسقاط البعض الآخر ؛ فلقد عد (حم تنزيل) وهى تصدق على غافر وفصلت والجاثية والأحقاف ، وقد عين الأولى والثانية والرابعة فلزم صرفها إلى الجاثية . وأيضا فقد ذكر من السور « عبس وهى أهل الكتاب لم يكن أول ما كان الذين كفروا ، ولا ندرى أيقصد سورة أو سورتين ، وحتى هذا لا يمكن لتحريف العبارة . وأيضاً عده « لا أقسم » وهى تصدق على القيامة والبلد ، ولم يعين واحدة منهما . وأيضا عده « النبى » وهى يمكن أن تطلق على الطلاق والتحريم ، فهما سورتان لا واحدة . وأيضا فقد عد سورة « عبس » مرتين(١) .

أما فى الإتقان : فإن عدد السور فيه مائة وعشر ، وقد سقط منه سور « إبراهيم والفرقان والصافات وفصلت والإنسان والبروج » . ونلاحظ أن السور الساقطة هنا مذكورة فى الفهرست ، كما أن الساقط فى الفهرست مذكور فى الإتقان . فقد تعارضت الروايتان فتساقطتا ، خاصة إذا علمنا أن هذين الكتابين هما اللذان يمكن الاعتماد عليهما فى عد سور مصحف أبى .

٢ — وأما سورة الخلع والحفد عنده : فما هما إلا دعاء القنوت عند الحنفية والمالكية ، على اختلاف يسير فى الألفاظ عندهما ، ولم تقم حجة على أنهما قرآن منزل ، ولو كانا كذلك لنقل إلينا بطريق التواتر وحصل العلم بصحته ، ولا يصح القول بأنه كان قرآناً ثم نسخ وأبيح الدعاء به ؛ لأنه لم ينقل هكذا ؛ إذ المنقول أنه أثبته فى مصحفه ، وقد كان رضى الله عنه يكتب فى مصحفه الأدعية والتفسير .

---

(١) الفهرست (٤٠، ٤١)

وأما ما أخرجه البيهقي من طريق سفيان الثوري «أن عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع، فقال بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك ....» الخ، وماذكره المنارى فى كتابه (الناسخ والمنسوخ): «ومما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظه: سورتا القنوت فى الوتر وتسمى سورتى الخلع والحفد»(١): فإن الحديث لم يخرج فى أحد الكتب التى التزم أصحابها بالصحة. ثم إن قوله «قنت»، «بعد الركوع»، «القنوت فى الوتر» دليل لنا، وأما ذكر البسملة فلأنها مطلوبة فى كل أمر ذى بال، سواء كان قرآنا أم غيره، على أن هذه الجمل ليس فيها شيء من جمال القرآن البيانى الذى يأخذ بالقلوب ويسحر الأفئدة، يعرف ذلك أصحاب الذوق والمعرفة، فوق هذا فإن اختلاف صوره باختلاف الروايات يدل على تصرف الرواة فيه وأنه مروى بالمعنى، ويمكن أن يكون قد كتبه فى مصحفه على أنه قنوت ليحفظه فظن بعض الرواة أنه من المصحف فأدرجه فيه، أو يكون قد اشتبه أمره على أبى ثم رجع عنه لما رأى الحق مع جماعة الصحابة.

وكيف نظن بأبى مخالفتهم وقد كان له قدم فى الجمع البكرى والعثمانى، فقد أشركه أبو بكر فى الجمع الأول «فكان رجال يكتبون ويملى عليهم أبى بن كعب»(٢).

وكذلك جمع عثمان اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار، لكتابة المصحف وفيهم أبى بن كعب(٣).

---

(١) الإتقان (١ — ٦٥)، (٢ — ٢٦).

(٢) من زوائد عبد الله (الفتح الربانى ١٨ — ٣٢) والمصاحف (٩، ٣٠).

(٣) المصاحف (٢٥) والطبقات الكبرى (٣ — ٦٠).

والحاصل أن أبيا قد اشترك فى جمع القرآن فى المرتين ، وهذا دليل على أنه لم يخالف المصحف العثمانى ، فهو ممن أجمعوا عليه ، وإن صح أنه كان له مصحف فقد أحرق مع المصاحف .

وهذا الرد يتوجه لكل ما روى عن مصحفه ، ثم يفصل رد لكل نص بخصوصه :

٣ — فمما روى عنه أن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة ، وكان فيها آية الرجم ، وهذا الأثر وإن حسنه ابن كثير لكنه قال فيه «وهو يقتضى أنه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه »(١) ، إذن فهذا مما نسخ فى العرضة الأخيرة التى يوافقها مصحف عثمان المجمع عليه ، وقد كان بعض الصحابة قرأوا أشياء من القرآن فنسخت تلاوتها وبقى حكمها وقد لا يبقى .

والنبى ﷺ لم يترك إلا ما بين الدفتين(٢) ، روى البخارى عن أبى جحيفة قال : « قلت لعلى : هل عندكم كتاب ؟ قال لا ، إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما فى هذه الصحيفة قال : قلت فما فى هذه الصحيفة ؟ » قال العقل وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر»(٣) .

وروى أيضاً أن شداد بن معقل سأل ابن عباس « أترك النبى ﷺ من شىء ؟ قال : ما ترك إلا ما بين الدفتين »(٤) الخ .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣—٤٦٥)
(٢) انظر فتح البارى (١٠—٤٤١ ، ٤٤٢)
(٣) صحيح البخارى (١—٣٨)
(٤) صحيح البخارى (٦—٢٣٤)

٤ — وأما ما روى عنه من قراءة آيات بعينها مما يخالف المصحف العثمانى ، نحو « أكاد أخفيها — من نفسى فكيف أظهركم عليها » فقد قيل فى معناها « أكاد أخفيها من نفسى ، ولا دليل فى الكلام على هـذا المحذوف ، ومحذوف لا دليل عليه مطرح ، والذى غرهم منه أن فى مصحف أبى : « أكاد أخفيها من نفسى »(١) . إذن فهى تفسير ، وإن رواها الزمخشرى على صيغة التضعيف .

ويذكر عبد الله بن أبى داود — وهو الذى أكثر من ذكر قراءات الصحابة فى الآيات — يذكر قراءة أبى فى بعض الآيات ثم يقول « لا نرى أن نقرأ القرآن إلا لمصحف عثمان الذى اجتمع عليه أصحاب النبى ﷺ ، فإن قرأ إنسان بخلافه فى الصلاة أمرته بالإعادة »(٢) .

ولا يشكل على هذا ما رواه البخارى عن عمر قال « أبى أقرؤنا ، وإنا لندع من لحن أبى ، وأبى يقول أخذته من فى رسول الله فلا أتركه لشىء ؛ قال الله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخـير منها أو مثلها) . . . فإنه يحمل فى طياته تاريخه ، فقد كان ذلك فى الجمع البكرى ، وقد عبر فيه أبى عن رأيه فيما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبى لا يرجع عما حفظه من القرآن ، الذى تلقاه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولو أخبره غيره أن تلاوته نسخت ، والصحابة عرفوا ذلك ولم يعلم به أبى ، وقد استدل عليه عمر بالآية الدالة على النسخ ، وهى من أوضح الاستدلال فى ذلك(٣) .

---

(١) الكشاف (٢—٢١)
(٢) المصاحف (٥٣ ، ٥٤)
(٣) فتح البارى (١٠—٤٣٠) بتصرف .

والحاصل: أن أبيا رجـــع عن رأيه إلى ما عليه إجماع الصحابة، ولا يجوز أن يضاف إليه أو إلى أحد الصحابة تغيير حرف من كتاب الله، أو قراءته على خلاف الرسم الموجود فى مصحف الجماعة بأخبار الآحاد، ولا يصح أن يضاف إلى أدنى المؤمنين فضلا عن أبى.

٥ — وبعد:

فقد كان هذا ما يتعلق ببحث المروى فى ذاته، أما البحث فى الإسناد فإن قراءته المرفوعة إلى رسول الله ﷺ، وصلتنا من ثمانية طرق من العشرة وهاهى بالتفصيل:

١ — فلقد أخذ أبى عن النبى ﷺ وعنه أخذ جمع غفير إلى نافع(١).

٢ — وابن كثير(٢).

٣ — وأبى عمرو(٣).

٤ — وعاصم(٤).

٥ — وحمزة الزيات(٥).

٦ — والكسائى(٦).

---

(١) النشر (١—١١٢، ١٧٨) والتيسير (٨)
(٢) النشر (١—١٢٠) والتيسير (٨)
(٣) النشر (١—١٣٣) والتيسير (٨)
(٤) النشر (١—١٥٥) والتيسير (٩)
(٥) النشر (١—١٦٥)
(٦) النشر (١—١٧٢)

٧ — وكذلك رويت قراءته فى العشرة ، عند أبى جعفر(١) —

٨ — وأيضا عند خلف عن الكسائى بطريقه(٢) .

من هذا العرض رأينا أن أبى بن كعب كأخيه عبد الله بن مسعود : رويت قراءتهما فى المتواتر ، الذى عليه سواد الناس ، ولم يشذ واحد منهما ، كما يدعى المستشرقون ومن جاراهم . والله أعلم .

---

(١) النشر (١ — ١٧٨)

(٢) النشر (١ — ١٩١)

مصحف على بن أبى طالب رضى الله عنه(١)

سوف نتناول الحديث عن المصحف المنسوب إلى الإمام على من ناحيتين :

١ — بعض القراءات فى آيات بعينها رويت عنه .

٢ — دعوى الشيعة أن المصحف الموجود اليوم محرف ، وأن المصحف الصحيح محجوب يتوارثه أئمتهم وسيظهرونه يوما ما .

---

(١) على بن أبى طالب : ابن عم رسول الله ﷺ ، أول من أسلم بعد خديجة ، وكانت سنه آنذاك تسع سنين ، يكنى أباتراب . وأمه فاطمة أول هاشمية ولدت هاشميا . ختن رسول الله ﷺ على بنته . أبو الحسن والحسين . شهد المشاهد إلا تبوك ، فقد خلفه رسول الله ﷺ على أهله . فقال يارسول الله تخلفنى فى النساء والصبيان ؟ فقال « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى » رواه مسلم ، ورواية البخارى بدون « غير أنه لا نبى بعدى » . وقال ﷺ يوم خيبر « لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، قال فتطاولنا لها . فقال ادعوا لى عليا ، فأتى به أرمد ، فبصق فى عينه ، ودفع الراية إليه ، ففتح الله عليه ، ولما نزلت هذه الآية « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم » دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ، فقال « اللهم هؤلاء أهلى » رواه الشيخان واللفظ لمسلم . استشهد ليلة الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت أو بقيت من رمضان سنة أربعين ، وهو حينئذ أفضل من على وجه الأرض . له عند الستة ست وثمانون وخمسمائة حديث . اتفق البخارى ومسلم على عشرين . وانفرد البخارى بتسعة . ومسلم بخمسة عشر . [الطبقات الكبرى (٣—١٣ : ١٥) ، صحيح البخارى (٥—٢٤) ، وشرح النووى على صحيح مسلم (١٥ — ١٧٥ ، ١٧٦) ، الخلاصة (١٣٢)] .

١ — أما عن الناحية الأولى :

فقد نقلت آيات تقرأ على أنها من قراءة على رضى الله عنه ، وهى لا تخرج عن كونها تفسيرية ، وقد توافق الرسم أحيانا ، وذلك مثل قراءته فى (ننجى الذين اتقوا) : قال أبو حيان « وقرأ على ننحى - بحاء مهملة - مضارع نحى »(١) وهذه لم ترد فى العشر(٢) . فلا نعتبرها متواترة مع أن الرسم يحتملها ؛ إذ المدار على التلقى والسماع .

ومن القراءات التى تعتبر من قبيل التفسير : ما حكاه أبو حيان بصيغة التمريض ، من أن أبيا وابن عباس وعبد الله وعليا قرأوا « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة »(٣) .

وقد رويت عنه رضى الله عنه فى قول الله تعالى (أفلم ييئس) قراءة مسندة إلى الرسول ﷺ مع كون الرسم يحتملها ؛ إذ قرأ « أفلم يتبين » — ومع هذا فلم يقرأ بها لأن المدار على الأخذ والسماع والتلقى ؛ إذن فنعتبرها قراءة تفسيرية . قال الزمخشرى « ومعنى أفلم ييئس : أفلم يعلم . . . ويدل عليه أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين ، قرأوا أفلم يتبين ، وهو تفسير أفلم ييئس »(٤) .

والخلاصة : أن كل رواية آحادية تفيد إثبات شىء على أنه قرآن ، أو تفيد إنكار شىء من القرآن الذى ثبت بالتواتر : لا تقبل ؛ لأن الآحادى لا يعارض القطعى . وكل شبهة يتمسك بها الطاعنون ترد من هذا الطريق .

---

(١) البحر المحيط (٦ — ٢١٠) .

(٢) انظر النشر (٢ — ٢٥٨ ، ٢٥٩) .

(٣) البحر المحيط (٦ — ١٥٤)   (٤) الكشاف (١ — ٦٥٥)

ولو سلمنا أن لعلى مصحفا ، فإنه لن يخرج عن الصحف البكرية، وعن مصحف عثمان : روى عبد خير عن على قال « أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر ، فإنه أول من جمع بين اللوحين » وعنه أيضاً قال « سمعت عليا يقول : أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر ، رحمة الله على أبى بكر ، هو أول من جمع بين اللوحين » . وقال الإمام على فيما رواه عنه سويد بن غفلة ،حين حرق عثمان المصاحف «لو لم يصنعه هو لصنعته» وقال سويد « والله لا أحدثكم إلا شيئاً سمعته من على بن أبى طالب رضى الله عنه ، سمعته يقول : يا أيها الناس لا تغلوا فى عثمان ولا تقولوا له إلا خيرا — أو قولوا له خيرا — فى المصاحف وإحراق المصاحف ، فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملإ منا جميعاً » .. الخ(١) » .

والحاصل من هذه الآثار : أن الإمام عليا كان مع الجماعة ، وكان من الذين أجمعوا على مصحف عثمان ، ولا يليق به إلا هذا .

٢ — وأما عن الناحية الثانية :

فقد زعمت الشيعة أن أبا بكر وعمر وعثمان حرفوا القرآن وأسقطوا كثيراً من آياته وبعض سوره — روى الكلينى منهم عن هشام عن سالم عن أبى عبد الله(٢) أن القرآن الذى جاء به جبريل إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية .

وروى محمد بن نصر عنه أنه قال : كان فى ﴿ لم يكن ﴾ اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم .

(١) هذه الآثار الأربعة من المصاحف ص (٥، ١٢، ٢٢، ٢٣)

(٢) هو جعفر الصادق رضى الله عنه . والكلينى فى روايته عندهم كالبخارى عندنا .

وذكر ابن شهراشب المازداني في كتابه (المثالب) أن سورة «الولاية» أسقطت بتمامها ، وكذا أكثر سورة الأحزاب ؛ فإنها كانت مثل سورة الأنعام ، فأسقطوا منها فضائل أهل البيت[1] .

ويقولون أيضاً «كان لأمير المؤمنين عليه السلام ، قرآن مخصوص جمعه بنفسه ، بعد وفاة النبي ﷺ ، وعرضه على القوم فأعرضوا عنه فحجبه عن أعينهم ، وكان عند ولده عليهم السلام ، يتوارثه إمام عن إمام ، كسائر خصائص الإمامة وخزائن النبوة ، وهو عند الحجة — عجل الله فرجه — يظهره للناس بعد ظهوره ويأمرهم بقراءته ، وهو مخالف لهذا القرآن الموجود ، من حيث : التأليف وترتيب السور والآيات بل والكلمات ، ومن جهة الزيادة والنقيصة »[2] ... إلخ .

ومع هذا فإن الشيعة يقولون : إن القرآن المثبت في المصحف الإمام لم يزد فيه ، لكن انتقص منه ما كان في مصحف أمير المؤمنين علي ، والغلاة منهم يزعمون أن الصحابة حذفوه ليسلبوا حق علي في الخلافة ، أما المعتدلون منهم فيعتبرونه من باب التفسير[3] .

ومن كلام جولدتسيهر أنهم وجدوا في مكتبة (بانكيبور) بالهند نسخة من القرآن تشتمل على سورة ﴿ النورين ﴾ وسورة ﴿ الولاية ﴾ وتشتمل على تفسيرات مذهبية في بقية السور المشتركة . ثم يحكي أن طلحة ابن عبيد الله سأل عليا عن القرآن الذي جمعه بعد وفاة النبي ﷺ « فأجابه

---

(١) مختصر التحفة الاثنى عشرية (٥٢ ، ٥٣) وتفسير الألوسي (١ — ٢٣ ، ٢٤) .

(٢) فصل الخطاب (٩٧ ، ٩٨) .

(٣) انظر مجمع البيان (١ — ١٨ ، ١٩) .

على بأن النبى ﷺ أملى عليه حقا جميع القرآن ، بكل ما اشتمل عليه من أحكام وأنباء ، ولكنه لأسباب يرى ألا يبوح بها ، لا يريد أن يعلن مصحفه على الناس ، وليس مصحف عثمان فى حقيقة الأمر هو كل القرآن، ولكن ما اشتمل عليه قرآن ، فإذا تمسكتم به نجوتم من النار وبلغتم الجنة ، وكل ما فيه من نص فهو صحيح ، وإنما الخطأ هو ما حمله الخصوم من تفسير . هذا هو موقف الشيعة على وجه العموم من القرآن ، فينبغى أن يقنع المرء بالنص العثمانى الذى لم يبرأ من الشوائب ، ويتجه إلى التفسير الصحيح لذلك النص أى الصحيح عند الشيعة »(١) .

ونقول :

تلك قل من كثر من أباطيلهم ، التى تلقفها أعداء الإسلام ، وأخذوا ينشرونها على الناس ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

«والقوم من أكذب الناس فى النقليات ، وأجهل الناس فى العقليات، ولهذا كانوا عند العلماء أجهل الطوائف ، وقد أدخل منهم على الدين من الفساد مالا يحصيه إلا رب العباد ، والنصيرية والإسماعيلية والباطنية من بابهم دخلوا ، والكفار والمرتدة بطريقهم وصلوا »(٢) .

« والرافضة فى الأصل ليسوا أهل خبرة بطريق المناظرة ومعرفة الأدلة، وما يدخل فيها من المنع والمعارضة : كما أنهم جهلة بالمنقولات، وإنما عمدتهم على تواريخ منقطعة الإسناد ، وكثير منها من وضع المعروفين بالكذب ، فيعتمدون على نقل أبى مخنف لوط بن يحيى وهشام الكلبى »(٣) .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامى (٣٠٠، ٣٠١)
(٢) المنتقى (١٩)
(٣) نفس المرجع (٢٠ ، ٢١)

وعن أبي مخنف قال الذهبي «أخباري تالف لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره، وقال الدارقطني: ضعيف، وقال ابن عدي: شيعي محترق صاحب أخبارهم، وقال ابن معين: ليس بثقة. وقال مرة: ليس بشيء» مات سنة ١٧٠ هـ(١).

وقال عن الثاني الإمام أحمد: «كان صاحب سمر ونسب، ما ظننت أن أحداً يحدث عنه، وقال عنه ابن عساكر: رافضي ليس بثقة. وقال الدارقطني وغيره: متروك، مات سنة ٢٠٤ هـ(٢).

وروى التستري أن أبا زرعة قال «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، لأن رسول الله ﷺ عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن: أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا لإبطال الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»(٣).

«ومن مكايدهم أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة، فمن وجدوه موافقاً لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم، فيعتبر بقوله ويعتد بروايته. كالسدي فإنهما رجلان أحدهما السدي الكبير، والثاني السدي الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة، والصغير من الوضاعين الكذابين، وهو رافضي غال»(٤) إلخ.

---

(١) ميزان الاعتدال (٤ — ٣٦٠)
(٢) نفس المرجع (٣ — ٢٥٦)
(٣) مقدمة المنتقى (١٠)
(٤) مختصر التحفة الاثني عشرية (٣٢)

والخبر عندهم : أعلاه (الصحيح) وهو ما اتصل رواته بالمعصوم بواسطة عدل إمامي وهم لا يعتبرون العدالة فى إطلاق الصحيح وإن ذكروها فى تعريفه ، لأنهم يقولون رواية مجهول الحال صحيحة ، وحكموا بصحة حديث من دعا عليه الإمام بقوله : أخزاه الله وقاتله الله . وصحة روايات المجسمة والمشبهة ومن جوز البداء عليه تعالى ، مع أن هذه كلها مكفرة ، ورواية الكافر غير مقبولة فضلا عن صحتها، هذا هو حال الصحيح، فما بالك ببقية الأقسام عندهم ، من الحسن والموثق والضعيف(١) ؟

وأما عن وجود القرآن عندهم كاملا ، فنقول لهم : إن كان ما عندكم كافياً فى الشرع فلا حاجة إلى المنتظر ، وإن لم يكن كافياً فقد اعترفتم بالنقص وسلب السعادة عنكم ، لأنها متوقفة على أوامر من آمر لا تعلمون بماذا أمر ، فأصل دينكم مبنى على مجهول بل على معدوم، فلا فائدة فيه أصلا لا بعقل ولا بنقل(٢) .

إن دعوى جمع الإمام على القرآن وأنه بأيدى الإمام المختفى، لا أساس لها من الصحة وهى دعوى مغرضة لا تصدر عن مسلم . روى البخاري عن ابن سيرين عن عبيدة عن على رضى الله عنه قال «اقضوا كما كنتم تقضون، فإنى أكره الاختلاف حتى يكون للناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابى. فكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يروى على علىّ الكذب »(٣) .

ثم إن عليا تولى والقرآن يتلى فى الرقعة الإسلامية على اتساعها ، ولو كان شيء مما ادعاه هؤلاء لبادر إلى تصحيحه ، وخاصة أنه صاحب السلطان،

---

(١) مختصر التحفة الاثنى عشرية (٤٧:٤٩) بتصرف
(٢) عن المنتقى (٢٥)
(٣) صحيح البخارى (٥ — ٢٤)

ولكن هؤلاء لم تواتهم الفرصة لبث فتنتهم إلا فى عهد الدولة العباسية ، عندما انصرف الناس إلى زخرف الحياة الدنيا ، وألف أصحاب الأغراض الكتب التى تطعن كتاب الله تعالى . من هؤلاء :

أبو الفضل بن الحسن الطبرسى توفى سنة ٥٤٨ﻫ عن تسعين عاماً تقريباً . وأبو جعفر الطوسى توفى سنة ٤٦٠ﻫ وله من العمر خمس وسبعون . ومن تلاميذ الطبرسى ابن شهراشوب ، والراوندى وشاذان القمى وغيرهم .

ولكن الله الذى حفظ كتابه قيض له من يذب كيد هؤلاء وغيرهم عنه، عز وجل قائله .

ولقد ترجم البخارى بباب (من قال: لم يترك النبى ﷺ إلا ما بين الدفتين) للرد على من زعم أن كثيراً من القرآن ذهب بذهاب حملته. وأورد فيه حديثاً «عن عبد العزيز بن رفيع قال: دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال له شداد بن معقل: أترك النبى ﷺ من شىء؟ قال: ماترك إلا ما بين الدفتين . قال : ودخلنا على محمد بن الحنفية ، فسألناه فقال : ما ترك إلا ما بين الدفتين »(١) .

قال ابن حجر : «وهو شىء اختلقه الروافض لتصحيح دعواهم أن التنصيص على إمامة على واستحقاقه الخلافة عند موت النبى ﷺ كان ثابتاً فى القرآن وأن الصحابة كتموه ، وهى دعوى باطلة ، لأنهم لم يكتموا مثل «أنت عندى بمنزلة هارون من موسى»(٢) وغيرها من الظواهر التى قد يتمسك بها من يدعى إمامته ، كما لم يكتموا ما يعارض ذلك أو يخصص عمومه أو يقيد مطلقه .. وقد تلطف المصنف فى الاستدلال على الرافضة ، بما أخرجه

---

(١) صحيح البخارى (٦ — ٢٣٤)

(٢) رواه البخارى (٥ — ٢٤) ومسلم (١٥ — ١٧٦)

عن أحد أئمتهم الذين يدعون إمامته، وهو محمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب، فلو كان هناك شيء ما يتعلق بأبيه لكان هو أحق الناس بالاطلاع عليه، وكذلك ابن عباس فإنه ابن عم علي وأشد الناس له لزاماً واطلاعاً على حاله .. ووقع عند الإسماعيلي: لم يدع إلا ما في هذا المصحف؛ أي لم يدع من القرآن ما يتلى، إلا ما هو داخل المصحف الموجود »(١) .

ولقد كان أبو عبد الرحمن السلمي إذا ختم عليه الخاتم القرآن أجلسه بين يديه، ووضع يده على رأسه ثم قال «يا هذا اتق الله، فما أعرف أحداً خيراً منك، إن عملت بالذي علمت»(٢) وفي هذا الأثر دليل على أن القرآن الذي بين أيدينا كامل تام ليس فيه نقص ولا زيادة ولا تقديم ولا تأخير ولا تبديل؛ لأن أبا عبد الرحمن ممن تخرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأخذ القراءة عنه، فإذا أخبر بأن آخر القرآن هو الذي ليس بعده شيء، كان هذا هو مذهب شيخه علي بن أبي طالب .

مع أن القرآن الذي حصله عنه أبو عبد الرحمن، هو الذي كان يؤم به الناس في صلواته، فيجدونه موافقاً لجمع عثمان، ولو كان فيه زيادة أو نقص أو غيرهما، لوافقوا علياً عليها وأثبتوها في المصحف على قوله، لعلو درجته وارتفاع مرتبته، إذن فمن أخبر بأن القرآن فقد منه شيء فقد أخبر بمحال لا نقبله .

---

(١) فتح الباري (١٠ — ٤٤١) .

(٢) مقدمتان في علوم القرآن (٦٠) .

٣ — ذكر شهادة بعض علمائهم بصحة القرآن وتواتره :

لقد تفطن (الطبرسى) إلى وهن دعواهم، وحكاها على أنها قول لبعض أصحابه، ولكنه مع ذلك يدس السم فى العسل، حيث نسبها إلى قوم من حشوية العامة — ويعنى بهم أهل السنة — قال «فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه، وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة، أن فى القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذى نصره المرتضى — قدس الله روحه — واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء فى (جواب المسائل الطرابلسيات) وذكر فى مواضع أن العلم بصحه نقل القرآن، كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت والدواعى توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه.. وذكر أيضاً — رضى الله عنه — أن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك الزمان، حتى عين على جماعة من الصحابة فى حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبى ﷺ، وأن جماعة من الصحابة مثل: عبدالله ابن مسعود وأبى بن كعب وغيرهما، ختموا القرآن على النبى ﷺ عدة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث[1]، وذكر أن من خالف فى ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد

---

(١) يشير إلى قول بعض الشيعة الذين يقولون : إن فى القرآن آيات حولت عن مواضعها، كقول القمى فى تفسيره : إن قول الله تعالى «ياموسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون» هو تمام قوله «أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير —

بخلافهم ، فإن الخلاف فى ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث ، نقلوا أخباراً ضعيفة ، ظنوا صحتها . لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع بصحته »(١) .

ثم نراه يعترف بأن مصحف الإمام على وقراءته موافقة لبعض السبعة، يقول «فأما عاصم فإنه قرأ على أبى عبد الرحمن السلمى وهو قرأ على على بن أبى طالب عليه السلام .. وأما حمزة فقرأ على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام .. وقرأ حمزة على حمران بن أعين أيضاً وهو قرأ على أبى الأسود الدؤلى وهو قرأ على على بن أبى طالب .. » و «اعلم أن عدد أهل الكوفة أصح الأعداد وأعلاها إسناداً ، لأنه مأخوذ عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام»(٢) .

ويحكى الكاشانى عن ابن بابويه القمى أنه قال « اعتقادنا أن القرآن الذى أنزله الله على نبيه ﷺ هو ما بين الدفتين ، وما فى أيدى الناس ليس بأكثر من ذلك . قال : ومن نسب إلينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب »(٣) .

٤ — وختام الكلام على مصحف الإمام على كرم الله وجهه نقول : إن كلام الشيعة لا يرتكز على أساس سليم ، ونقطع بعدم صحة أسانيده التى حملت إلينا هذا القول فى القرآن الكريم . ثم نقول : إن قراءة أربعة

= اهبطوا مصراً فإن لكم ماسألتم» فنصف الآية فى المائدة متمم لنصف فى البقرة . [الصافى فى تفسير القرآن المجيد والفرقان الحميد] ص (٣٣)

(١) مجمع البيان (١ — ١٨،١٩)

(٢) نفس المصدر ص (١١) ، (٩)

(٣) الصافى فى تفسير القرآن (٣٦)

من الأعلام السبعة تنتهى إلى الإمام على ، وفيهما ينتظم سلسلة الرواة بعض أئمة البيت الطيبين الطاهرين ، ونحن لا نعتقد فى آل بيت النبى ﷺ خلاف هذا .

فلقد لقن الرسول ﷺ الإمام عليا . وعنه رضى الله عنه أخذ : جمع غفير .

١ — بطريق : أبى عمرو بن العلاء(١) .

٢ — وبطريق : عاصم بن أبى النجود الأسدى(٢) .

٣ — وبطريق : حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفى الزيات(٣) .

٤ — وبطريق : الكسائى(٤) .

---

(١) النشر (١ — ١٣٣، ١٣٤)

(٢) النشر (١ — ١٥٥) التيسير (٦)

(٣) النشر (١، ١٦٥)

(٤) النشر (١ — ١٧٢)

الشبهة الثالثة

من دعاوى الشيعة الباطلة التى شنع بها المستشرقون على القرآن، أن القرآن قد سقط منه بعض سورة القيامة — يقول جولد تسيهر « وفى العهد المبكر للانشقاق الشيعي حصل فعلا الاستدلال على الطعن فى القرآن الرسمى، بالإشارة إلى تفكك السياق من جهة المعنى فى الآيات المتفرقة المتتالية بعضها مع بعض، بما يمكن أن يكون سببه حذف الآيات الرابطة للسياق، ثم يمثل بالآيتين (١٦، ١٧) من سورة القيامة، ويقول « تنسب هذه الدعوى إلى قدماء الشيعة ..) الخ(١)

ونقول: إن قول الله ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾ بين ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ﴾ و ﴿ كلا بل تحبون العاجلة .. ﴾. فى غاية الدقة والإحكام، والمناسبة بين الايات لا تخفى على أولى الفكر والنظر. بيان ذلك:

١ — أنه تعالى نقل عن الكفار أنهم يحبون سعادة العاجلة، فقال ﴿ بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ﴾ ثم بين أن التعجيل مذموم مطلقاً حتى فى أمور الدين، فقال ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ ثم قال ﴿ كلا بل تحبون العاجلة ﴾.

٢ — أنه تعالى حكى عن الكافر أنه يقول ﴿ أين المفر ﴾ ثم قال ﴿ كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ فكأن الكافر يفر من الله إلى

(١) مذاهب التفسير الإسلامى (٢٩٥).

غيره ، وأما رسول الله ﷺ فهو كالمضادله ، فيفر من غير الله إلى الله ، فكأنه قال : فاترك التكرار خوف التلفت ، واستعن بالله فى كل أمورك وهو كفيل بأن يجعلك حافظا ، وذلك قوله ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه ﴾(١).

٣ — وأن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة ، أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية فى الدنيا ، التى تنشأ عنها المحاسبة عملا وتركا ، كما قال سبحانه فى الإسراء ﴿ فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ﴾ إلى أن قال ﴿ ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ﴾ .. الآية . وكما قال فى طه ﴿ يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ﴾ إلى أن قال ﴿ فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴾(٢) .

٤ — وأحسن هذه الأوجه فى الربط ما ورد من أن ذلك إنما اتفق للرسول ﷺ حال نزول هذه الآيات عليه ، فنهى عن ذلك الاستعجال فى وقته ، فهو من باب ما لو تشاغل التلميذ عن شيخه ، فيقول له فى الأثناء انتبه ولا تلتفت عنى واسمع ماأقول ، ثم يصل حديثه ، فمن عرف السبب علم أن الكلام الثانى ليس خارجا عن الأول ، وإنما يحمل فى طيه التشويق فيحكم أن الكلام حسن الترتيب ، ومن لم يعرف قال إن الكلام غير متناسق (٣).

---

(١) مفاتيح الغيب (٨ — ٢٦٤،٢٦٥).

(٢) انظر الإتقان (٢ — ١١١) وفتح البارى (١٠ — ٣٠٦)

(٣) البرهان (١ — ٤٨) .

وهذا المثال وقع مثله عند أهل الحديث :

ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن يحي بن أبى كثير قال « سمعت أبى يقول : لا يستطاع العلم براحة الجسم » قال النووى « وحكى القاضى عياض رحمه الله تعالى عن بعض الأئمة أنه قال : سببه أن مسلماً رحمه الله تعالى أعجبه حسن سياق هذه الطرق التى ذكرها لحديث عبد الله بن عمرو — أى فى أوقات الصلوات — وكثرة فوائدها وتلخيص مقاصدها وما اشتملت عليه من الفوائد فى الأحكام وغيرها ، ولا نعلم أحداً شاركه فيها ، فلما رأى ذلك أراد أن ينبه من رغب فى تحصيل الرتبة ، التى ينال بها معرفه مثل هذا ، فقال : طريقه أن يكثر اشتغاله وإتعابه جسمه فى الاعتناء بتحصيل العلم . هذا شرح ما حكاه القاضى» اه(١)

ومثله ما رواه ابن ماجه بسنده قال « حدثنا إسماعيل بن محمد الطلحى ثنا ثابت بن موسى أبو زيد عن شريك عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه فى النهار »(٢)

قال الحافظ السيوطى فى شرح عبارة النووى (وربما وقع فى شبه الوضع بغير قصد) قال : « وربما وقع — الراوى — فى شبه الوضع — غلطا منه — بغير قصد — فليس بموضوع حقيقة ، بل هو بقسم المدرج أولى ؛ كما ذكره شيخ الإسلام فى شرح النخبة ، قال : بأن يسوق الإسناد فيعرض له عارض فيقول كلاما من عند نفسه ، فيظن بعض من سمعه أن ذلك متن ذلك الإسناد ، فيرويه عنه كذلك».

---

(١) شرح النووى على مسلم : أوقات الصلوات الخمس (٥ — ١١٣، ١١٤)

(٢) سنن ابن ماجه (١ — ٤٢٢)

وبعد أن ذكر حديث ابن ماجه السابق قال: «قال الحاكم: دخل ثابت على شريك وهو يملي ويقول: حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ، وسكت ليكتب المستملي، فلما نظر إلى ثابت قال: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» وقصد بذلك ثابتا لزهده وورعه، فظن ثابت أنه متن ذلك الإسناد فكان يحدث به وقال ابن حبان: إنما هو قول شريك، فإنه قاله عقب حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ...» فأدرجه ثابت في الخبر، ثم سرقه منه جماعة من الضعفاء، وحدثوا به عن شريك، كعبد الحميد ابن بحر وعبد الله بن شبرمة وإسحاق بن بشر الكاهلي وجماعة آخرين»(١)

وهذا مجرد تنظير لما يطرأ أثناء الوحي أو التحديث، فإن الآية وحي من الله تعالى، أما الحديث فهو يحتمل الرفع والوقف.

ونقول: إن هذا الوجه هو الأحسن في ربط الآيات، لأنه يوافق الوارد:-

فقد روى الشيخان وغيرهما - واللفظ للبخاري - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه، فيشتد عليه، وكان يعرف منه، فأنزل الله الآية التي في ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾ قال علينا أن نجمعه في صدرك وقرآنه ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ علينا أن نبينه بلسانك. قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله»(٢).

---

(١) تدريب الراوي (١٨٨)

(٢) صحيح البخاري (٦-٢٠٣) تفسير سورة القيامة.

الفصل السادس

مبهمات القرآن

صنف فى هذا العلم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى وتصنيفه يسمى (بالتعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام) ومنه نسخ خطية فى دار الكتب المصرية .

وألف فيه أيضا ابن عساكر فى كتابه المسمى (بالتكميل والإتمام) ومن كتابه نسختان خطيتان بدار الكتب .

وصنف فيه أيضا الحافظ السيوطى .

المبهم فى اللغة : هو الأمر الذى لم يدر الإنسان ما هو ، يقال استبهم الأمر أى استعجم واستغلق ، ولم يكن له وجه يعرف به ، أو اشتبه فلا يعرف وجهه(١) .

المبهم فى القرآن : هو الأمر الذى أخفاه القرآن ولم يتعرض لتعيينه لسبب من الأسباب .

الطريق التى يعرف بها علم المبهمات : إعلم أن علم المبهمات مرجعه النقل المحض ولا مجال للرأى فيه فان تحديد الأسماء والأمكنة والأزمنة المبهمة فى القرآن الكريم لا يتم إعتباطا أو برأى شخص بل إن ذلك لا يعرف إلا عن طريق الصحابة والتابعين ومن روى عنهم باعتبارهم ناقلين عن

---

(١) لسان العرب لابن منظور .

صاحب الشريعة سيدنا محمد ﷺ وبدون ذلك لا يتم الوصول إلى تحديد قاطع فى هذا الموضوع .

أسباب الإبهام فى القرآن الكريم :

للإبهام فى القرآن الكريم أسباب نحاول إجمالها فيما يلى :

الأول : أن يكون أبهم فى موضع استغناء ببيانه فى آخر سياق الآية .

أمثـــلة :

١ — قوله تعالى فى سورة الفاتحة : (مالك يوم الدين) .

بينه بقوله فى سورة الإنفطار : (وما أدراك ما يوم الدين . ثم أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) .

٢ — قوله تعالى فى سورة الفاتحة : (الذين أنعمت عليهم) .

بينه بقوله تعالى فى سورة النساء بقوله : (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) .

٣ — قوله تعالى فى سورة البقرة (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة) هنا المراد آدم عليه السلام وظهر لنا ذلك من خلال السياق فى الآية .

٤ — قوله تعالى فى سورة التوبة (يا أيها الذين آمنـــوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) المراد مهم هنا المهاجرون ، لقوله تعالى فى سورة الحشر :

(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) .

هذا وقد احتج بها سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه على الأنصار يوم السقيفة فقال : نحن الصادقون ، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا — إنما استحقها دونهم لأنه الصديق الأكبر .

٥ — وقوله تعالى: فى سورة المؤمنون (وجعلنا إبن مريم وأمه آية) يعنى مريم وعيسى عليهما السلام ، وقال (آية) ولم يقل آيتين وهما آيتان لأنها قضية واحدة ، وهى ولادتها له من غير ذكر .

ثانيـا : أن يتعين لاشتهاره :

أمثـــلة :

١ — كقول الله تعالى فى سورة البقرة (أسكن أنت وزوجك الجنة) ولم يقل حواء لأنه ليس غيرها معه فى ذلك الوقت .

٢ — قول الله تعالى فى سورة البقرة (ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه) النمرود لأنه المرسل إليه .

٢ — قول الله تعالى فى سورة يوسف (وقال الذى اشتراه من مصر) والمراد العزيز .

٤ — قول الله تعالى فى سورة المائدة (واتل عليهم نبأ أبنى آدم بالحق) المراد قابيل وهابيل .

٥ — قول الله تعالى فى سورة الأنعام : (يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين) .

قالوا : وحيثما جاء فى القرآن : (أساطير الأولين) فقائلها النضر بن الحارث بن كلدة ، وإنما كان يقولها لأنه دخل بلاد فارس ، وتعلم الأخبار

ثم جاء ، وكان يقول : أنا أحدثكم أحسن مما يحدثكم محمد ، وإنما يحدثكم أساطير الأولين ، وفيه نزل قول الله تعالى فى سورة الأنعام :

(ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) ، وقتله النبى ﷺ صبرا يوم بدر .

٦ — قوله تعالى : (لمسجد أسس على التقوى) فى سورة التوبة ، فان الراجح كونه مسجد قباء بقوله تعالى (من أول يوم) لأنه أسس قبل مسجد المدينة ، وحدس هذا بأن اليوم قد يراد به المدة والوقت ؟ وكلاهما أسس على هذا من أول يوم ، أى من أول عام من الهجرة ، وجاء فى حديث تفسيره بمسجد المدينـــة ، ويجمع بينهما بأن كليهما مراد الآية ، والحديث نقله ابن كثير عن أحمد: حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التيمى عن عمران بن أبى أنس عن سهل بن سعد الساعدى قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله ﷺ فى المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد رسول الله ﷺ ، وقال الآخر : هو مسجد قباء ، فأتيا النبى ﷺ فسألاه فقال : (هو مسجدى هذا) ورواه أيضا عن أحمد من طريق آخر .

ثالثا : قصد الستر عليه ، ليكون أبلغ فى استعطافه ، ولهذا كان النبى ﷺ إذا بلغه عن قوم شىء خطب فقال : (ما بال رجال قالوا كذا) وهو غالب ما فى القرآن .

أمثـــلة :

١ — كقوله تعالى فى سورة البقرة .

(أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) ، قيل : هو مالك بن الصيف وذلك عن رواية لابن اسحاق : قال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد الله إليهم

فيه : والله ما عهد إلينا فى محمد عهد ، وما أخذ له علينا من ميثاق فأنزل الله فيه : (أوكلما عاهدوا عهداً ..)(١) .

٢ — قوله تعالى فى سورة البقرة : (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى) والمراد هو رافع بن حريملة ووهب بن زيد بناء على رواية ابن هشام (وقال بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله ﷺ : يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء تقرؤه ، وفجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما (أم تريدون أن تسألوا ...)(٢) .

٣ — قوله تعالى من سورة البقرة (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا) قيل نزلت فى الأخنس بن شريق ، وكان رجلا حلو القول والمنظر ، جاء إلى النبى ﷺ فأظهر الإسلام وقال : الله يعلم أنى صادق ، ثم هرب بعد ذلك ، فمر بزرع لقوم من المسلمين وبحمر ، فأحرق الزرع وعقد الحمر ، وقيل : نزلت فى قوم من المنافقين تكلموا فى الذين فى غزوة الرجيع : عاصم بن ثابت ، وخبيب وغيرهم ، وقالوا : ويح هؤلاء القوم لا هم قعدوا فى بيوتهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم ، فنزلت هذه الآية فى صفات المنافقين(٣) .

٤ — قوله تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) من سورة النساء نزلت كما يذكر بن هشام فى رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء اليهود ، كان إذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه وقال : أرعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ، ثم طعن فى الإسلام وعابه(٤) .

---

(١) أنظار سيرة ابن هشام وتفسير القرطبى ،
(٢) تفسير ابن كثير .
(٣) تفسير القرطبى .
(٤) سيرة ابن هشام .

١٥ ـ قوله تعالى فى سورة آل عمران (وقالت طائفة من أهل الكتاب) .

نزلت فى كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وغيرهما ، قالوا للسفلة من قومهم (آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار)(١) .

رابعاً : ألا يكون فى تعيينه كثير فائدة .

أمثلة : ١ ـ كقوله تعالى فى سورة البقرة (أو كالذى مر على قرية) والمراد بها بيت المقدس .

٢ ـ وكقوله تعالى فى سورة الأعراف (واسألهم عن القرية) والمراد أيلة وقيل : طبرية .

٣ ـ وكقوله تعالى فى سورة يونس (فلولا كانت قرية) والمراد نينوى .

٤ ـ وقوله تعالى فى سورة الكهف (أتيا أهل قرية) قيل برقة .

خامساً : التنبيه على العموم لبيان أن هذه الآية ليست خاصة بخلاف ما لو عين .

أمثـــلة :

١ ـ كقول الله تعالى فى سورة النساء (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما) .

قال عكرمة : أقمت أربع عشرة سنة أسأل عنه حتى عرفته ، هو ضمرة

---

(١) تفسير القرطبى .

بن العيص ، وكان من المستضعفين بمكة ، وكان مريضا ، فلما نزلت آية الهجرة خرج منها فمات بالتنعيم .

٢ — قوله تعالى من سورة البقرة : (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) قيل نزلت فى علي كرم الله وجهه لبيان كثرة تصدقه ولكنها فى نفس الوقت تنطبق أيضا على من يفعلون ذلك .

سادساً : تعظيمه بالوصف الكامل دون الإسم :

أمثلة :

قول الله تعالى (ولا يأتل أولوا الفضل منكم) نزلت فى الصديق حين حلف ألا ينفع مسطح بن أثاثه بنافعة أبدا بعد ما قال فى عائشة ما قال فى حديث الإفك(١) .

وكذلك(والذى جاء بالصدق) فى سورة الزمر يعنى محمدا (وصدق به) يعنى أبا بكر ودخل فى الآية كل مصدق ، ولذلك قال : (أولئك هم المتقون) .

سابعاً : تحقير بالوصف الناقص .

أمثله :

١ — قول الله تعالى : فى سورة النساء (إن الذين كفروا بآياتنا) ، وقوله تعالى فى سورة الكوثر (إن شانئك هو الأبتر) والمراد فيها العاص بن وائل .

٢ — وقوله تعالى فى سورة الحجرات (إن جاءكم فاسق) والمراد الوليد ابن عقبه بن أبى معيط .

(١) تفسير ابن كثير

٣ — وأما قوله فى سورة اللهب (تبت يدا أبى لهب) فذكره هناك للتنبيه على أن مآله للنار ذات اللهب(١).

الصورة العامة لعلم مبهمات القرآن :

قال الزركشى فى البرهان : لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه كقوله تعالى فى سورة الأنفال (وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) والعجب ممن تجرأ وقال إنهم قريظة أو من الجن .

والمرجع كما قلنا من قبل فى تعيين المبهم هو النقل الصحيح حيث لا مجال للرأى فيه ، قال السيوطى : إعلم أن علم المبهمات مرجعه النقل المحض ، لا مجال للرأى فيه .

وقد قيدت النقل بالصحة لأن كثيرا مما عين من هذه المبهمات هو من قبيل التكلف الذى يبعث عليه فضول العلم أحيانا ، وبعضه مأخوذ من الإسرائيليات التى لا يعتمد عليها ، وأكثره لم يصح فيه خبر ، والأولى فى مثل هذا أن تحمل النصوص على العموميات التى لا يراد بها شخص معين إذ أن تعيينه لا يتعلق به كبير فائدة ، والمقصود من الكلام يتحقق بدونه .

أما إذا صحت الأخبار بتعيين مبهم فلا بأس بذلك ، ولا يمنع ذلك عموم النص القرآنى أيضا ، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما قال المحققون من العلماء .

---

(١) بتصرف من البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

ولا يخفى أن بعض المبهمات لا يتعلق بها عموم ولا خصوص فتعينها لا يقصر النص ولا يفوت فائدة، بل قد يفيد زيادة فهم له، (١) ومن هذا المنطلق أذكر بعض المبهمات، وأبين المراد منها، متحريا أصوب ما قيل فيها .

أولا : نماذج من مبهمات الأشخاص :

١ — قول الله تعالى (ربنا وابعث فيهم رسولا)(٢) المراد به سيدنا محمد ﷺ .

٢ — قول الله تعالى (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله)(٣) هو صهيب الرومى، هاجر إلى النبى ﷺ فاتبعه نفر من قريش يمنعونه من الهجرة، فاشترى نفسه منهم بماله فقدم المدينة فقال له النبى ﷺ (ربح البيع أبا يحى، ربح أبا يحى) ونزلت الآية .

٣ — قول الله تعالى من سورة البقرة (إذ قالوا لنبى لهم إبعث لنا ملكا) النبى هو شمويل ومعناه سمع الله دعائى، وقيل شمعون بمعنى واحد والملك هو طالوت كما عينته الآيات بعد ذلك .

٤ — قول الله تعالى فى سورة البقرة (أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها) هو عزير على أشهر الأقوال .

٥ — قول الله تعالى فى سورة آل عمران (ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان) هو سيدنا محمد ﷺ .

---

(١) جواهر البيان فى علوم القرآن للدكتور محمد محمد إبراهيم العسال

(٢) سورة البقرة آية : ١٢٩

(٣) سورة البقرة آية : ٢٠٧

٦ — قول الله تعالى من سورة النساء (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا) هو عامر الأشجعى مر على نفر من المسلمين وهو يسوق غنما فسلم عليهم، ولم يعلموا باسلامه، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا فعمدوا إليه فقتلوه وأتوا بغنمه إلى النبي ﷺ فقال لهم: قتلتم مسلما ؟ فنزلت الآية.

٧ — قول الله تعالى من سورة المائدة: (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما) هما يوشع بن نون وكالب، على الأشهر.

٨ — قول الله تعالى من سورة التوبة: (ومنهم من يقول إئذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) هو الجد بن قيس لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال له: (يا جد بن قيس ما تقول فى مجالدة بنى الأصفر؟ فقال: يارسول الله إنى امرؤ صاحب نساء ومتى أرى نساء بنى الأصفر أفتتن، فائذن لى ولا تفتنى) فأنزل الله فيه الآية لأنه كان كاذبا فى عذره منافقا.

٩ — قول الله تعالى من سورة التوبة (ومنهم من يلمزك فى الصدقات) هو ذو الخويصرة اعترض على النبي ﷺ حين قسم الغنائم فقال للنبي ﷺ إعدل فانك لم تعدل. فقال النبي ﷺ: (لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، ثم قال إنه يخرج من ضئضىء هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فانهم شر قتلى تحت أديم السماء)، والخبر فى الصحيحين[1].

١٠ — قول الله تعالى من سورة التوبة (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هم هلال بن أمية وزرارة بن الربيع وكعب بن مالك.

---

(١) تفسير ابن كثير

١١ — قول الله تعالى من سورة هود (وامرأته أنه قائمة) هى السيدة سارة .

١٢ — قول الله تعالى من سورة يوسف (قال : ائتونى بأخ لكم من أبيكم) المراد به بنيامين .

١٣ — قول الله تعالى من سورة الكهف (قال موسى لفتاه) هو يوشع بن نون .

١٤ — قول الله تعالى من سورة الكهف (فوجدا عبدا من عبادنا) هو الخضر عليه السلام .

١٥ — قول الله تعالى من سورة مريم (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) هو العاص بن وائل ، ذهب خباب بن الأرت إليه ليتقاضى منه دينا له عليه ، فقال العاص : لا والله حتى تكفر بمحمد فقلت : لا والله لا أكفر حتى تموت ثم تبعث ، فقال: إن بعثت كان لى مال وولد فاعطيك دينك) فنزلت .

١٦ — قول الله تعالى من سورة الحج (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) نزلت فى حمزه وعبيدة بن الحارث ، وعلى بن أبى طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبه أخرجه الشيخان .

١٧ — قول الله تعالى من سورة النور (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) هم حسان بن ثابت ، ومسطح بن أثاثة ، وحمنة بنت جحش ، وعبد الله بن أبى بن سلول .

١٨ — قول الله تعالى من سورة الفرقان (ويوم يعض الظالم على يديه) هو عقبة بن أبى معيط .

١٩ — قول الله تعالى من سورة القصص (وقالت امرأة فرعون) هى آسيه بنت مزاحم .

٢٠ — قول الله تعالى من سورة الأحزاب (وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) هو زيد بن حارثة .

٢١ — قول الله تعالى من سورة يس (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال : من يحى العظام وهى رميم) هو العاص بن وائل ، وقيل أبى بن خلف جاء بعظم ففتته بيده وذراه فى الهواء . وقال : يامحمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ فقال رسول الله ﷺ (نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم) ثم نزلت الآية .

٢٢ — قول الله تعالى من سورة الزخرف (وقالوا لولا نزل هـذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يقصدون بهما الوليد بن المغيرة بمكة ومسعود بن عمرو الثقفى ، وقيل عروة بن مسعود من الطائف .

٢٣ — قول الله تعالى من سورة الأحقاف (وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله) الشاهد هو عبد الله بن سلام .

٢٤ — قول الله تعالى فى سورة ق (واستمع يوم ينادى المنادى) هو إسرافيل .

٢٥ — قول الله تعالى من سورة الذاريات (وبشروه بغلام عليم) هو سيدنا إسحاق عليه السلام ، أما قوله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) من سورة الصافات فالمراد بالغلام هنا إسماعيل .

٢٦ — قول الله تعالى من سورة النجم (علمه شديد القوى) هو سيدنا جبريل عليه السلام .

٢٧ — قول الله تعالى فى سورة المجادلة (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله) هى خولة بنت ثعلبة ، وزوجها هو : أوس بن الصامت ذهبت إلى الرسول ﷺ تشتكى زوجها وهى تقول : يارسول أبلى شبابى ، ونثرت له بطنى ، حتى إذا كبرت وانقطع ولدى ظاهر منى ؟ اللهم إنى أشكو إليك ، فما برحت مكانها حتى نزل جبريل بهذه الآيات .

٢٨ — قول الله تعالى من سورة القلم (ولا تطع كل حلاف مهين) هو الأخنس بن شريق .

٢٩ — قول الله تعالى من سورة المعارج (سأل سائل بعذاب واقع) هو النضر بن الحارث حيث قد قال (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) .

٣٠ — قول الله تعالى من سورة الجن (وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا) السفيه هو إبليس .

٣١ — قول الله تعالى من سورة المدثر (ذرنى ومن خلقت وحيدا) هو الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى ﷺ فقرأ النبى عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أباجهل فأتاه فقال : ياعم ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه ، قال : لقد علمت قريش أنى من أكثرها مالا ، قال : فقل فى القرآن قولا يبلغ قومك أنك منكر له ، وأنك كاره له ، قال : وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ، ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا فو الله إن لقوله لحلاوة . وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مشرق أسفله ، وإنه ليعلو وما يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال دعنى حتى أفكر ، فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر فنزلت الآيات .

٣٢ — قول الله تعالى من سورة الشمس (فقال لهم رسول الله) هو نبي الله صالح عليه السلام .

٣٣ — قول الله تعالى من سورة الليل (وسيجنبها الأتقى) هو الصديق رضى الله عنه أعتق سبعة رقاب من الرقيق كلهم كان يعذب فى الله ، فقال له أبوه أبو قحافه : أراك تعتق رقابا ضعافا ، فلو أنك أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك ، فقال أبو بكر : إنى أريد بذلك ما عند الله عز وجل ، فنزلت فيه الآيات .

٣٤ — قول الله تعالى من سوره العلق (أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى) الذى ينهى هو أبو جهل ، والعبد هو النبى ﷺ ، وكان النبى ﷺ يصلى فجاء أبو جهل فنهاه عن ذلك ، فزجره النبى ﷺ ، فقال أبو جهل ، إنك لتعلم ياحمد أنه ما بمكة ناد أكثر منى نزلت الآيات فى ذلك(١) .

ثانيا : نماذج من مبهمات الجموع :

١ — قول الله تعالى من سورة البقرة (يسألونك ماذا ينفقون) سمى منهم عمرو بن الجموح سأل النبى ﷺ: ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها ؟ فنزلت .

٢ — قول الله تعالى من سورة البقرة (يسألونك عن الخمر) سمى منهم عمر ومعاذ وغيرهما .

---

(١) المراجع لهذا الموضوع الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى — البرهان فى علوم القرآن للزركشى لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى — أسباب النزول للواحدى — تفسير ابن كثير — تفسير الطبرى

٣ — قول الله تعالى من سورة آل عمران (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) سمى منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وطلحة وابن عوف وأبو عبيدة ابن الجراح وغيرهم.

٤ — قول الله تعالى من سورة آل عمران (لقد سمع الله قول الذين قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء) سمى منهم فنحاص اليهودى، وحيى بن أخطب وكعب بن الأشرف، كانوا فى بيت المدارس قد اجتمعوا على فنحاص فدخل عليهم أبو بكر فقالوا له: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر إنه إلينا لفقير، ولو كان غنيا عنا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، فغضب أبو بكر وضرب فنحاص على وجهه، فذهب فنحاص فشكاه إلى النبى ﷺ فقال النبى: يا أبا بكر ما حملك على ما صنعت: فقال: يارسول الله قال قولا عظيما: يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فأنكر فنحاص، فأنزل الله الآية.

٥ — قول الله تعالى من سورة المائدة (يسألونك ماذا أحل لهم) سمى منهم عدى بن حاتم، وزيد بن المهلهل، وعاصم بن عدى، وسعد بن حيثمة وعويمر بن ساعدة.

٦ — قول الله تعالى من سورة الأنعام (ولا تطرد الذين يدعون ربهم سمى منهم صهيب وبلال، وعمار، وخباب، وغيرهم.

٧ — قول الله تعالى من سورة العنكبوت (أحسب الناس أن يتركوا) هم الذين أوذوا فى الإسلام بمكة، منهم عمار بن ياسر، وأبوه ياسر، وأمه سمية، وغيرهم.

٨ — قول الله تعالى من سورة لقمان (ومن الناس من يشترى لهو الحديث).

منهم النضر بن الحارث كان يأتى بقصص الأقدمين ليصرف بها الناس عن القرآن .

٩ — قول الله تعالى فى سورة الحجرات (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) سمى منهم الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعيينه بن حصن الفزارى، وعمرو بن الأهتم جاءوا إلى النبى عليه الصلاة والسلام فنادوه من وراء الحجرات وقالوا : يامحمد أخرج إلينا ، فإن مدحنا زين وإن شتمنا شين ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام: ذاكم هو الله عز وجل فنزلت .

١٠ — قول الله تعالى من سورة الممتحنة (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين) نزلت فى قتيلة أم أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه ، كان أبو بكر طلقها فى الجاهلية ، فقدمت على بنتها أسماء بهدايا ، فأبت أسماء أن تقبل منها أو تدخلها منزلها حتى سألت النبى ﷺ ، فأمرها أن تدخلها وأن تقبل منها الهدايا ، ثم نزلت الآية .

١١ — قول الله تعالى من سورة الممتحنة (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) سمى منهم أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ، وأميمة بنت بشر ، هاجرن فى الهدنة بعد صلح الحديبية ثم جاء أهلهن يطلبونهن ، فأنزل الله الآية .

١٢ — قول الله تعالى من سورة المنافقون (يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله) ، (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة) هو عبد الله بن أبى بن سلول وأصحابه .

١٣ — قول الله تعالى من سورة البروج (قتل أصحاب الأخدود) هو يوسف ذو نواس الحميرى ملك اليمن وأصحابه ، حفر أخدوداً وأضرمه ناراً على نصارى اليمن فأرسل إليه ملك الحبشة جيشاً بقيادة أخيه أرباط وقائده أبرهة الأشرم فهزماه ، فخاض البحر فغرق .

١٤ — قول الله تعالى من سورة الفلق (النفاثات فى العقد) هن بنات لبيد بن الأعصم .(١)

ثالثا : نماذج من مبهمات الأماكن :

الأماكن التى ذكرت فى القرآن الكريم مبهمة ثلاثة وسبعين مكانا وأول هذه فى سورة البقرة واخرها فى سورة التــين وقد وردت هذه الأمكنة متفرقة فى خمس وخمسين سورة وقد يتعدد ذكر المكان الواحد فى السورة الواحدة ، أو فى سور متعدد .

ولكن يثور بنا تساؤل : ماالفائده من بيان هذه الأماكن رغم أن القرآن أبهمها :

والإجابة أولا :

الأماكن أداة من أدوات الإعتبار فى القصص القرآنى ووسيلة من وسائل التأمل .

فهى إذن تساعد على زياده الاعتبار من القصص القرآنى ومن أجل ذلك أمر الله سبحانه وتعالى بالسير فى الأرض للإطلاع والتعرف على هذه الأماكن .

قال الله تعالى : (قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين)(٢)

---

(١) مراجع المبحث : الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى - أسباب النزول للواحدى كتاب لباب النقول للسيوطى - تفسير ابن كثير - تفسير الطبرى
(٢) سوره الأنعام آية : (١١)

وقال تعالى : (أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور)(١) .

وقال تعالى : (أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها)(٢)

وقال تعالى : (أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون)(٣)

وقال تعالى : (وإنكم لتمرون عليهم مصبحين) ، (وبالليل أفلا تعقلون)(٤)

ثانيا : القرآن الكريم قد نص على البعض من هذه الأماكن بالإسم وذكر الكثير منها مبهما بالإشاره ، ومن هنا بقى المجال مفتوحا أمام الباحثين ليتناولوا هذه الأماكن ببيان مواقعها وتفصيل ما أجمل منها ، ومن عادة القرآن الكريم أن يجمل الشىء ويترك تفصيله لعقول الدارسين ، والباحثين والمتدبرين ، وكما هو الحال فى موقف السنة النبوية من القرآن الكريم فى بيانها لعدد الركعات فى الصلاة ، ونظام الزكاة ، والصوم والحج ؛ ففى ذلك من الفوائد مالا يخفى مع عدم ذكر القرآن له بالتصريح .

---

(١) سورة الحج آية : ٤٦
(٢) سورة الروم آية : ٩
(٣) سورة السجده آية : ٢٦
(٤) سورة الصافات آية : ١٣٧ - ١٣٨

ثالثاً : معرفة الأمم والشعوب مرتبطة بمعرفة أماكن مدنها وقراها وأراضيها .

رابعا : ارتباط ركنين عظيمين من أركان الإسلام بمعرفة الأماكن كالقبلة فى الصلاة والمواقيت فى الحج والعمرة .

خامسا : الإنسان جزء من هذه الأرض ، منها خلق، وفى أماكنها معيشته وحياته ، وفى أماكنها يوارى ، ومن أماكنها يبعث(١)

هذا وسنقتصر فى هذا المبحث عن مبهمات الأماكن بذكر ستة أماكن فقط لأننا لن نذكر النتائج فقط ولكن سنذكر معها كيف وصل العلماء إلى تحديد المكان وهو منهج البحث وعلى الطالب أن يستكمل ذلك فى مستقبل حياته وبالله التوفيق .

الموضع الأول : البحر الذى انفلق لموسى وغرق فيه فرعون :

يقول الله تعالى : (وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون)(٢).

الموضع هنا فى هذه الآية الكريمة هو البحر .

وقد ورد ذكر هذا البحر فى عدة آيات من سور متعددة منها قول الله تبارك وتعالى :(وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا

---

(١) رسالة دكتوراه عن مبهمات الأماكن الوارده فى القرآن الكريم للدكتور محمود مصطفى الشنقيطى .
(٢) سوره البقره : آية ٥٠

وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال : آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين)(١)

وقوله عز وجل : (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى)(٢)

وقوله تعالى : (واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون)(٣)

وقوله تعالى (فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين)(٤)

وقوله تعالى : (وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا : ياموسى إجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال : إنكم قوم تجهلون)(٥)

وقوله تعالى : (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم)(٦)

وقوله تعالى : (فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم)(٧)

---

(١) سورة يونس آية : ٩٠

(٢) سورة طه آية : ٧٧

(٣) سورة الدخان آية : ٢٤

(٤) سورة الأعراف آية : ١٣٦

(٥) سورة الأعراف آية : ١٣٨

(٦) سورة الذاريات آية ٤٠

(٧) سورة طه آية : ٧٨

وقوله تعالى : « فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم)(١)

وقوله تبارك وتعالى : (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)(٢)

وقوله تعالى : (قال فاذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لامساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا)(٣)

وما هو هذا البحر الذى عبر عنه موسى وقومه ، وغرق فيه فرعون وجنوده ؟ وفى أى مكان وقع ذلك ؟

إنه البحر الأحمر ، وكان يسمى بحر القلزم من جهة مصر ، وبحر اليمن من جهة اليمن .

وجاء فى كتاب (صورة الأرض) « لابن حوقل » أنه كان يطلق على هذا البحر أيضا بحر فارس .

وأما المكان الذى عبر منه موسى وغرق فيه فرعون من هذا البحر فهو فى خليج السويس وبالقرب من مدينة السويس الآن إلى الجنوب منها وبالقرب أيضا من قرية القلزم ، وكانت هذه القرية التى ينسب إليها هذا البحر قديماً تقع فى موقع يعتبر الآن ضاحية من ضواحى مدينة السويس

وهناك مكان فى خليج السويس جنوب مدينة السويس على مسافة

---

(١) سورة الشعراء آية : ٦٣
(٢) سورة القصص آية : ٤٠
(٣) سورة طه آية : ٩٧

٢٠ كيلو مترمنها تقريبا يطلق البحارة عليه (عين فرعون) أو بركة فرعون) ، ويقول البحارة : إن المياه فى هذا المكان لها حركة دائرية عنيفة ، وعبور موسى عليه السلام من هذا المكان يحدده واقع المنطقة حيث أن مياه هذا الخليج تنتهى عند الموقع الذى تقع فيه مدينة السويس حاليا قبل شق القناة ، ومن موقع مدينة السويس إلى الشمال فى اتجاه بور سعيد كان برا قبل حفر القناة .

قال ياقوت الحموى : فى (المشترك وضعا والمفترق صقعا) القلزم بضم القاف وسكون اللام وضم الزاى كانت على ساحل بحر اليمن فى أقصاه من جهة مصر ، وإليها ينسب بحر القلزم وبالقرب منها غرق فرعون .

وجاء فى كتاب تقويم البلدان وفى كتاب صورة الأرض لابن حوقل أن فرعون غرق بالقرب من قرية القلزم(١)

الموضع الثانى : قرية الجبارين والأرض المقدسة :

وذلك ماجاء فى الآية : ٥٨ من سورة البقرة .

(وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين) .

الموضع هنا هو القرية ، وعند جمهور المفسرين أن هذه القرية هى بيت المقدس ، وتسمى حاليا (القدس) بضم القاف وسكون الدال .

وقد جاء ذكر هذه القرية والإشارة إليها فى عدة آيات من سور متعددة

---

(١) رسالة دكتوراه عن مبهمات الأماكن الواردة فى القرآن للدكتور محمود مصطفى الشنقيطى .

منها قول الله تبارك وتعالى : (وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم وسنزيد المحسنين)(١)

وقوله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصـــى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)(٢)

وقوله تعالى : (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا)(٣) .

وقوله تعالى : (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخر ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا)(٤)

وقوله تعالى (ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين)(٥)

وقوله تعالى : (سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم)(٦)

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٦١
(٢) سورة الإسراء آية : ١
(٣) سورة الإسراء آية : ٥
(٤) سورة الإسراء آية : ٥
(٥) سورة الأنبياء آية ٧١
(٦) سورة البقرة آية : ١٤٢

وقول الله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وماجعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم)(١)

وقوله تعالى : (ياقوم أدخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين)(٢)

وقوله تعالى : (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون)(٣)

وقوله تعالى : (وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأردن فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا)(٤)

وقيل : إن هذه القرية هى أريحاء المدينة الواقعة فى غور الأردن شرقى القدس .

وقد ضعف هذا القول الإمام ابن كثير فى تفسيره وقال : إن أريحاء ليست على طريق بنى إسرائيل فى خروجهم من التيه فى صحراء سيناء إلى الأرض المقدسة .

وقال أيضا : لأنهم قاصدون بيت المقدس لا أريحاء .

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣ .
(٢) سورة المائدة آية : ٢١
(٣) سورة الأعراف آية : ١٣٧
(٤) سورة الإسراء آية : ١٠٤

وأصحاب كتب البلدان يرجحون القول الثانى ، لأن المشهور عندهم أن أريحاء هى قرية الجبارين ، وأنها هى القرية التى أمر الله بنى إسرائيل يدخولها .

وقيل إنها الرملة ، وقيل أيله ، وقد أورد هذين القولين الأخيرين أبو حيان فى تفسيره البحر المحيط ولكنه قال إنها بيت المقدس فى قول الجمهور .

وأرى أن قول الجمهور فى كون هذه القرية هى بيت المقدس هو الأقرب إلى الصواب ، ويؤيد ذلك ما تشير إليه الآية الكريمة من الأمر بالخشوع وطلب المغفرة من الله عند دخول هذه القرية ، وهذا يتناسب مع قدسية بيت المقدس ، كما يؤيده أيضا أن هناك بابا فى بيت المقدس يقال له باب حطة ، ولعل هذه التسمية مأخوذه مما جاء فى هذه الآية من قوله تعالى (وقولوا حطة)(١) .

قال الله تعالى : وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة تغفر لكم خطايا كم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون)(٢) .

---

(١) رسالة دكتوراه مبهمات الأماكن الوارده فى القرآن الكريم للدكتور محمود مصطفى الشنقيطى

(٢) سورة البقرة الآيات : ٥٨ ـ ٥٩

الموضع الثالث : مجمع البحرين الذي التقى عنده موسى والخضر عليهما السلام .

وقد جاء فى الآية ٦٠ من سورة الكهف :

(وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا) .

والموضع هنا فى هذه الآية الكريمة هو مجمع البحرين الذى التقى عنده موسى مع الخضر عليهما السلام ، وبدءا منه رحلتهما المذكورة فى هذه السورة الكريمة .

والأظهر عندى والله تعالى أعلم أن مجمع البحرين هو ملتقى خليج العقبة مع خليج السويس فى المكان الذى يطلق عليه الآن رأس محمد والدليل على ذلك ما يأتى :

١ — قرب هذا المكان من أرض التيه فى شبه جزيرة سيناء التى عاش فيها بنو إسرائيل أربعين سنة فى عهد موسى عليه السلام .

٢ — القول الذى أورده الإمام القرطبى رحمه الله فى تفسيره لهذه الآية الكريمة وهى أن البحرين هنا بحر الأردن وبحر القلزم ضمن الأقوال المتضاربة حول موقع مجمع البحرين ، والذى يتبادر إلى الذهن أن بحر الأردن هو خليج العقبة وأن بحر القلزم هو خليج السويس ، وهذان البحران أو الخليجان يلتقيان عند المكان الذى رجحنا أنه هو مجمع البحرين .

٣ — أكثر أقوال المفسرين على أن مجمع البحرين هو ملتقى بحر فارس وبحر الروم مما يلى المشرق ، وإذا كان المقصود عندهم بحر فارس هو الخليج الفارسى أو الخليج العربى ، فلم يكن هناك التقاء بينه وبين بحر الروم المعروف الآن بالبحر المتوسط ، وإذا قلنا بأن بحر فارس هو البحر الأحمر كما كان

يعرف بذلك قديما قبل ان يطلق عليه بحر القلزم فليس هناك التقاء بينه وبين البحر المتوسط الذى كان يعرف ببحر الروم .

٤ — قال الشهيد سيد قطب رحمه الله فى تفسيره فى ظلال القرآن عند هذه الآية الكريمة : (والأرجح عندى والله أعلم أن مجمع البحرين بحر الروم وبحر القلزم أى البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ومجمعهما مكان إلتقائهما فى منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح ، أو أنه مجمع خليجى العقبة والسويس فى البحر الأحمر ، فهـــذه المنطقة كانت مسرح تاريخ بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر .

هذا ما قاله المرحوم سيد قطب عن مجمع البحرين .

وأما من قال بأن مجمع البحرين فى جبل طارق بالأندلس أو فى سبته بالمغرب فقد أبعد النجعه ، ومنهم من قال بأن مجمع البحرين هو ملتقى نهر الكر ونهر الرس بأرمينية ويرى أبو الأعلى المودودى فى تفسيره (تفهيم القرآن الكريم) أن مجمع البحرين هو ملتقى (النيلين) النيل الأبيض والنيل الأزرق بقرب الخرطوم فى السودان(١) .

الموضوع الرابع : المكان الشرقى الذى انتبذت إليه مريم ابنة عمران:

وذلك ما جاء فى الآية ١٦ من سورة مريم :

(واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) وهذا المكان الشرقى الذى انتبذت إليه مريم من أهلها هو فى الناحية الشرقية

(١) رسالة دكتوراه مبهمات الأماكن الواردة بالقرآن الكريم للدكتور محمود مصطفى الشنقيطى .

من بيت المقدس، وجمهور المفسرين مثل الطبرى وابن كثير وابن عطية والقرطبي وغيرهم على ذلك.

الموضع الخامس : (الرس) :

وقد جاء فى الآية رقم ٣٨ من سورة الفرقان :

(وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا)

وقد اختلف المفسرون فى تحديد مكان الرس كما اختلفوا فى أصحاب الرس . من هم .

فقيل الرس بآذربيجان .وقيل أنطاكية ، وقيل المراد به أخدود أصحاب الأخدود فى نجران ، وقيل فلج من قرى اليمامة .

وأصحاب الرس : قيل هم أصحاب قصة ياسين أهل أنطاكية ، والرس بئر بأنطاكية قتلوا أنبياءهم فجفت أشجارهم وزروعهم فماتوا جوعا وعطشا وقيل هم أصحاب الأخدود .

وأكثر أصحاب كتب البلدان على أن الرس واد أو نهر أو بلاد بأرمينية بين آذربيجان وبلاد الروم ، وأنه كان على نهر الرس هذا كثيرا من المدن والقرى فبعث الله نبيا من أنبيائه فكذبوه فدعا عليهم - فهلكوا :

قال ابن حوقل :

إذا تأمل الإنسان الماء على جانبى هذا النهر رأى عليه آثار مدن قد قلبت وخسفت(١) .

(١) صورة الأرض لابن حوقل ص ٢٩٦ ط . بيروت . - ومبهمات الأماكن الواردة فى القرآن الكريم للدكتور محمود مصطفى الشنقيطى

وقد ورد ذكر الرس أيضا فى قول الله تبارك وتعالى :(كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود)(١)

الموضع السادس : الأحقاف :

وقد جاء ذلك فى الآية ٢١٠ من سورة الأحقاف :

(واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

والأحقاف : جمع حقف من الرمل ، والعرب تسمى الرمل المعوج أحقافا وحقافا ، واحقوقف الهلال والرمل إذا أعوج .

وهذه الأحقاف التى وردت فى هذه الآية الكريمة تقع شمال شرق حضرموت فى اليمن الجنوبى .

قال المسعودى فى مروج الذهب : فحل عاد بن عوض وولده الأحقاف من بلاد حضر موت(٢)

وقال الأستاذ عبد الوهاب النجار :كانت منازل عاد أرض الأحقاف وهى تقع شمال حضر موت(٣)

وقال الدكتور عبد الوهاب عزام :والذى فى شمال حضرموت وشرقها يسمى الأحقاف(٤)

---

(١) سورة ق آية : ١٢

(٢) مروج الذهب للمسعودى .

(٣) قصص الأنبياء للأستاذ عبد الوهاب النجار

(٤) مهد العرب للدكتور عبد الوهاب عزام

وقال الأستاذ صالح بن على الحامد : وأرض الأحقاف التى ذكرها الله تعالى فى القرآن الكريم ناحية بقرب حضرموت أو هى متصلة بها من ناحيتها الشرقية ، كانت موطن عاد الأولى، ومن ثمود غير قريبة قد كان وادى حضر موت يسمى وادى الأحقاف(١)

وقال ابن حوقل فى صورة الأرض : حضرموت شرقى عدن بقرب البحر ورمالها كثيرة غزيرة تعرف بالأحقاف(٢)

---

(١) تاريخ حضرموت للأستاذ صالح بن على الحامد

(٢) صورة الأرض لابن حوقل - مبهمات الأماكن الواردة فى القرآن الكريم للدكتور محمود مصطفى الشنقيطى .

الفصل السابع

علاقة الكلمات بعضها ببعض واستعمالها في القرآن الكريم

(أ) الموصول لفظا المقطوع معنى

يترتب على دراسة علم : (الموصول لفظا المقطوع معنى) حل كثير من المعضلات التي تقع عند من يتصدى لتفسير القرآن الكريم ، أو تعلمه ولعلنا بذكر نماذج تطبيقية منه نبين أن كلمات القرآن وحدة متعانقة كلها في أعلى مراتب الفصاحة والبيان وهي مرتبة من الله سبحانه وتعالى أحسن ترتيب وأن هذا الكتاب الكريم قد بلغ الغاية القصوى في الترابط والانسجام .

نماذج تطبيقية :

١ يقول الله تعالى : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ، فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين ، فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما ، فتعالى الله عما يشركون) .

الآية في قصة آدم وحواء عليهما السلام كما يفهمه السياق لكن آخر الآية مشكل حيث نسب الإشراك إلى آدم وحواء وآدم نبي مكلم والأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها إجماعا ، وقد جر ذلك بعض الناس إلى حمل الآية على غير آدم وحواء وأنها في رجل وزوجته كانا من أهل الملك ، وفي تحليل ذلك يقول الإمام السيوطي : وما زلت في وقفة من ذلك

حتى رأيت ابن أبى حاتم أخبرنا بسنده عن السدى فى قوله (فتعالى الله عما يشركون) قال : هذه فصل من آية آدم خاصة فى آلهة العرب .

وقال عبد الرزاق بسنده عن السدى قال : هذا من الموصول المفصول.

وقال ابن أبى حاتم بسنده عن أبى مالك قال : هذه مفصولة فتعالى الله عما يشركون هذه لقوم محمد .

يقول الإمام السيوطى فانحلت عنى العقدة وانجلت لى هذه المعضلة واتضح بذلك أن آخر قصة آدم وحواء (فيما آتاهما) وأن ما بعده تخلص إلى قصة العرب وإشراكهم الأصنام ، ويوضح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنيه ولو كانت القصة واحدة لقال (عما يشركان) كقوله (دعوا الله ربهما فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) .

٢ — ومن ذلك قوله تعالى : (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) فإن ظاهر الآية يقتضى أن القصر مشروط بالخوف وأنه لا قصر مع الأمن) لكن سبب نزول الآية بين أن هذا من الموصول المفصول فقد أخرج بن جرير من حديث على قال : سأل قوم من بنى النجار رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله إنا نضرب فى الأرض فكيف نصلى ؟ فأنزل الله (وإذا اضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) ثم انقطع الوحى ، فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبى ﷺ فصلى الظهر ، فقال المشركون : لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم، فقال قائل منهم : إن لهم أخرى مثلها فى أثرها ، فأنزل الله بين الصلاتين (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إلى قوله عذابا مهينا) فنزلت صلاة الخوف .

تبين بهذا الحديث إن قوله : (إن خفتم) شرط فيما بعده وهو صلاة الخوف لا صلاة القصر .

قال ابن الجوزى فى كتابه النفيس : قد تأتى العرب بكلمة إلى جانب أخرى كأنها معها وهى غير متصلة بها وفى القرآن (قال الملأ من قوم فرعون : إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم) إنتهى كلام الملأ . . وابتدأ فرعون قائلا : (فماذا تأمرون . .

وقوله تعالى : (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) إنتهى كلام بلقيس ، وبدأ كلام آخر يمكن أن يكون من تصديق حاشيتها أو من كلام الله ، وهو قوله : (وكذلك يفعلون) .

ومنها قول أهل الضلال : (من بعثنا من مرقدنا) ورد أهل الهدى : (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) .

وفى المواضع السابقة نجد الآتى من الأسرار فى الوصل لفظا والإنقطاع فى التعلق :

أن صلاة المسافر وصلاة الخوف تجمعهما الرخصة فى التيسير .

وأن كلا من فرعون وبلقيس كانا يتشاوران مع المقربين لهما فى وقت الشدة .

وأن إجابة أهل الهدى أدعى لتيقظ أهل الضلال إلى الحق الذى جحدوه وهو البعث بعد الموت .

(ب) الوجوه والنظائر

الوجوه : اللفظ المشترك الذى يستعمل فى عدة معان ؛ كلفظ (الأمة) .

والنظائر : إحتمال اللفظ لأكثر من معنى . .

وعلى هذا فاستعمال اللفظ الواحد فى أكثر من معنى — يسمى بالوجوه . واحتمال اللفظ الواحد لأكثر من معنى يقال عنه : إنه من النظائر .

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن، حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجها أكثر أو أقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر.

نماذج تطبيقية من الوجوه والنظائر :

لفظ الهدى يأتي بالمعاني التالية :

١ — البيان : كقول الله تعالى : (أولئك على هدى من ربهم) .

٢ — الدين : « « « : (إن الهدى هدى الله) .

٣ — الإيمان : « « « : (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) .

٤ — الداعي : « « « : (ولكل قوم هاد) .

« « « : (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) .

٥ — الرسل والكتب : كقول الله تعالى : (فإما يأتينكم مني هدى) .

٦ — المعرفة : كقول الله تعالى : (وبالنجم هم يهتدون) .

٧ — الرشاد : « « « : (اهدنا الصراط المستقيم) .

٧ — سيدنا محمد ﷺ : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى) ، (من بعد ما تبين لهم الهدى) .

٨ — القرآن : كقول الله تعالى : (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) .

٩ — التوراة : « « « : (ولقد آتينا موسى الهدى) .

١٠ — الإسترجاع : كقول الله تعالى : (وأولئك هم المهتدون) ، ونظيرها (ومن يؤمن بالله) أي في المصيبة أنها من عند الله (يهد قلبه) للاسترجاع .

١١ — الحجة : كقول الله تعالى : (والله لا يهدي القوم الظالمين) بعد قوله : (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) أي لا يهديهم إلى الحجة .

١٢ — التوحيد : كقول الله تعالى : (إن نتبع الهدى معك) .

١٣ — السنة : كقول الله تعالى : (وإنا على آثارهم مهتدون) .

١٤ — الإصلاح : كقول الله تعالى : (وأن الله لا يهدى كيد الخائنين)

١٥ — الإلهام : كقول الله تعالى : (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) هدى كلا في معيشته .

١٦ — التوبة : كقول الله تعالى : (إنا هدنا إليك) أى تبنا .

قال ابن فارس :

١ — كل ما في كتاب الله من ذكر (الأسف) فمعناه الحزن كقول الله تعالى : (يا أسفا على يوسف) .

إلا قوله تعالى : (فلما آسفونا) فإن معناه أغضبونا .

وفي قصة موسى عليه السلام (غضبان أسفا) قال ابن عباس (مغتاظا)

٢ — وكل ما في القرآن من ذكر (البروج) فإنها الكواكب مثل قول الله تعالى : (والسماء ذات البروج) .

إلا في سورة النساء (ولو كنتم في بروج مشيدة) فإنها القصور الطوال، المرتفعة الحصينة .

٣ — وكل ما في القرآن من ذكر (البر) و (البحر) فإنه يراد بالبحر الماء، وبالبر التراب اليابس، غير واحد في سورة الروم (ظهر الفساد في البر والبحر) ، فإنه بمعنى البرية والعمران .

٤ — والبخس في القرآن النقص مثل قول الله تعالى :

(فلا يخاف بخسا ولا رهقا) .

إلا حرفا واحدا في سورة يوسف : (وشروه بثمن بخس) فإن البخس هنا معناه (حرام) .

٥ — وكل ما فى القرآن من ذكر البعل فهو الزوج كقوله تعالى : (وبعولتهن أحق بردهن) .

إلا حرفا واحدا فى الصفات : (أتدعون بعلا) فإنه أراد صنما .

٦ — وكل شىء فى القرآن : (جثيا) فمعناه (جميعا) إلا قوله تعالى : (وترى كل أمة جاثية) فإنه أراد تجثو على ركبتيها .

٧ — وكل حرف فى القرآن (حسبان) فهو من العدد ، غير حرف فى سورة الكهف : (حسبانا من السماء) فإنه بمعنى العذاب .

٨ — وكل ما فى القرآن : (حسرة) فهو الندامة ، كقوله عز وجل (يا حسرة على العباد) إلا التى فى سورة آل عمران : (ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) فإنه يعنى به (حزنا) .

٩ — وكل شىء فى القرآن : (الدحض) و (الداحض) فمعناه الباطل ، كقوله : (حجتهم داحضة) ، إلا التى فى سورة الصافات : (فكان من المدحضين) .

١٠ — وكل حرف فى القرآن من (رجز) فهو العذاب ، كقوله تعالى فى قصة بنى إسرائيل : (لئن كشفت عنا الرجز) إلا فى سورة المدثر : (والرجز فاهجر) ، فإنه يعنى : الصنم ، فاجتنبوا عبادته .

١١ — وكل شىء فى القرآن من (ريب) فهو شك ، غير حرف واحد وهو قوله تعالى : (نتربص به ريب المنون) فإنه يعنى حوادث الدهر .

١٢ — وكل شىء فى القرآن : (يرجمنكم) و (يرجموكم) فهو القتل ، غير التى فى سورة مريم عليها السلام : (لأرجمنك) ، يعنى لأشتمنك .

١٣ — وكل شيء فى القرآن من (زور) فهو الكذب ، ويراد به الشرك ، غير التى فى المجادلة : (منكرا من القول وزورا) ، فإنه كذب غير شرك .

١٤ — وكل شيء فى القرآن من (زكاة) فهو المال ، غير التى فى سورة مريم : (وحنانا من لدنا وزكاة) ، فإنه يعنى (تعطفا) .

١٥ — وكل شيء فى القرآن من (زاغوا) ، ولا (تزغ) فإنه من (مالوا) ولا (تمل) غير واحد فى سورة الأحزاب : (وإذ زاغت الأبصار) بمعنى (شخصت) .

١٦ — وكل شيء فى القرآن من (يسخرون) و (سخرنا) فإنه يراد به الاستهزاء غير التى فى سورة الزخرف : (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) فإنه أراد أعوانا وخدما .

١٧ — وكل سكينة فى القرآن طمأنينة فى القلب ، غير واحد فى سورة البقرة : (فيه سكينة من ربكم) ، فإنه يعنى شيئا كرأس الهرة لها جناحان كانت فى التابوت ،

١٨ — وكل شيء فى القرآن من ذكر (السعير) فهو النار والوقود إلا قوله عز وجل : (إن المجرمين فى ضلال وسعر) ، فإنه العناد .

١٩ — وكل شيء فى القرآن من ذكر (شيطان) فإنه إبليس وجنوده وذريته إلا قوله تعالى فى سورة البقرة : (وإذا خلوا إلى شياطينهم) فإنه يريد كهنتهم ، مثل كعب ابن الأشرف وحى بن أخطب وأبى ياسر أخيه .

٢٠ — وكل (شهيد) فى القرآن غير القتلى فى الغزو منهم الذين يشهدون على أمور الناس ، إلا التى فى سورة البقرة قوله عز وجل : (وادعوا شهداءكم) فإنه يريد شركاءكم .

٢١ — وكل ما فى القرآن من (أصحاب النار) فهم أهل النار إلا قوله: (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) فانه يريد خزنتها .

٢٢ — وكل (صلاة) فى القرآن فهى عبادة ورحمة إلا قوله تعالى : (وصلوات ومساجد) فانه يريد بيوت عباداتهم .

٢٣ — وكل (صمم) فى القرآن فهو عن الإستماع الإيمان، غير واحد فى بنى إسرائيل ، قوله عز وجل : (عميا وبكما وصما)، معناه لا يسمعون شيئا .

٢٤ — وكل (عذاب) فى القرآن فهو التعذيب إلا قوله عز وجل : (وليشهد عذابهما) فانه يريد الضرب .

٢٥ — (والقانتون): المطيعون ، لكن قوله عز وجل فى سورة البقرة: (كل له قانتون) معناه (مقرون) ، وكذلك فى سورة الروم : (وله من فى السموات والأرض كل له قانتون) يعنى مقرون بالعبودية .

٢٦ — وكل (كنز) فى القرآن فهو المال إلا الذى فى سورة الكهف : (وكان تحته كنز لهما) فانه أراد صحفا وعلما .

٢٧ — النكاح فى القرآن التزوج ، إلا قوله تعالى : (حتى إذا بلغوا النكاح) فانه يعنى الحلم .

٢٨ — النبأ والأنباء فى القرآن الأخبار، إلا قوله تعالى :(فعميت عليهم الأنباء) ، فانه بمعنى الحجج .

٢٩ — الورود فى القرآن الدخول ، إلا فى القصص : (ولما ورد ماء مدين) ، يعنى هجم عليه ولم يدخله .

٣٠ — وكل شيء فى القرآن من (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) يعنى عن العمل إلا التى فى سورة النساء (إلا ما آتاها)(١) يعنى النفقة .

٣١ — وكل شيء فى القرآن من يأس فهو القنوط ، إلا التى فى الرعد (أفلم ييئس الذين آمنوا) أى ألم يعلموا ،قال ابن فارس: أنشدنى أبى ، فارس بن زكريا :

أقول لهم بالشعب إذ ييسروننى
ألم تيئسوا أنى ابن فارس زهدم

قال الصاغانى : البيت لسحيم بن وثيل اليربوعى .

٣٢ — وكل شيء فى القرآن من ذكر (الصبر) محمود ، إلا قوله عز وجل : (لولا أن صبرنا عليها) ، و (اصبروا على آلهتكم) انتهى ما ذكره ابن فارس(٢) .

---

(١) الآيه (لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها)

(٢) راجع الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى — البرهان فى علوم القرآن للزركشى

حـ — التقديم والتأخير

هو أحد أساليب البلاغة ، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم فى الفصاحة، وملكتهم فى الكلام وانقياده لهم ، وله فى القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق .

وقد اختلف فى عده من المجاز ، فمنهم من عده منه؛ لأنه تقديم ما رتبته التأخير . كالمفعول ، وتأخير ما رتبته التقديم ، كالفاعل ، نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه .

والصحيح أنه ليس منه ؛ فان المجاز نقل ما وضع له إلى مالم يوضع .

أسباب التقديم والتأخير :

أولا : أن يكون أصله التقديم ، ولا مقتضى للعدول عنه ، كتقديم الفاعل على المفعول ، والمبتدأ على الخبر وصاحب الحال عليها .

ثانيا : أن يكون فى التأخير إخلال ببيان المعنى ، كقوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) ، فإنه لو أخر قوله : (من آل فرعون) فلا يفهم منهم .

ثالثا : أن يكون فى التأخير إخلال بالتناسب ، فيقدم لمشاكلة الكلام، ولرعاية الفاصلة ، كقوله تعالى :

(واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) بتقديم (إياه)على (تعبدون) لمشاكلة رءوس الآى .

وكقوله تعالى : (فأوجس فى نفسه خيفة موسى ، فانه لو أخر (فى فى نفسه عن (موسى) فات تناسب الفواصل ، لأن قبله : (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) ، وبعده (إنك أنت الأعلى) .

رابعا : لعظمه والإهتمام به ، وذلك أن من عادة العرب الفصحاء ، إذا أخبرت عن مخبر ما — وأناطت به حكما — وقد يشركه غيره في ذلك الحكم ، أو فيما أخبر به عنه وقد عطفت أحدهما على الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب — فأنهم مع ذلك إنما يبدءون بالأهم والأولى ، قال سيبويه : كأنهم يقدمون الذى شأنه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم .

قال تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ، فبدأ بالصلاة لأنها أهم.

وقال سبحانه : (وأطيعوا الله الرسول) .

وقال تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) .

خامسا : أن يكون الخاطر ملتفتا إليه والهمة معقودة عليه ، وذلك كقوله تعالى : (وجعلوا لله شركاء) ، بتقديم المجرور على المفعول الأول، لأن الإنكار التوجه إلى الجعل لله ، لا إلى مطلق الجعل .

سادسا : أن يكون التقديم لإرادة التبكيت والتعجيب من حال المذكور كتقديم المفعول الثانى على الأول فى قوله تعالى :

(وجعلو الله شركاء الجن) ، والأصل (الجن شركاء) ، وقدم لأن المقصود التوبيخ ، وتقديم الشركاء أبلغ فى حصوله .

سابعا : الإختصاص ، وذلك بتقديم المفعول ، والخبر ، والظرف ، والجار والمجرور ونحوها على الفعل ، كقوله تعالى:(إياك نعبد) أى نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك .

وقوله : (إن كنتم إياه تعبدون) ، أى إن كنتم تخصونه بالعبادة .

أنواع التقديم والتأخير :

أولا : ماقدم والمعنى عليه :

١ — السبق : وهو أقسام :

منها : السبق بالزمان والإيجاد مثل قوله تعالى :

(يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك) ، فإن الأزواج أسبق بالزمان.

ومنها التشريف كقول تعالى : (صحف إبراهيم وموسى).

ومنها التحقير كما فى قوله تعالى : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

ومن التقديم بالإيجاد تقديم السنة على النوم فى قوله تعالى :

(لا تأخذه سنة ولا نوم) لأن العادة فى البشر أن تأخذ العبد السنة قبل النوم ، فجاءت العبارة على حسب هذه العادة .

ومنها سبق وجوب : (اركعوا واسجدوا).

ومنها سبق تنزيه كقوله تعالى :

(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه) ، فبدأ بالرسول قبل المؤمنين ، ثم قال :(كل آمن بالله وملائكته) فبدأ بالإيمان بالله

٢ — بالذات : كقوله تعالى :

(مثنى وثلاث ورباع)

(مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) .

(سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) .

وكذلك جميع الأعداد كل مرتبة هى متقدمة على مافوقها بالذات .

٣ — بالعلة والسببية :

مثل قول الله تعالى :(إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) فأن التوبة سبب الطهارة .

وقول الله تعالى : (ويل لكل أفاك أثيم) لأن الإفك سبب الإثم .

٤ — بالمرتبة :

كتقديم (سميع) على (عليم) فانه يقتضى التخويف والتهديد ، فبدأ بالسميع لتعلقه بالأصوات ، وإن من سمع حسك فقد يكون أقرب إليك فى العادة ممن يعلم ، وإن كان علم الله تعلق بما ظهر وما بطن .

٥ — بالداعية :

كتقديم الأمر بغض الأبصار على حفظ الفروج فى قوله تعالى :

(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) ، لأن البصر داعية إلى الفرج ، لقوله ﷺ : (العينان تزنيان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) .

٦ — التعظيم :

مثل قول الله تعالى : ومن يطع الله والرسول)

(إن الله وملائكته يصلون على النبى)

(شهد الله أنه لا إله إله هو والملائكة وأولو العلم) .

٧ — الشرف :

مثل شرف الرسالة كقوله تعالى :

(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) فإن الرسول أفضل من النبى .

وشرف الذكورة : كقوله تعالى :

(إن المسلمين والمسلمات)

(رجالا كثيرا ونساء)

وشرف الحرية : كقولة تعالى :

(الحر بالحر والعبد بالعبد)

وشرف العقل : كقوله تعالى : (متاعا لكم ولأنعامكم) .

وشرف الإيمان : كقوله تعالى :

(وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت وطائفة لم يؤمنوا) .

وشرف العلم : كقوله تعالى :

(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) .

٨ — الغلبة والكثرة :

مثل قول الله تعالى :

(فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) .

قدم هنا الظالم لكثرته ، ثم المقتصد ، ثم السابق .

وقوله تعالى : (فمنهم شقى وسعيد) .

وقولة تعالى : (منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة).

قوله تعالى : الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين)

وجعل الزمخشرى منه:(فمنكم كافر ومنكم مؤمن) يعنى بدليل قوله تعالى

(وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) . وحديث بعث النار .

٩ — سبق ما يقتضى تقديمه :

وهو دلالة السياق ، كقوله تعالى :

(ولكم فيها جمال حين تريحون ، وحين تسرحون) لما كان إسراحها وهى خماص ، وإراحتها وهى بطان ، قدم الإراحة لأن الجمال بها حينئذ أفخر .

١٠ — مراعاة إشتقاق اللفظ :

كقوله تعالى : (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) .

(علمت نفس ماقدمت وأخرت) .

(ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) .

١١ — للحث عليه خيفة من التهاون به

مثل تقديم تنفيذ الوصية على وفاء الدين رغم أن وفاء الدين سابق على الوصية ، لكنه قدمها خشية التساهل وتأخيرها ، بخلاف الدين فانهم عادة لا يستطيعون ذلك ونرى ذلك فى قوله تعالى :

(من بعد وصية يوصى بها أو دين) .

١٢ — الإهتمام عند المخاطب :

مثل قوله تعالى : (فحيوا بأحسن منها أو ردوها) .

وقوله تعالى : (ولذى القربى واليتامى والمساكين) لفضل الصدقة على القريب .

١٣ — للتنبيه على أن السبب مرتب :

مثل قول الله تعالى : (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) .

قدم فى هذه الآية الجباه ثم الجنوب ، لأن مانع الصدقة فى الدنيا كان يصرف وجهه أولا عن السائل ، ثم ينوء بجانبه ، ثم يتولى بظهره .

١٤ — التنقل :

مثل قول الله تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء) ففى هذه الآية تقدم الأقرب على الأبعد فقدم ذكر المخاطبين على من قبلهم ، وقدم الأرض على السماء .

١٥ — الترقى :

مثل قول الله تعالى : (ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم

ولو كانوا لا يعقلون ، ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون) .

فهنا قرن السمع بالعقل وما قرن بالأشرف كان أشرف كما ذكر ذلك على بن عيسى .

١٦ — مراعاة الإفراد :

فإن المفرد سابق على الجمع ، كقوله تعالى :

(المال والبنون) .

ومنه تقديم الوصف بالمفرد على الوصف بالجملة مثل قوله تعالى :

(وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) .

١٧ — التحذير منه والتنفير عنه :

مثل قرن الزنى بالشرك وتقديمه فى قوله تعالى :

(الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة) .

١٨ — التخويف منه :

مثل قوله تعالى : (فمنهم شقى وسعيد) .

١٩ — التعجيب من شأنه :

مثل قول الله تعالى : (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) .

قال الزمخشرى : قدم الجبال على الطير ، لأن تسخيرها له وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة ، وأدخل فى الإعجاز ، لأنها جماد والطير حيوان ناطق .

٢٠ — كونه أدل على القدرة :

مثل قول الله تعالى : (فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع) .

٢١ — قصد الترتيب :

مثل قول الله تعالى : (إن الصفا والمروة من شعائر الله . . . .)

٢٢ — رعاية الفواصل :

كتأخير الغفور فى قوله : (لعفو غفور) .

وقوله : (وكان رسولا نبياً) .

ثانياً : مما قدم والنية به التأخير :

فمنه مايدل على ذلك الإعراب ، كتقديم المفعول على الفاعل فى نحو قوله تعالى :

(إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) .

(وإذا ابتلى إبراهيم ربه) .

وأيضاً تقديم الخبر على المبتدأ مثل قوله تعالى :

(وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله)، ولو قال، (وظنوا أن حصونهم مانعتهم) لما أشعر بزيادة وثوقهم بمنعها إياهم .

وكذلك قوله تعالى : (أراغب أنت عن آلهتى) ، ولو قال : (أأنت راغب عنها) ؟ ما أفادت زيادة الإنكار على إبراهيم عليه السلام .

ومنه مايدل على المعنى نحو قوله تعالى :

(خلق الإنسان من عجل) أى خلق العجل من الإنسان .

(ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) ، أى كيف مده ربك .

(وإنه لحب الخير لشديد) ، أى لشديد لحب الخير .

(إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا) ، أى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة) .

ثالثاً : ماقدم فى آية وأخر فى أخرى :

منها قوله تعالى فى سورة النمل :

(لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل) .

وفى سورة المؤمنين :

(لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل) .

فإن ماقبل الأولى : (أئذا كنا تراباً وآباؤنا) .

وما قبل الثانية :(أئذا متنا وكنا عظاماً) .

فالجهة المنظور فيها هناك كون أنفسهم وآبائهم تراباً ، والجهة المنظور فيها هنا كونهم تراباً وعظاماً ، ولا شبهة أن الأولى أدخل عندهم فى تبعيد البعث .

ومن أنواعه : أن يقدم اللفظ فى الآية ويتأخر فيها، لقصد أن يقع البداءة والختم به ، للاعتناء بشأنه وذلك كقوله تعالى :

(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فأما الذين اسودت وجوههم).

وقوله تعالى :

(وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها . . . .) إلى قوله : (قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة) .

تم الكتاب بحمد الله تعالى وكان الفراغ منه .

غرة محرم سنة ١٤٠٦ هجرية — ١٦ سبتمبر سنة ١٩٨٥

هذا وبالله التوفيق .

أهم الكتب التى استخدمت فى الكتاب

١ — الإبانة عن معانى القراءات . لمكى بن أبى طالب (المتوفى سنة ٤٣٧ هـ) تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبى . مطبعة الرسالة .

٢ — الإتقان فى علوم القرآن . لجلال الدين السيوطى (٩١١ هـ) . طبعة ثالثة سنة ١٣٧٠ هـ . مصطفى الحلبى . ويوجد بعض المواضع استخدم فيها الكتاب بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم . ط سنة ١٩٧٤ م . الهيئة المصرية للكتاب .

٣ — أحكام القرآن . لابن العربى (٥٤٣هـ) . تحقيق الأستاذ على البجاوى . عيسى الحلبى . سنة ١٣٨٧هـ سنة ١٩٦٧م .

٤ — أساس البلاغة للزمخشرى (٥٣٨هـ) . مطبعة الشعب سنة ١٩٦٠م .

٥ — الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى (٨٥٢هـ) . الطبعة الأولى سنه ١٣٢٨ هـ . السعادة .

٦ — إعجاز القرآن . للباقلانى (٤٠٣هـ) تحقيق الأستاذ السيد صقر . دار المعارف سنة ١٩٦٣ م .

٧ — البحر المحيط . لأبى حيان (٧٥٤هـ) الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ . السعادة .

٨ — البرهان فى علوم القرآن للزركشى (٧٩٤هـ) تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم . عيسى الحلبى سنة ١٣٧٦هـ سنة ١٩٥٧م الطبعة الأولى .

٩ — البرهان فى متشابه القرآن للكرمانى (م بعد سنة ٥٠٠ هـ) مخطوطة (١٩٤ علوم قرآن) بالأزهرية .

١٠ — البيان فى علوم القرآن للشيخ عبد الوهاب غزلان دار التأليف سنة ١٣٨٤ هـ سنة ١٩٦٥ م .

١١ — تأويل مشكل القرآن . لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) تحقيق الأستاذ السيد صقر . عيسى الحلبي .

١٢ — التبيان فى آداب حملة القرآن. للنووى (٦٨٧ هـ) مصطفى الحلبى. الأولى سنة ١٣٧٩ هـ سنة ١٩٦٠ م .

١٣ — تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى للمبار كفورى (م١٣٥٣هـ) الفجالة الجديدة ١٩٦٧ م .

١٤ — تدريب الراوى فى شرح التقريب للسيوطى (٩١١ هـ) تحقيق المرحوم الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف . المكتبة العلمية . الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩ هـ سنة ١٩٥٩ م .

١٥ — التذكار فى أفضل الأذكار للقرطبى (م٦٧١هـ) الخانجى سنة ١٣٥٥هـ

١٦ — تفسير القرآن العظيم. لابن كثير (٧٧٤ هـ) جـ١، ٢ ثالثة . جـ٣، ٤ رابعة الاستقامة سنة ١٣٧٥ هـ سنة ١٩٥٦ م .

١٧ — تناسق الدرر فى تناسب السور للسيوطى (٣٢٧) مجاميع تيمور . مخطوط .

١٨ — التيسير فى القراءات السبع . للدانى (٩٧١ هـ) تحقيق أوتو برتزل . ط . الدولة سنة ١٩٣٠ م استانبول .

١٩ — ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن. للخطابى (٣٨٨هـ) والرمانى (٣٨٦هـ) والجرجانى (٤٧١ هـ) تحقيق الأستاذين : محمد خلف الله ومحمد زغلول . دار المعارف .

٢٠ — الجامع لأحكام القرآن . للقرطبى (٦٧١ هـ) ط ثالثة سنة ١٣٨٧ هـ سنة ١٩٦٧ م . دار الكاتب العربى .

٢١ — جواهر البيان فى تناسب سور القرآن للغمارى .

٢٢ — حياة محمد — ﷺ — لهيكل . مكتبة النهضة المصرية . الثامنة سنة ١٩٦٣ م .

٢٣ — خلاصة تذهيب الكمال . للخزرجى . الخيرية الأولى سنة ١٣٢٢ هـ

٢٤ — ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى . ط جمعية النشر والتأليف . الأولى سنة ١٩٣٤ م .

٢٥ — روح المعانى . للألوسى (١٢٧٠ هـ) . إدارة الطباعة المنيرية الثانية .

٢٦ — رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين . للنووى (٦٧٧هـ) . عبد الرحمن محمد سنة ١٣٥١ هـ .

٢٧ — سنن ابن ماجه (٢٧٥ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى . عيسى الحلبى سنة ١٣٧٢ هـ .

٢٧ — سنن النسائى (٣٠٣هـ) المسمى بالمجتبى بشرح السيوطى . الميمنية سنة ١٣١٢ هـ .

٢٩ — شذور الذهب لابن هشام (٧٦١هـ) . السعادة . الخامسة سنة ١٣٧١ هـ سنة ١٩٥١ م .

٣٠ — الشفا بتعريف حقوق المصطفى . للقاضى عياض . العثمانية سنة ١٣١٢ هـ .

٣١ — الصافى فى تفسير القرآن المجيد . للفيض الكاشانى (قرابة سنة ١٩١٠هـ) المطبعة الإسلامية بطهران سنة ١٣٧٤هـ .

٣٢ — صحيح البخارى (٢٥٦ هـ) طبعة الشعب سنة ١٣٧٨ هـ .

٣٣ — صحيح مسلم (٢٦١هـ) شرح النووى . المطبعة المصرية . سنة ١٣٤٩هـ

٣٤ — الطبقات الكبرى . لابن سعد (٢٣٠ هـ) . دار التحرير للطبع والنشر .

٣٥ — علوم القرآن . للدكتور أحمد الكومى والدكتور محمد القاسم. الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٥ ط السعادة .

٣٦ — عمدة القارى شرح صحيح البخارى . للعينى (٨٥٥ ﻫ) إدارة الطباعة المنيرية .

٣٧ — غرائب القرآن ورغائب الفرقان . للنيسابورى (٨٢٨ ﻫ) على هامش الطبرى الأميرية الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ ﻫ .

٣٨ — فتح البارى شرح صحيح البخارى . لابن حجر (٨٥٢ﻫ) ج١٠ ط مصطفى الحلبى سنة ١٣٨٧ ﻫ . والبقية ط عبد الرحمن محمد سنة ١٣٤٨ﻫ .

٣٩ — الفتح الربانى على المسند للشيخ الساعاتى الأولى. سنوات مختلفة ١٣٥٣ - ١٣٧٦ ﻫ).

٤٠ — فجر الإسلام . للأستاذ أحمد أمين لجنة التأليف والترجمة والنشر. السابعة سنة ١٩٥٩ م .

٤١ — فصل الخطاب . لحسين الطبرسى . طبع سنه ١٢٩٨ ﻫ. بدون ذكر المطبعة — رقم ٦٠٥ تفسير تيمور بدار الكتب المصرية فرغ منه المؤلف سنة ١١٩٨ ﻫ.

٤٢ — الفصل فى الملل والأهواء والنحل . لابن حزم (٤٥٦ ﻫ) . مطبعة مصر سنة ١٣١٧ ﻫ .

٤٣ — فضائل القرآن لابن كثير (٧٧٤ ﻫ) عيسى الحلبى سنة ١٣٧١ ﻫ سنة ١٩٥٢ م .

٤٤ — الكشاف عن حقائق التنزيل . للزمخشرى (٥٣٨ ﻫ) .العامرة سنة ١٣٩٨ ﻫ .

٤٥ — لطائف الإشارات للإمام القشيرى (م سنة ٤٦٥ ﻫ) . دار الكاتب العربى .

٤٦ — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . للحافظ الهيثمى (٨٠٧ هـ) بتحرير العراق وابن حجر . مكتبة القدسى .

٤٧ — مجمع البيان لعلوم القرآن . لأبى الفضل الطبرسى (٥٤٨هـ) إخراج المشايخ محمد المدنى وعبد العزيز ومحمد إسماعيل . دار التقريب بين المذاهب الإسلامية سنة ١٣٧٨ هـ سنة ١٩٥٨ م .

٤٨ — مختار الصحاح لأبى بكر الرازى . الثالثة سنة ١٣٢٩ هـ سنة ١٩١١م الأميرية .

٤٩ — مختصر فى شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه (٣٧٠هـ) . الرحمانية سنة ١٩٣٤ م .

٥٠ — مختصر التحفه الأثنى عشرية اختصار الألوسى . والأصل بالفارسيه للدهلوى . السلفية سنة ١٣٧٣ هـ .

٥١ — مختصر الحافظ المنذرى على سنن أبى داود (٢٧٥ هـ) تهذيب ابن القيم ط السنة المحمدية سنة ١٩٤٨ م .

٥٢ — مذاهب التفسير الإسلامى . لجولدتسيهر . ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار . ط السنة السنة المحمدية سنة ١٣٧٤ هـ سنة ١٩٥٥ م .

٥٣ — المستدرك على الصحيحين للحاكم (م سنة ٤٠٥هـ) وعليه تلخيص المستدرك للذهبى مطابع النصر الحديثة بالرياض .

٥٤ المصاحف لابن أبى داود (٣١٦ هـ) تحقيق آرثر جفرى . جفرى . الرحمانية . الأولى سنة ١٣٥٥ هـ سنة ١٩٣٦ م .

٥٥ — مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى (٦٠٦ هـ) جـ ١ : ٤ سنة ١٣٠٨ هـ ، جـ ٥ : ٨ سنة ١٣٢٤ هـ العامرة الشرفية .

٥٦ — المفردات للراغب الأصفهانى (٥٠٢ هـ) . ط مصطفى الحلبى سنة ١٩٦٠ م .

٥٧ — مقدمتان فى علوم القرآن .لابن عطية (٥٤٦ هـ) وآخر مجهول تحقيق آرثر جعفرى . السنة المحمدية سنة ١٩٥٤ م .

٥٨ — مقدمة ابن خلدون (٨٠٨ هـ) ط مصطفى محمد .

٥٩ — المقنع فى رسم مصاحف الأمصار . لأبى عمرو الدانى (٤٤٤هـ) تحقيق أوتو برتزل ط . الدولة سنه ١٩٣٢ م استانبول .

٦٠ — الملل والنحل للشهرستانى (٥٤٨ هـ). تخريج الدكتور المرحوم محمد فتح الله بدران . ط . مخيمر سنة ١٩٥٦ م .

٦١ — منجد المقرئين ومرشد الطالبين . لابن الجزرى (٨٣٣ هـ) تحقيق د . الفرماوى . مطبعة دار المطبوعات الدولية . سنـــة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .

٦٢ — المنتقى من منهاج الاعتدال. للذهبى (٧٤٨ هـ مختصر منهاج السنة لابن تيمية تحقيق المرحوم محب الدين الخطيب . السلفية سنه ١٣٧٤ هـ .

٦٣ — منار الهدى فى بيان الوقف والابتداء . للأشمونى . ط الحجر سنة ١٢٨٦ هـ .

٦٤ — مناهل العرفان . للمرحـوم الشيخ الزرقانى . عيسى الحلبى . الثالثة سنة ١٣٧٢ هـ .

٦٥ — المناسبات فى ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره بحث العالمية (الدكتوراه) بقلم الدكتور محمد أحمد يوسف القاسم . دار المطبوعات الدوليه — الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ سنة ١٩٧٩ م

٦٦ — ميزان الاعتدال فى نقد الرجال . للحافظ الذهبى (٧٤٨ هـ). السعادة الأولى سنة ١٣٢٥ هـ

٦٧ — النبأ العظيم للدكتور محمد عبدالله دراز . السعادة سنة ١٩٦٠ م.

٦٨ — النشر فى القراءات العشر . لابن الجزرى (٨٣٣ هـ) تحقيق الشيخ الضباع ط . مصطفى محمد .

٦٩ — نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى (م ٨٨٥ هـ) مخطوط (٥٩٠ تفسير) بمكتبة الأزهر .

٧٠ — النهاية . لابن الأثير (٦٠٦ هـ) تحقيق الأستاذين طاهر الزاوى ومحمود الطناحى عيسى الحلبي . الأولى سنة ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣م .

٧١ — نيل الأوطار للشوكانى (م سنة ١٢٥٠ هـ) ط مصطفى الحلبى الثالثة . سنة ١٩٦١ م .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

بعض التصويبات

ص	س	الكلمة	الصواب
٥	٨	والزب	والذب
١١	٢	يزبل	يزيل
١٣	٢	يطمع	بطمع
١٧	٣	معمناه	معناه
١٨	٤	إنا علينا	إن علينا
٣٦	الأخير	جريم	يرجم
٤١	١١	تكذبون	تكذبون ـ بتشديد الموحدة الفوقية مع كسرها ـ
٤٧	الأخير	عرضا	عرضها
١٠٠	١٠	مباطل	الباطل
١٠٠	الأخير	لأذبحنه	لا أذبحنه
١٠١	٦	البأساءو	البأساء ،
١١٢	٥	مغتايرة	متغايرة
١١٢	٨	يجيب	يجب
١١٢	١٢	بعد	بضم الدال المهملة
١١٣	١	أبان	بفتح أوله وثانيه مخففا
١١٨	٩	غلبت	بضم أوله و كسر ثانيه
١١٨	١٦	غلبت	بفتح أوله و كسر ثانيه
١٣١	٣	أوي	بفتح أوله و كسر ثانيه
١٣١	٥	فعلة	بفتح أوله وثانيه
١٣١	٦	فعله	بفتح أوله و تسكين ثانيه

الدورية لها عدد من الصفحات غير موجوده من اصله

ص	س	الكلمة	الصواب
١٣١	٨	أبية	بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد ثالثه
١٣١	٩	أويه	بضم أوله
١٣١	٩	أويه	بضم أوله
١٣٤	الأخير	مسلك	بتسكين ثانيه
١٣٩	١٨	الجزل	بفتح الموحدة التحتية
١٣٩	١٩	الرسل	بفتح الراء المشددة وتسكين السين المهملتين
١٥٢	١٩	عمامتان	عمامتان – بفتح الموحدة الفوقية وتخفيف الميم –
١٨١	٣	وإن كلا	بتسكين النون
١٨١	٤	لكن هو	بتسكين النون
١٩١	١٧	الخلع والخفد	بتسكين اللام والفاء وفتح الخاء والحاء

رقم الإيداع بدار الكتب

٥٤٨٤ / ١٩٨٥ م